

العِبَّاسِيُّ مُعْتَقِدٌ



تَحْقِيقُ
سَيِّدَةِ الشَّيْخِ مُحَمَّدٍ الْحَسَنِ

تَأْلِيفُ
السَّيِّدِ عَبْدِ الرَّزَّاقِ الرَّسُوْلِيِّ الْمَقَرَّمِ

العجائب
التي لا
يصدقها
القلوب
التي لا
تؤمن
بها

العبّاس عليه السلام

تأليف السيّد عبد الرزاق الموسوي المقرّم رحمته الله

تحقيق سماحة الشيخ محمّد الحسّون

منشورات الإجتهداد / قم / هاتف ٧٧٣٥٤٦٤

الطبعة الأولى / ٢٠٠٠

١٤٢٧هـ / ٢٠٠٦م

ISBN : 964 - 95037 - 0 - 6

مَكْتَبَةُ الرُّوحِ الْعَبَّاسِيَّةِ

(١)

العَبَّاسِيَّةُ

تَأْلِيفُ

السَّيِّدِ عَبْدِ الرَّزَّاقِ الْمَوْسَوِيِّ الْقُرْمِ

تَحْقِيقُ

سَيِّدَةِ السَّيِّدِ مُحَمَّدِ الْحَسَنِ

جميع الحقوق مسجلة ومحفوظة لـ (لمركز الأبحاث العقائدية) ولا
يجوز الطبع أو التصوير أو الاقتباس إلا بموافقة خطية من الناشر

● الموقع على الانترنت : www.aqaed.com

● البريد الإلكتروني : info@aqaed.com

توزيع

الغدير للنشر والتوزيع

قم - شارع معلّم - الفرع ١٢ - رقم ٣ - موبایل: +٩٨٩١٢٥٥١٤٤٢٦

E - mail: [algadeer_pub @ yahoo. com](mailto:algadeer_pub@yahoo.com)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة التحقيق

بعد سقوط النظام البعثي في العراق ، سعى مركز الأبحاث العقائدية - الذي أنشئ بمباركة ودعم سماحة المرجع الديني الأعلى زعيم الحوزة العلمية آية الله العظمى السيد علي الحسيني السيستاني دام ظلّه الوارف ، وبإشراف الأخ الكريم سماحة حجة الإسلام والمسلمين السيد جواد الشهرستاني - إلى إعادة الروح في مكاتب العتبات المقدسة في العراق ، والتي قضى عليها وأبادة النظام البعثي الجائر .

فكان أولها مكتبة الروضة الحيدرية في النجف الأشرف ، ومكتبة الروضة الحسينية ومكتبة الروضة العباسية في كربلاء المقدسة ، إذ قام المركز بتجهيز هذه المكاتب بكل ما تحتاج إليها من : كتب ، وأجهزة كومبيوتر ، ومقاعد ، ومناضد ، وقفصات لحفظ الكتب ، وسجاد ، وغيرها .

ولم يكتفِ المركز بذلك ، بل ظلّ طيلة هذه السنوات يدعم هذه المكاتب بما تحتاجه وحسب الإمكانيات المتوفرة لديه .

ومن أجل دعم الحركة العلمية في هذه المكاتب قام المركز بإحياء مجموعة من الكتب وطبعها بالتعاون مع المسؤولين فيها ، منها هذا الكتاب المائل بين أيدينا ، والذي قمنا بتحقيقه وطبعه في فترة قصيرة جداً ليحمل الرقم الأول من إصدارات مكتبة الروضة

العبّاسية ، ويوزّع في افتتاح هذه المكتبة المباركة في أوائل شعبان سنة ١٤٢٧ هـ .

ونحاول في هذه المقدّمة البسيطة إلقاء ضوء على حياة المؤلف السيّد المقرّم وكتابه هذا .

المؤلف

هو السيّد عبد الرزاق بن محمّد بن عباس بن حسن بن قاسم بن حسون المقرّم الموسوي الدغاري النجفي ، أصل أسرته من مدينة الحسكة ، وقد هاجر جدّه الأعلى قاسم بن حسون إلى مدينة النجف الأشرف .

ولد في مدينة النجف الأشرف سنة ١٣١٦ هـ = ١٨٩٨ م ، وترعرع في أحضان جدّه الذي تولّى تربيته وتعليمه ، وما أن بلغ سنّ الرشد حتّى شرع في دراسته علوم آل محمّد ﷺ في مدينة باب علمه النجف الأشرف ، وحضر عند كبار علماء عصره مثل :

العلامة الشيخ محمّد جواد البلاغي (ت ١٣٥٢ هـ) .

والميرزا حسين النائيني (ت ١٣٥٥ هـ) .

والشيخ محمّد حسين الأصفهاني (١٣٦١ هـ) .

والشيخ ضياء الدين العراقي (١٣٦١ هـ) .

والسيّد أبو الحسن الأصفهاني (١٣٦٥ هـ) .

والسيّد أبو القاسم الخوئي (ت ١٤١٣ هـ) .

وذكر الشيخ محمد حسين حرز الدين ، حفيد الشيخ محمد حرز الدين (ت ١٣٦٥ هـ) في تعليقه على كتاب جده « معارف الرجال » : أن السيّد المقرّم كان من المجازين في الرواية من الشيخ أقا بزرك الطهراني (ت ١٣٨٩ هـ)^(١) .

كان رحمه الله يعقد مجالس عزاء الإمام الحسين عليه السلام في داره ويقرأ التعزية بنفسه ، ويحضر مجلسه هذا كبار العلماء والفضلاء ، وفي مقدّمتهم المرجع الديني السيّد أبو القاسم الخوئي رحمه الله .

ذكره الشيخ محمد هادي الأميني (ت ١٤٢١ هـ) قائلاً : « عالم متّبّع ، ومجتهد محقّق ، متضلع في الفقه المقارن والتأريخ الإسلامي ، مؤلّف مكثّر ، له كتب »^(٢) .

ومدحه وأطراه السيّد محمد الغروي إذ قال : « عالم كامل ، ومجتهد متّبّع ، مؤرّخ ، محقّق ، . . . كان على جانب كبير من الورع والتقوى والتفاني في حبّ أهل البيت الطاهرين عليهم السلام والتمسك بحبل مودّتهم ، خشناً في ذات الله ، لا تأخذه فيه لومة لائم ، بعيداً عن التكلّف والتصنّع والرياء ، وكانت له خزانة كتب قيّمة ، كما كانت داره ندوة الأفاضل والعلماء ومجمع الخطباء والمؤمنين ، يتجنّب التدخل في قضايا خارجة عن نطاق عقيدته ودينه ، ولم تستهوه الحياة وزخارفها . كان يقرأ مقتل الإمام السبط الشهيد عليه السلام كلّ يوم عاشوراء في حسينية النجفيين في كربلاء المقدّسة منذ طلوع الشمس إلى الظهر مع البكاء والعيول »^(٣) .

(١) معارف الرجال ٢ : ١٨٨ « الهامش » .

(٢) معجم رجال الفكر والأدب : ١٢٣١ .

(٣) مع علماء النجف الأشرف ٢ : ٢٣١ .

وقد عُرف السيّد المقرّم بكثرة تأليفه القيّمة ، والتي أكثرها في حياة أهل البيت عليهم السلام ، منها ما هو مطبوع ، ومنها لازال خطياً لم ير النور لحدّ الآن ، نذكرها مرّبة حسب الحروف الألفبائية :

(١) الإمام زين العابدين عليه السلام ، طبع في النجف الأشرف

سنة ١٣٧٤ هـ .

(٢) الإمام الجواد عليه السلام ، طبع سنة ١٣٧١ هـ .

(٣) الإمام الرضا عليه السلام ، طبع بدون تأريخ .

(٤) أرجوزة « الأنوار القدسيّة » في النبي ﷺ

وأهل بيته عليهم السلام .

(٥) تعليقة في الفقه المقارن على المحاضرات في

الفقه الجعفري .

(٦) تنزيه المختار الثقافي ، طبع سنة ١٣٥٦ هـ .

(٧) ثامن شوال ، في حوادث هدم القبور بالبيع

وأحوال الوهابية .

(٨) الحسن المجتبي عليه السلام .

(٩) زيد الشهيد ، طبع سنة ١٣٧١ هـ .

(١٠) زينب بنت أمير المؤمنين عليه السلام .

(١١) سرّ الإيمان في الشهادة الثالثة في الأذان ، طبع

سنة ١٣٧٤ هـ .

(١٢) السيّدة سكينة بنت الإمام الحسين عليه السلام ، طبع

سنة ١٣٧٨ هـ .

(١٣) الشهيد مسلم بن عقيّل ، طبع سنة ١٣٦٩ هـ .

(١٤) الصديقة الزهراء عليها السلام ، طبع في النجف سنة ١٣٧٠ هـ .

- (١٥) عاشوراء في الإسلام .
 - (١٦) العباس [بن علي عليه السلام] .
 - (١٧) علي الأكبر ابن الإمام الحسين عليه السلام ، طبع سنة ١٣٦٧ هـ .
 - (١٨) عمّار بن ياسر .
 - (١٩) قداسة ميثم التمار .
 - (٢٠) قمر بني هاشم ، طبع سنة ١٣٦٩ هـ .
 - (٢١) الكشكول في ما جرى على آل الرسول ﷺ .
 - (٢٢) الكنى والألقاب ، مخطوط .
 - (٢٣) ليلة عاشوراء عند الحسين عليه السلام .
 - (٢٤) مقتل الحسين عليه السلام وحديث كربلاء ، وهو أشهر كتبه ، طبع عدّة مرات ، وتُرجم إلى اللغة الانكليزية .
 - (٢٥) المقداد الكندي .
 - (٢٦) نقد التاريخ .
 - (٢٧) يوم الأربعاء ، طبع سنة ١٣٧٧ هـ .
- وقد توفي السيّد المقرّم في مدينة النجف الأشرف في السابع عشر من محرم الحرام سنة ١٣٩١ هـ الموافق ١٩٧١ م ، بعد عمر قضاه في خدمة الدين الإسلامي الحنيف ومذهب أهل البيت عليهم السلام ، فرحمه الله تعالى ، وأسكنه مع الأئمة الطاهرين عليهم السلام .

هذا الكتاب

حينما أعلمنا مسؤول مكتبة الروضة الحسينية والروضة

العباسية الأخ العزيز سماحة حجة الإسلام الشيخ علي الفتلاوي ،
بقرب افتتاح مكتبة الروضة العباسية ، بعد تهيئة مستلزماتها ، فكَرَّت
بطبع كتابٍ عن العباس عليه السلام يكون باكورة أعمال هذه المكتبة
المباركة .

وقد استشرْتُ الكثير من الفضلاء وخطباء المنبر الحسيني في
هذا الموضوع ، فأكثرهم أشاروا عليّ بطبع هذا الكتاب بعد تحقيقه
وضبط نصّه ، وفعلاً شرعنا بتحقيقه وإخراجه في فترة قصيرة .

وقد واجهنا في تحقيقه بعض المصاعب؛ لأنّ المؤلّف لم ينقل
نصوصه من نفس المصادر ، بل اعتمد على محفوظاته ، لذلك شاهدنا
اختلافاً بين نصوص الكتاب ومصادرها ، فحاولنا قدر الإمكان
تصحيحها وجعلها مطابقة للمصادر .

إضافة لذلك فلنّا شاهدنا أنّ هذا الكتاب طبع عدّة مرّات
وبأسماء متعدّدة هي : «العباس عليه السلام» ، «العباس بن علي عليه السلام» ،
«العباس بن أمير المؤمنين عليه السلام» ، «حياة العباس بن علي عليه السلام» ،
«قمر بني هاشم عليه السلام» .

وبعد التتبّع ظهر لنا أنّ الأسماء الأربعة الأولى كلّها مسمّيات
لكتاب واحد ، وضعها الناشرون لها؛ لعدم بيان المؤلّف اسم كتابه
هذا ، لا في أوّله ، ولا في آخره .

أمّا الكتاب الأخير «قمر بني هاشم» فهو كتاب آخر ، أي أنّ
للسيّد المقرّم كتابين عن العباس عليه السلام ، ألف أوّلاً كتاب «قمر بني
هاشم» ، ثمّ ألف كتابه الآخر «العباس عليه السلام» ، إذ أضاف في كتابه
الأخير بعض الفصول لم تكن موجودة في كتابه الأوّل ، وغير بعض

عناوينه ، لذلك فالكتاب الأخير أكبر من الأول ، وبينهما عموم وخصوص مطلق .

وقد ذكر المتتبع أقا بزرك الطهراني هذين الكتابين مشيراً إلى عدد صفحاتهما ، فقال :

« حياة العباس بن علي » ، طبع في ٢٤٠ صفحة^(١) .

« قمر بني هاشم » ، طبع في ١٧٦ صفحة^(٢) .

وقد وقفنا على الطبعة الأولى للكتاب الأول « قمر بني هاشم » الذي قامت بطبعه سنة ١٣٦٩ هـ المطبعة الحيدريّة في النجف الأشرف ، وطبعته في قم أيضاً سنة ١٤١٤ هـ بالتصوير على الطبعة الأولى .

أمّا الكتاب الثاني فقد طبع عدّة طبعات ، شاهدنا منها طبعة دار الأضواء في بيروت باسم « العباس بن علي » ، وطبعة مكتبة الشريف الرضي في قم المقدّسة ، وهي بدون تأريخ وباسم « العباس عليه السلام » ، وهذه الطبعة هي التي اعتمدنا عليها في تحقيق ونشر هذا الكتاب .

فقد قمنا بتصحيح الكتاب قدر المستطاع ، واستخراج ما يحتاج إلى تخريج من : آيات قرآنيّة كريمة ، وأحاديث شريفة ، وأقوال العلماء المختلفة ، كلّ ذلك من المصادر الرئيسيّة لها المتوفرة لدينا .

(١) الذريعة ٧ : ٦٤١/١٢١ .

(٢) الذريعة ١٧ : ٨٨٣/١٦٧ .

شكر وتقدير

ختاماً نتقدّم بجزيل الشكر والتقدير لكلّ الاخوة والأخوات الذين ساهموا في إخراج هذا الكتاب بحلّته القشبية هذه ، ونخصّ بالذكر الأخ العزيز المحقّق الأستاذ الشيخ لؤي المنصوري الذي أخذ على عاتقه عملية الاستخراجات كاملة ، والعمّ الأستاذ الفاضل عبد الحسين الحسّون وزوجته الفاضلة أمّ علاء الحسّون اللذان قاما بمقابلة الكتاب وتصحيح أخطائه المطبعية ، والأخ محمّد الجبوري والأخ نجاح الخازن والأخت سرور الموسوي الذين قاموا بصفّ حروف هذا الكتاب في فترة وجيزة جداً ، فلهّ درهم جميعاً وعليه أجرهم .

سيّدي ومولاي يا أبا الفضل ، يا حامي الحمى ، ويا باب الحوائج ، ويا ساقى العطاشا ، إنّنا قمنا بإحياء هذا الكتاب المتعلّق بك ، رجاءً منّا أن تحمينا وأهلنا من كلّ مكروه ، وتقضي حوائجنا ، وتسقينا وتشفع لنا يوم لا ينفع فيه مال ولا بنون ، اللهمّ اجعله في ميزان أعمالنا ، إنّك أنت الرحمن الرحيم ، والصلاة والسلام على نبينا ومقتدانا محمّد وآله الطيبين الطاهرين ، آمين ربّ العالمين .

محمّد الحسّون

يوم مولد الصديقة الزهراء عليها السلام ١٤٢٧هـ

site.aqaed.com/Mohammad

muhammad@aqaed.com

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

حمداً لك اللهم ، وصلاة على خاتم أنبيائك وخلفائه
المعصومين ، ورضى بقضائك وتقديرك بأوليائك الذين تحملوا المشاق
في إحياء شرعك الأقدس ، فقابلوا الأخطار بكلّ طلاقة وبشاشة حتى
كرعوا حياض المَنون ، وانتَهلت من دمائهم الزاكية بيض الصفاح ،
وأمسوا بجوارك متلقّعين بالبرود القانية
فسلاماً على أرواحهم الطاهرة ، وأشلائهم المقطّعة في سبيل
مرضاتك ياربّ العالمين .

مقدمة

إنَّ للنسب مكانةً كبرى في شتى النواحي ، فليس من المستنكر دخله في تهذيب الأخلاق ، فإنَّ الإنسان مهما كان مولعاً بالشهوات مستهتراً ماجناً ، إذا عرف أنَّ له سلفاً مجيداً ، وأنَّ من ينتمي إليهم أناس مبجلون - كما هو الشأن في جلِّ البشر ، إن لم نقل كلهم - لا يروقه أن يرتكب ما يشوّه سمعتهم ، وإنَّما يكون جلُّ مسعاه أن يكون خلقاً صالحاً لهم ، يجدّد ذكرياتهم ، ويخلّد ذكرهم الجميل بالتلفّع بمكارم الأخلاق .

ولقد جعل الله تعالى أبناء آدم ﷺ شعوباً وقبائل ليتعارفوا^(١) ، فتشتبك الأواصر ، وتتواصل الأرحام ، ويحمى الجوار بالتساند والمؤازرة ، ويعرفهم من عداهم كتلة واحدة ، فيهاب جانبهم ولا تخفر ذمتهم ، فيسود بذلك السلام والوئام ، ومن هنا نشاهد المردة من قوم شعيب قالوا له لما عتوا عن أمره : ﴿ وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَاكَ ﴾^(٢) .

فإذن يكون في مشتبك الأواصر مناخ العزِّ ومأوى الهيبة كما

(١) ﴿ خَلَقْنَاكُمْ مِّنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ﴾ الحجرات : ١٣ .

(٢) هود : ٩١ .

قال أمير المؤمنين عليه السلام لابنه الحسن: «وأكرم عشيرتك، فإنهم جناحك الذي به تطير، وأصلك الذي إليه تصير، ويدك التي بها تصول، ولا يستغني الرجل عن عشيرته وإن كان ذا مال، فإنه يحتاج إلى دفاعهم عنه بأيديهم وألسنتهم، وهم أعظم الناس حيلة من ورائه، وألمهم لشعته، وأعظمهم عليه إن نزلت به نازلة أو حلت به مصيبة، ومن يقبض يده عن عشيرته فإنما يقبض عنهم يداً واحدة وتقبض عنه أيدٍ كثيرة»^(١).

ولقد جاء في الشريعة المقدسة أحكام منوطة بمعرفة الأنساب خاصة أو عامة، كالمواريث والأخماس وصلة الأرحام ودية قتل الخطأ... إلى غيرها من فوائد النسب التي جعلته في الغارب والسنام من بين العلوم الفاضلة، وأكسبته الأهمية الكبرى.

وجعلت منصّة النسابة في المحلّ الأسمى عند الديني والاجتماعي والأخلاقي^(٢)، وهو أحد العلماء الذين لكلّ منهم اختصاص في فن من الفنون يرجع إليه في فنه ويستفتى، كما يراجع

(١) نهج البلاغة، شرح الشيخ محمد عبده ٣: ٥٧، من وصيّة له لابنه الحسن عليه السلام.

(٢) ورد عن النبي ﷺ أنّه دخل المسجد، فإذا جماعة قد طافوا برجل، فقال ﷺ: «ما هذا»؟

فقيل: علامة. قال ﷺ: «وما العلامة»؟

فقالوا: أعلم الناس بأنساب العرب ووقائعها.

فقال النبي ﷺ: «ذاك علم لا يضرّ من جهله ولا ينفع من علمه».

ثم قال النبي ﷺ: «إنما العلم ثلاثة: آية محكمة، أو فريضة عادلة، أو سنة قائمة، وما خلاهنّ فهو فضل».

انظر: الكافي ١: ٣٢، ح ٣٧، وصول الأخبار إلى أصول الأخبار: ٣٧، الفصول المهمة في أصول الأئمة للعالمين: ٦٧٩.

غيره من العلماء فيما اختص به من الفنون .

ولقد كان عقيل بن أبي طالب عليه السلام - على شرف أصله وقداسته منبته ومجده الهاشمي الأثيل - نسابه عصره ، يعرف أنساب العرب وقبائلها ، ويميز بين منابت المجد والخطر ، ومناخ السوأة والخزاية ، وينوّه بوسع علمه بما تتحلّى به الفصائل والعمائر من المآثر ، وما ترتديه البطون والأفخاذ من شية العار .

فكان يُخشى ويُرجى من هاتين الناحيتين ، ويراجع للوقوف على لوازم الكفاية عند المصاهرة ، تحرياً للحصول على الدعة في العشرة بين الزوجين ، وكرائم الأخلاق المكتسبة من إرضاع الحرائر الكريّمات ، وعروق الأخوال الأكارم ، والشرعية المطهّرة تقول في نصّها على ذلك : « اختاروا لنطفكم ، فإنّ الخال أحد الضجيعين »^(١) ، كما حذرت عن خلافه : « إياكم وخضراء الدمن » ، وفسّره صاحب الشريعة بأنّها « المرأة الحسناء في منبت السوء »^(٢) .

فكان عقيل - كما وصفه الصفدي - أحد الذين يتحاكّم إليهم ، ويوقف عند قولهم في علم النسب ؛ لكونه العليم به وبأيّام العرب ، وكانت تُبسط له طنفسة تُطرح في مسجد رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم ، يصلي عليها ، ويجتمع إليه في معرفة الأنساب وأيّام العرب وأخبارهم مع ما له من السرعة في الجواب والمراجعة في القول^(٣) .

(١) الكافي ٥ : ٣٣٢ ، باب اختيار الزوجة ، ح ٢ .

(٢) الكافي ٥ : ٣٣٢ ، باب اختيار الزوجة ، ح ٤ .

(٣) نص عبارة الصفدي عن ابن عقيل هكذا : « وكان عقيل أنسب قريش وأعلمهم بأيّامهم ، ولكنّه كان يعدّ مساوئهم ، وكانت له طنفسة تُطرح في مسجد رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم يصلي عليها ، ويجتمع إليه في علم النسب وأيّام العرب ، وكان أسرع »

ومن هنا قال له أمير المؤمنين عليه السلام : « أنظر لي امرأة قد ولدتها الفحولة من العرب ؛ لأتزوجها ، فتلد لي غلاماً فارساً » .

فقال له : تزوج بأُمّ البنين الكلابية ، فإنه ليس في العرب أشجع من آبائها^(١) .

هكذا جاء الحديث ، ولكن لا يفوت القارئ أننا نعتقد في حملة أعباء الإمامة شمول علمهم كُلّ ما ذرأ الله - سبحانه - وبرأ وما جاءت به الأمم من فضائل ومخازي وأوصاف وعادات في كُلّ حال ، وللبرهنة على هذه الدعوى مجال في غير هذا المختصر .

إذن ، فأين يقع علم عقيل وغير عقيل من واسع علم أمير المؤمنين ، المتدفّق بأحوال قبائل العرب ، وبمعرفة الشجعان منهم حتّى يحتاج إلى نظر عقيل؟!

وهل يخفى علم ذلك على من كان يعلم الذكر والأنثى من النمل كما في حديث أبي ذر الغفاري : دخلت أنا وأمير المؤمنين عليه السلام وادياً فيه نمل كثير ، فقلت : سبحان الله محصيه!

فقال عليه السلام : « لا تقل ذلك ، وقل : سبحان الله باريه ، فوالله إنني لأحصيه وأعرف الذكر منه والأنثى »^(٢) .

= الناس جواباً ، وأحضرهم مراجعة في القول ، وأبلغهم في ذلك ، وكان الذين يتحاكم إليهم ويوقف عند قولهم في علم النسب أربعة : عقيل بن أبي طالب ، ومخرمة بن نوفل الزهري ، وأبا جهم بن حذيفة العدوي ، وخويطب بن عبد العزي العامري ، وعقيل أكثرهم ذكراً لمثالب قريش .

راجع عبارة الصفدي في الوافي بالوفيات ٢٠ : ٦٣ ، وأسد الغابة ٣ : ٤٢٣ ، والاستيعاب ٣ : ١٧٨ .

(١) عمدة الطالب لابن عنبه : ٣٥٧ .

(٢) مدينة المعاجز ٢ : ١٦٠ .

ويقول عليه السلام : «إِنَّ شِيعَتَنَا مِنْ طِينَةٍ مَخْزُونَةٍ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ آدَمُ .. لَا يَشُدُّ مِنْهَا شَاذٌ وَلَا يَدْخُلُ فِيهَا دَاخِلٌ ، وَإِنِّي لِأَعْرِفُهُمْ حِينَ مَا أَنْظُرَ إِلَيْهِمْ .. وَلَأَعْرِفَ عَدُوِّي مِنْ صَدِيقِي»^(١) .

«وإنَّهم لمكتوبون عندنا بأسمائهم وأسماء آبائهم وعشائهم وأنسابهم»^(٢) .

فمن كان هذا علمه لا يحتاج إلى تعرّف القبائل والبطون من عقيل ، مهما بلغ من العلم والمعرفة إلى ذُرَى عالية .

نعم ،

وكم سائل عن أمره وهو عالم

فإنّه جرى صلوات الله عليه مجرى العادة في أمثاله ، وكم لهم من ضرائب في أعمالهم عليه السلام لحكم ومصالح لعلنا ندرك بعضها ، والبعض الآخر منها مطوي لديهم مع أمثالها من غوامض أسرارهم .
فهذا الرسول الأعظم ، وهو المسدّد بالفيض الأقدس والإرادة الإلهية ؛ المستغني عن الاستعانة بأيّ رأيّ ، يمشي وراء العادة ، فيشاور أصحابه إذا أراد المضيّ في أمرٍ ، ولعلّ النكتة فيه - مضافاً إلى ذلك - تعريف خطأ الاستبداد وإن بلغ الرجل أعلى مراتب العقل ، فكانت الصحابة تبصر من أشعة حكمه فوائد الاستشارة

(١) مدينة المعاجز ٢ : ١٩٥ . والنص كالتالي : «إِنَّ شِيعَتَنَا مِنْ طِينَةٍ مَخْزُونَةٍ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ اللَّهُ آدَمَ بِالْفِي عام ، لَا يَشُدُّ مِنْهَا شَاذٌ ، وَلَا يَدْخُلُ فِيهَا دَاخِلٌ ، وَإِنِّي لِأَعْرِفُهُمْ حِينَ مَا أَنْظُرُ إِلَيْهِمْ ؛ لِأَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ لَمَّا تَقَلَّ فِي عَيْنِي وَكُنْتُ أُرْمَدُ قَالَ : اللَّهُمَّ أَذْهَبْ عَنْهُ الْحَرَ وَالْبَرْدَ ، وَأَبْصِرْ صَدِيقَهُ مِنْ عَدُوِّهِ ، فَلَمْ يُصْبِنِي رَمْدٌ وَلَا حَرٌّ وَلَا بَرْدٌ ، وَإِنِّي لِأَعْرِفَ صَدِيقِي مِنْ عَدُوِّي» .

(٢) الاختصاص : ٢١٧ .

كالاستخارة ، وتمضي على قوله ﷺ : « من أعجب برأيه ضلّ ، ومن استغنى بعقله زلّ »^(١) ، و« لا يندم من استشار ، ولا خاب من استخار »^(٢) .

ولما خرج ﷺ من المدينة طالباً غير أبي سفيان ، بلغه في (ذفران)^(٣) أن قريشاً خرجت على كلّ صعب وذلول ، شاور أصحابه فقال : « ما تقولون ، العير أحب إليكم أم النفير »؟

فقال بعضهم : العير ، وقال (رجلان) : يا رسول الله إنها قريش وخيلاؤها ، ما ذلت منذ عزّت ، وما آمنت منذ كفرت ، فساءه كلامهما ، وتغيّر وجهه ، فقام المقداد بن الأسود الكندي وقال : امض يا رسول الله لما أمرك به الله ، ونحن معك ، فوالله لا نقول لك ما قالت بنو إسرائيل لموسى بن عمران : ﴿ فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ ﴾^(٤) ، ولكن نقول : اذهب أنت وربك فقاتلا إنا مقاتلون ما دام منا عين تطرف ، نقاتل عن يمينك وعن يسارك ومن خلفك ، فوالذي بعثك بالحق لو سرت بنا إلى برك الغمام (بلاد الحبشة) ، لجالدنا معك من دونه حتّى تبلغه فضحك رسول الله وأشرق وجهه وسرّ بكلامه^(٥) .

(١) في تفسير القرطبي ٤ : ٢٥١ ورد هكذا : « ما ندم من استشار ولا خاب من استخار » ، وأمّا في مصادرنا فوردت هكذا : عن أبي عبد الله عليه السلام قال : « ما حار من استخار ، ولا ندم من استشار » . وسائل الشيعة ٨ : ٢٦٥ ح ٨ ، الأمالي للطوسي : ١٣٦ ، كشف الغمة ٣ : ١٧٣ .

(٢) نهج السعادة ٧ : ٢٧٥ ، الفائدة السادسة .

(٣) قال في لسان العرب ١ : ١٥٧ « ذفران : موضع عند بدر » .

(٤) المائدة : ٢٤ .

(٥) أسد الغابة ٤ : ٤١٠ ، تاريخ الطبري ٢ : ١٤٠ ، تاريخ الإسلام للذهبي ٢ :

ولمّا نزل في بدرٍ بأقرب ماء هناك قال له الحَبّاب بن المنذر :
أرأيت يا رسول الله هذا المنزل ، منزلاً أنزلك الله به أم هو الرأي
والمكيدة والحرب؟

فقال : « هو الرأي والحرب » .

فأشار عليه بأن ينهض ويأتي أدنى منزل من القوم فينزل على
الماء ، ثمّ يعمل حوضاً يملأه ماءً يشرب منه المسلمون ولا يشرب
منه أعداؤهم ، فأخذ برأيه وارتحل حتّى أتى الماء ونزل عليه^(١) .

ولمّا قصده الأحزاب أراد أن يصلح عيينة بن حصين والحارث
بن عوف على ثلث أثمار المدينة ، ليرجعا بمن معهما من غطفان ،
فشاور في ذلك سعد بن معاذ وسعد بن عباد وسعد بن فزارة ،
فأشاروا عليه ألا يعطيهم شيئاً ، فعمل بمشورتهم ، وكان الفتح له^(٢) ،
كُلّ ذلك إيذاناً وتنبيهاً بما هو اللازم من التريّث والأخذ بحقائق
الأمور .

وسار الأئمة من آله على هذا النهج ، فكان الإمام الرضا عليه السلام
يذكر أباه موسى بن جعفر ويقول : « كان عقله لا يوازن به العقول ،
وربما شاور بعض عبيده فيشير عليه من الضيعة والبستان فيعمل به ،
فقليل له : أتشاور مثل هذا؟ فقال عليه السلام : ربما فتح على لسانه »^(٣) .

ولمّا كتب إليه علي بن يقطين بما عزم عليه موسى الهادي من

= ٥٢ ، والوارد في آخر الرواية : « فقال له رسول الله ﷺ خيراً ودعا له .. » .

(١) أسد الغابة ١ : ٣٦٥ ، تاريخ الطبري ٢ : ١٤٤ ، تاريخ الإسلام للذهبي ٢ :

٥٣ ، الثقات لابن حبان ١ : ١٦٢ ، إمتاع الاسماع للمقرئزي ٩ : ٢٤٣ .

(٢) تاريخ الإسلام ٣ : ٣٤٨ ، إمتاع الاسماع للمقرئزي ١ : ٢٣٩ .

(٣) المحاسن للبرقي ٢ : ٦٠٢ بلفظ : « وربما شاور الأسود من سودانه » .

الفتك به وأنه سمعه يقول : قتلني الله إن لم أقتل موسى بن جعفر ،
فلما ورد الكتاب عليه شاور أهل بيته وشيعته وأطلعهم على الكتاب
وقال لهم : « ما تشيرون عليّ ؟ »

قالوا : نشير عليك - أصلحك الله - أن تباعد شخصك من هذا
الجبّار ، فلم يتباعد عن مشورتهم ، ولكنه أوقفهم على غامض أسرار
الله من هلاك الطاغى ، فكان كما قال (١) .

وكان الأئمة عليهم السلام - وهم العالمون بما كان وما يكون - يتخذون
الوسائل العادية لدفع الأضرار عنهم إذا علموا تأخر القضاء من
مراجعة الطبيب ، أو الشخوص نحو المهيمن جل شأنه ، أو الشكوى
إلى جدّهم النبي ﷺ .

ولما سُقي الإمام الحسن عليه السلام العسل المسموم وأعتلّ تداوى
بالحليب ، فعوفي ، وحين عادت إليه العلة أخذ يسيراً من تربة النبي
ومزجها بالماء فشربه وعوفي (٢) .

وقال الإمام الهادي عليه السلام لأبي هاشم الجعفري حين مرض
بسامراء : « ابعثوا رجلاً إلى (الحائر) يدعو الله لي بالشفاء من
العلة » .

فقال علي بن بلال : ما يصنع بالحير ، أليس هو الحير؟! فلم
يدر أبو هاشم ما يجيبه حتّى دخل علي الهادي عليه السلام وحكى له قوله ،
فقال عليه السلام : « ألا قلت له : إنّ رسول الله ﷺ كان يطوف بالبيت ،
ويقبل الحجر ، وحرمة النبي والمؤمن أعظم من حرمة البيت . وأمره

(١) بحار الأنوار ٤٨ : ١٥١ .

(٢) الكامل للبهائي : ٤٥٣ .

الله تعالى أن يقف بعرفات ، وإنما هي مواطن يحب الله أن يُذكر فيها ، وأنا أحب أن يدعى لي حيث يحب الله أن يدعى فيها^(١) .

والغرض من هذا كله التعريف بأنه لم يجب في التكوينات إلا جري الأمور على مجاريها العادية وأسبابها الطبيعية ، وأنه لا غناء عنها لأي أحد ، وأن الأئمة من أهل البيت وإن أمكنهم إعمال ما أقدرهم عليه الله سبحانه من التصرفات حسبما يريدون ، لكنهم في جميع أدوارهم مقتدى الأمة ومسيروهم إلى ما يراد منهم من أمر الدين والدنيا ، فعلى نهجهم يسير الناس ، وبأفعالهم يتأسى البشر ، وبارشادهم ترفع حُجب الأوهام .

وعلى هذا الأساس مشى أمير المؤمنين في اختيار الزوجة الصالحة .

(١) الكافي ٤ : ٥٦٧ ، ٥٦٨ ، ح ٣ ، كامل الزيارات : ٤٥٩ ، ح [٦٩٧] ١ ، وسائل الشيعة ١٤ : ٥٣٨ ح (١٩٧٧٥) ٣ ، ونص الرواية كالتالي : «عدة من أصحابنا ، عن سهل بن زياد ، عن أبي هاشم الجعفري قال : بعث إليّ أبو الحسن عليه السلام في مرضه ، وإلى محمد بن حمزة ، فسبقني إليه محمد بن حمزة وأخبرني محمد مازال يقول : «ابعثوا إلى الحير ، ابعثوا إلى الحير ! فقلت لمحمد ألا قلت له : أنا أذهب إلى الحير ، ثم دخلت عليه وقلت له : جعلت فداك : أنا أذهب إلى الحير؟ فقال : «انظروا في ذاك» ، ثم قال لي : «إن محمدًا ليس له سرّ من زيد بن علي ، وأنا أكره أن يسمع ذلك» . قال : فذكرت ذلك لعلي بن بلال فقال : ما كان يصنع [ب]الحير وهو الحير . فقدمت العسكر ، فدخلت عليه فقال لي : «إجلس» حين أردت القيام ، فلما رأيته أنس بي ، ذكرت له قول علي بن بلال . فقال لي : «ألا قلت له : إن رسول الله ﷺ كان يطوف بالبيت ويقبل الحجر ، وحرمة النبي والمؤمن أعظم من حرمة البيت . وأمره الله عز وجل أن يقف بعرفة ، وإنما هي مواطن يحب الله أن يُذكر فيها ، فأنا أحب أن يدعى [الله] لي حيث يحب الله أن يدعى فيها . . .» .

على أن التأمل في كلامه يفيدنا عدم الاستشارة من أخيه ، فإنه قال لعقيل : انظر لي امرأة قد ولدتها الفحولة من العرب ، فهو عليّ في مقام الطلب من أخيه أن يخطب امرأةً تصلح له ، لا أنه في مقام الاستشارة والاستطلاع منه ، لكونه عالماً بأنساب العرب ، وعارفاً ببيوتات الشرف والمنعة والفروسيّة .

سلسلة الآباء

هو العباس بن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة ابن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان .

إلى هنا يقف الباحث عن الإتيان بباقي الآباء الأكارم إلى آدم ، بعد ما يقرأ قول النبي ﷺ : «إِذَا بَلَغَ نَسَبِي إِلَى عَدْنَانَ فامسكوا»^(١) .

وكأنه نظر إلى غرابة تلكم الأسماء ، وتعاصيها على نطق العامة ، فكان التصحيف إليها أسرع شيء ، فيعود وهنا في ساحة جلالته ، وخفة في مقدارهم ، وقد ولدوا الرسول الأعظم والوصي المقدم صلى الله عليهم أجمعين .

وكيف كان فالمهم الذي يجب الهتاف به هو كون كل واحد من هؤلاء الأنجاء غير مدنس بشيء من رجس الجاهلية ، ولا موصوماً بعبادة وثن ، وهو الذي يرتضيه علماء الحق ، لكونهم صديقين بين أنبياء وأوصياء .

وقد نزههم الله تعالى في خطابه لنبيه الأقدس : ﴿ وَتَقَلُّبِكَ فِي

(١) مناقب آل أبي طالب ١ : ١٣٤ ، كشف الغمة ١ : ١٥ .

السَّاجِدِينَ ﴿١﴾ ، فَإِنَّهُ أَثْبَتَ لَهُمْ جَمِيعاً - بِلَفْظِ الْجَمْعِ الْمَحَلِّيِّ بِاللَّامِ - السَّجُودَ الْحَقَّ الَّذِي يَرْضِيهِ لَهُمْ .

وإنَّ ما يُوَثِّرُ عَنْهُمْ مِنْ أَشْيَاءَ مُسْتَغْرَبَةٍ لَا بَدَّ أَنْ يَكُونَ مِنَ الشَّرِيعَةِ الْمَشْرُوعَةِ لَهُمْ ، أَوْ يَكُونَ لَهُ مَعْنَى تَظْهِرُهُ الدَّرَايَةُ وَالتَّنْقِيبُ .

وَلَيْسَ آزَرَ - الَّذِي كَانَ يَنْحِتُ الْأَصْنَامَ وَكَاهِنُ نَمْرُودَ - أَبَا إِبْرَاهِيمَ الْخَلِيلِ ﴿٢﴾ ، الَّذِي نَزَلَ مِنْ ظَهْرِهِ ، لِأَنَّ أَبَاهُ اسْمُهُ تَارَخُ ، وَأَزَدَ :

(١) الشعراء : ٢١٩ .

(٢) اختلفوا في أَنَّ الَّذِي قِيلَ لَهُ : (عِرْقُ الثَّرَى) إِبْرَاهِيمُ أُمُّ إِسْمَاعِيلَ ، فَالَّذِي عَلَيْهِ السَّهْلِيُّ فِي الرُّوضِ الْأَنْفِ ١ : ٨ ، أَنَّهُ إِبْرَاهِيمُ ، وَعَلَّلَهُ : بِأَنَّ الثَّرَى لَا تَأْكُلُهُ النَّارُ ، وَإِبْرَاهِيمُ لَا تَأْكُلُهُ النَّارُ .

وَيُظْهِرُ مِنَ الصَّادِقِ عَلَيْهِ السَّلَامُ : لَمَّا تَخَطَّى النَّارَ وَقَالَ : « أَنَا ابْنُ أَعْرَاقِ الثَّرَى » ، أَنَا ابْنُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلِ الرَّحْمَنِ ، الْإِشَارَةُ إِلَيْهِ [الْكَافِي ١ : ٤٧٣] فِي نَوَادِرِ الْمَعْجَزَاتِ لِابْنِ جَرِيرٍ : [١٥٤] .

وَنَصَّ عَلَيْهِ فِي الْبَحَارِ ٣٥ : ٤١ فِي بَابِ نَسَبِ أَبِي طَالِبٍ قَالَ : وَإِبْرَاهِيمُ (عِرْقُ الثَّرَى) .

وَفِي ٤٤ : ١٠٤ عِنْدَ قَوْلِ الْإِمَامِ الْحَسَنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ : « أَنَا وَهُوَ ابْنُ ابْنِ أَعْرَاقِ الثَّرَى » ، قَالَ : رَأَيْتُ فِي بَعْضِ الْكُتُبِ أَنَّ عِرْقَ الثَّرَى إِبْرَاهِيمُ ، لِكَثْرَةِ وَلَدِهِ فِي الْبَادِيَةِ . وَلَعَلَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ أَيُّوبَ الْخَرِيبِيَّ الشَّاعِرُ فِي مَرَثِيَةِ الْإِمَامِ الرِّضَا يُشِيرُ إِلَيْهِ كَمَا فِي الْبَحَارِ ٤٩ : ٣٢٥ فِي بَابِ مَرَاتِيهِ .

يَا بَنَ الذَّبِيحِ وَيَا بَنَ أَعْرَاقِ الثَّرَى طَابَتْ أَرْوَمَتُهُ وَطَابَ عُرْوَتُهَا وَلَكِنْ فِي نَصِّ الطَّبْرِيِّ ٢ : ٢٨ ، وَالْبَدَايَةِ وَالنِّهَايَةِ ٢ : ٢٤٥ ، وَالْبَحَارِ ١٥ : ١٠٥ عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ : أَنَّ عِرْقَ الثَّرَى إِسْمَاعِيلُ .

وَقَدْ جَاءَ ذِكْرُ الثَّرَى فِي شِعْرِ أَمْرِئِ الْقَيْسِ وَالْفَرَزْدَقِ ، وَلَمْ يَعْلَمْ مِنْهُ الْمُرَادُ ، قَالَ أَمْرُؤُ الْقَيْسِ عَلِيٌّ مَا فِي أَمَالِي الْمَرْتَضَى ١ : ١١٩ فَبَعْضُ اللَّوْمِ عَاذَلْتِي فَأَنْسِي

سَتَغْنِيَنِي التَّجَارِبُ وَانْتِسَابِي

إِلَى عِرْقِ الثَّرَى وَشَجَّتْ عُرُوقِي وَهَذَا

الْمَوْتُ يَسْلُبُنِي شَبَابِي

إمّا أن يكون عمّه ، كما يرثيه جماعة من المؤرّخين ، وإطلاق الأب على العمّ شائع على المجاز ، وجاء به الكتاب المجيد : ﴿ أَمْ كُنتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ ﴾^(١) فأطلق على إسماعيل لفظ الأب ، ولم يكن أبا يعقوب وإنما هو عمّه ، كما أطلق على إبراهيم لفظ الأب وهو جدّه .

وإمّا أن يكون أزر جدّ إبراهيم لأُمّه كما يراه المنقّبون ، والجد للأُمّ أب في الحقيقة ، ويؤيّد أنّه غير أبيه قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ آزَرَ ﴾^(٢) .

فميّزه باسمه ، ولو أراد أباه الذي نزل من ظهره لاستغنى بإضافة الأبوة عن التسمية بأزر .

وصرّح الرسول بطهارة آبائه عن رجس الجاهلية وسفاح الكفر فقال : « لَمَّا أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَخْلُقَنَا ، صَوَّرَنَا عَمُودَ نُورٍ فِي صُلْبِ آدَمَ ، فَكَانَ ذَلِكَ النُّورُ يَلْمَعُ فِي جَبِينِهِ ، ثُمَّ انْتَقَلَ إِلَى وَصِيِّهِ شِيثَ ، وَفِيمَا أَوْصَاهُ بِهِ إِلَّا يَضَعُ هَذَا النُّورَ إِلَّا فِي أَرْحَامِ الْمُطَهَّرَاتِ مِنَ النِّسَاءِ ، وَلَمْ تَزَلْ هَذِهِ الْوَصِيَّةُ مَعْمُولًا بِهَا يَتَنَاقَلُهَا كَابِرٌ عَنْ كَابِرٍ ، فَوَلَدْنَا الْأَخْيَارَ مِنَ الرِّجَالِ وَالْخَيْرَاتِ الْمُطَهَّرَاتِ الْمَهْدَبَاتِ مِنَ النِّسَاءِ ، حَتَّى

= وقال الفرزدق كما في كامل ابن الأثير ٣ : ٤٦٩

أنا ابن الجبال الشّم في عدد الحصى وعرق الثرى عرقى فمن ذا يحاسبه
وفي أخبار الزمان : ٨٠ عدنان بن عرق الثرى .

[وأيضاً تجده في : أسد الغابة لابن الأثير ١ : ٣٧٩ ، حياة الإمام الحسن

للقرشي : ١٣٠] .

(١) البقرة : ١٣٣ .

(٢) الأنعام : ٧٤ .

انتهينا الى صلب عبد المطلب ، فجعله نصفين : نصف في عبد الله فصار إلى آمنة ، ونصف في أبي طالب فصار إلى فاطمة بنت أسد .
أمّا «عدنان» فقد أوضح في خطبه في ظهور النبي وأنه من ذريته وأوصى باتباعه .

وكان ابنه «معد» صاحب حروب وغارات على بني إسرائيل ممّن حاد عن التوحيد ، ولم يحارب أحداً إلا رجح عليه بالنصر والظفر ، ولكونه على دين التوحيد ودين إبراهيم الخليل أمر الله أرميا أن يحمله معه على البراق كيلا تصيبه نقمة بخت نصر ، وقال سبحانه لأرميا : إني سأخرج من صلبه نبياً كريماً اختتم به الرسل ، فحمله إلى أرض الشام إلى أن هدأت الفتن بموت بختنصر^(١) .
وكان السبب في التسمية بـ «نزار» أنّ أباه لما نظر إلى نور النبوة يشع من جبهته سرّه ذلك ، فأطعم الناس لأجله وقال : إنه نزر في حقّه^(٢) .

وورد النهي عن سبّ ربيعة ومضر ؛ لأنهما مؤمنان ، ومن كلام مضر : من يزرع شراً يحصد ندامةً .

و«إلياس بن مضر» كبير قومه وسيّد عشيرته ، وكان لا يقضى أمر دونه ، وهو أوّل من هدى البدن إلى البيت الحرام ، وأوّل من ظفر بمقام إبراهيم لما غرق البيت في زمن نوح ، وكان مؤمناً موحداً ، ورد النهي عن سبّه^(٣) .

وقد أدرك مدركة بن إلياس كلّ عز وفخر كان لأبائه ، وكان فيه

(١) السيرة الحلبية ١ : ٢٠ .

(٢) الروض الأنف ١ : ٨ .

(٣) الروض الأنف ١ : ٨ .

نور النبي محمد ﷺ .

و«كنانة» شيخ عظيم القدر حسن المنظر ، كانت العرب تحجّ إليه لعلمه وفضله ، وكان يقول : قد آن خروج نبيّ من مكة يدعى أحمد ، يدعو إلى الله وإلى البرّ والاحسان ومكارم الأخلاق ، فاتبعوه تزدادوا شرفاً وعزاً إلى عزّكم ، ولا تكذبوا ما جاء به فهو الحقّ . ومما يؤثر عنه : «ربّ صورة تخالف المخبرة قد غرت بجمالها واختبر قبح فعالها ، فاحذر الصور واطلب الخبر» ، وكان يأنف أن يأكل وحده .

وولده «النضر» (قريش عند الفقهاء) فلا يقال لأولاد من فوقه قرشي ، وإنّما أولاده مثل مالك وفهر ، فمن ولده النضر فهو قرشي ، ومن لم يلد له فليس بقرشي^(١) .

وأما «فهر» فقد حارب حسان بن عبد كلال حين جاء من اليمن في حمير لأخذ أحجار الكعبة ليبني بها بيتاً باليمن يزوره الناس ، فانتصر فهر وأسر حسان وانهزمت حمير ، وبقي حسان في الأسر ثلاث سنين ، ثمّ فدى نفسه بمال كثير وخرج فمات بين مكة واليمن ، فهابت العرب فهراً وأعظموه وعلا أمره ، خصوصاً مع ما يشاهدون في جبهته من نور النبوة .

ويؤثر عنه قوله لولده غالب : «قليل ما في يدك أغنى لك من كثير ما أخلق وجهك وإن صار إليك» ، وكان موحداً^(٢) .

ولم يزل كعب بن لؤي يذكر النبي ، ويُعلم قريشاً أنّه من ولده ، ويأمرهم باتباعه ويقول : «اسمعوا وعوا وتعلّموا تعلموا وتفهموا

(١) السيرة الحلبية ١ : ٦١ .

(٢) السيرة الحلبية ١ : ٢٦ .

تفهموا ، ليل داج ونهار ساج والأرض مهاد والجبال أوتاد والأولون كالآخرين ، كل ذلك إلى بلاء ، فصلوا أرحامكم ، وأصلحوا أحوالكم ، فهل رأيتم من هلك رجع أو ميتاً نشر الدار أمامكم؟ والظنّ خلاف ما تقولون ، زيّنوا حرمكم وعظّموه وتمسّكوا به ولا تفارقوه ، فسيأتي له نبأ عظيم ، وسيخرج منه نبيّ كريم ، ثمّ قال :

نهارٌ وليلٌ واختلاف حوادثٍ	سواءٌ علينا حلؤها ومريزها
يؤوبان بالأحداثِ حتّى تأوبا	وبالنعمِ الضافي علينا ستورها
على غفلةٍ يأتي النبيّ محمّد	فيُخبر أخباراً صدوقاً خبيرها

ثمّ قال :

يَا لَيْتَنِي شَاهِدَ فُخْوَاءِ دَعْوَتِهِ

حَتَّى الْعَشِيرَةِ تَبْغِي الْحَقَّ خُذْلَانَا^(١)

ولجلالته وشرفه في قومه أرخوا بموته ثمّ أرخوا بعام الفيل ، ثمّ بموت عبد المطلب ، وهو أوّل من سمّي يوم الجمعة ؛ لاجتماع قريش فيه ، وكان اسمه في الجاهلية العروبة ، ولما جاء الإسلام أمضاه^(٢).

و«كلاب بن مرّة» الجد الثالث لأمّ النبي والرابع لأبيه عبد الله ، كان معروفاً بالشجاعة ، ونور النبي لائح في جبهته .

ولا تسل عن سيّد الحرم «قصي» فلقد جمع قومه من منازلهم وأسكنهم أرض مكة ، وأمرهم بالبناء حول البيت ؛ لتهابهم العرب ، فبنوا حول جوانبه الأربعة ، وجعلوا لهم أبواباً تخصهم ، فباب لبني شيبة ، وباب لبني جمح ، وباب لبني مخزوم ، وباب لبني سهم .

(١) السيرة الحلبية ١ : ٢٥ ، السيرة النبوية لابن كثير ١ : ١٦٧ .

(٢) السيرة الحلبية ٣ : ١٦٩ .

وتركوا قدر الطواف بالبيت ، وبني قصي دار الندوة للمشاورة والتفاهم فيما يعرض عليهم من المهمات ، وتيمّنت قريش برأيه وسمّي مجمعاً .

وعند مجيء الحاج قال لقريش : « هذا أوان الحجّ ، وقد سمعت العرب بما صنعتهم وهم لكم معظّمون ، ولا أعلم مكرمة عند العرب أعظم من الطعام ، فليخرج كلّ انسان منكم من ماله خرجاً » . ففعلوا وجمع مالاً كثيراً ، ولمّا جاء الحاج نحر لهم على كلّ طريق من طرق مكة جزوراً ، غير ما نحره بمكة ، وأوقد النار بالمزدلفة ليراها الناس ^(١) .

وصنع للناس طعاماً أيام منى ، وجري عليه الحال حتّى جاء الإسلام ، فالطعام الذي يصنعه السلطان أيام منى كلّ عام من آثار قصي ^(٢) .

ومن هنا خضعت خزاعة لقصي ، وسلّمت له أمر الحرم وسدانة البيت الحرام ، بعد أن كانت عند حليل وعند قصي ابنته وهي أم أولاده .

تولّى قصي سدانة البيت : إمّا بوصاية من حليل عند الموت إليه ، أو أنّها كانت عند ابنته زوج قصي بالوراثة ، فقام زوجها بتدبير شؤون البيت لعجز المرأة عن القيام بهذه الخدمة ، أو أنّ أبا غبشان الخزاعي كان وصيّ حليل على هذه السدانة ، فعاوضه عليها قصي بأثواب وأذواد من الإبل .

هذا هو الصحيح المأثور في ولاية قصي سدانة البيت ، ويتفق

(١) السيرة الحلبية ١ : ٢١ .

(٢) تاريخ الطبري ٢ : ١٨٥ .

مع العقل الحاكم بنزاهة جدّ الرسول الأقدس خاتم الأنبياء عمّا تأباه شريعة إبراهيم الخليل من المعاوضة بالخمير المحرم في جميع الأديان .

أيجوز لجدّ الرسول أن يجعل للخمير قيمة - وثمرتها سحت - وهو المانع عنها ، المحذّر قومه منها؟! فإنّه قال لولده وقومه : «اجتنبوا الخمر ، فإنّها لا تصلح الأبدان ، وتفسد الأذهان» ، فكيف يعاوض بها؟! بل لا يتحيّل إلى مطلوبه بالخمير وهو القائل : «من استحسّن قبيحاً نزل إلى قبحه ، ومن أكرم لثيماً أشركه في لؤمه ، ومن لم تصلحه الكرامة أصلحه الهوان ، ومن طلب فوق قدره استحقّ الحرمان ، والحسود هو العدو الخفي»^(١) .

وقد جمع أطراف المجد والشرف «عبد مناف» بن قصي ، ولبهاؤه وجمال منظره قيل له : «قمر البطحاء» ، وكان سمحاً جواداً لا يعدم أحداً من ماله حتّى في أيام أبيه ، ف قيل له : «الفيّاض» .

ويسمّى مناف ؛ لأنه أناف على الناس وعلا أمره حتّى ضربت له الركبان من أطراف الأرض^(٢) ، وكان اسمه عبداً ، ثمّ أضيف إلى مناف ف قيل له : «عبد مناف» وهذا هو الصحيح المأثور .

وأما ما أثبتّه ابن دحلان في السيرة النبوية من أن أمّه اخدمته صنماً اسمه مناف ، بعيد عن الصواب ؛ إذ لا شكّ في نزاهة آباء النّبي وأمّهاته في جميع أدوار حياتهم من الخضوع للأصنام كرامة لحبيبه وصفيّه الرسول الأعظم ، فليس بصحيح ما يقال : من أنّ في آباء النّبي وأمّهاته من يعبد الصنم ، أو يخضع له ؛ لشهادة ما تقدّم من

(١) السيرة الحلبية ١ : ٢١ .

(٢) إثبات الرصيه : ٧٥ .

الأحاديث عليه ، وإليه أشار البوصيري :

لَمْ تَزَلْ فِي ضَمَائِرِ الْكَوْنِ تَخْتَارُ لَكَ الْأُمَمَاتُ وَالْآبَاءُ^(١)

على أنه لم يكن من الأصنام اسمه « مناف » ، وإنما الموجود « مناة » بالتاء المثناة من فوق ، ومن هنا كان يقول ابن الكلبي في كتاب الأصنام : ٣٢ : « لا أدري أين كان هذا الصنم ؟ ولمن كان ؟ ومن نصبه »^(٢) .

ومنه نعرف الغلط في قول البرقي والزيبر : أَنَّ أُمَّهُ أَخْدَمَتْهُ مَنَاةُ (بالتاء المثناة من فوق) فسمي عبد مناة ، ولكن رأي قصي يوافق عبد مناة بن كنانة فحوّله عبد مناف .

وكان بيت عبد مناف أشرف بيوتات قريش^(٣) ، ولسيادته كان عنده قوس إسماعيل ولواء نزار .

ومن وصيته ما وجد مكتوباً في بعض الأحجار : أوصني قريشاً بتقوى الله جلّ جلاله وصلة الرحم^(٤) .

وجرى ابنه هاشم على سيرته حتّى فاق قريشاً وسائر العرب ، واذعنوا له ، وكان يُطعم الحجاج ، كما كان يصنع أبوه . وأصاب قريشاً سنة مُجْدِبَةٌ ، فخرج هاشم إلى الشام واشترى الدقيق والكعك ، فهشم الخبز ، ونحر الجزر ، وأطعم الناس حتّى أشبعهم . وكانت مائدته منصوبة لا ترفع في السراء والضراء ، وكان يحمل ابن السبيل ، ويؤمن الخائف ، وإذا أهل هلال ذي الحجة قام في صبيحته وأسند

(١) السيرة الحلبية ١ : ٧١ .

(٢) معجم البلدان للحموي ٥ : ٢٠٣ والعبارة التي فيه : « ولا أدري أين كان ؟ ولا من كان نصبه » .

(٣) سبل الهدى والرشاد ١ : ٢٧٢ .

(٤) السياسة الشرعية لابن تيمية ١ : ٥٧ .

ظهره الى الكعبة من تلقاء بابها وخطب الناس فقال :
 « يا معشر قريش ؛ إنكم سادة العرب ، أحسنها وجوهاً ،
 وأعظمها أحلاماً ، وأوسطها نسباً ، وإنكم جيران بيت الله ، أكرمكم
 الله بولايته ، وخصكم بجواره دون بني إسماعيل ، وإنه يأتيكم زوار
 الله يعظمون بيته ، فهم أضيافه ، وحق من أكرم أضياف الله أنتم ؛
 فأكرموا ضيفه وزواره ، فإنهم يأتونه غبراً من كل بلد ، على ضوامر
 كالقداح ، فوربّ هذه البنية لو كان لي مال يحتمل ذلك لكفيتموه ،
 وأنا مخرج من طيب مالي وحلالي ما لم يقطع فيه رحم ، ولم يؤخذ
 بظلم ، ولم يدخل فيه حرام ، فمن شاء منكم أن يفعل مثل ذلك
 فعل . وأسألكم بحرمة هذا البيت أن لا يخرج رجل منكم من ماله -
 لكرامة زوار بيت الله وتقويتهم - إلا طيباً ، لم يقطع فيه رحم ، ولم
 يؤخذ غصباً » .

فكانوا يجتهدون في ذلك ، ويخرجون من أموالهم ، ويضعونه
 في دار الندوة^(١) .

وكان هاشم يطعم الحاج بمكة ومنى وعرفة وجمع^(٢) .
 وهو أول من سنّ لقريش الرحلتين ؛ رحلة إلى اليمن ورحلة إلى
 الشام ، وأخذ لهم من ملوك الروم وغسان ما يعتصمون به^(٣) ؛ وذلك
 إنّ تجار قريش لم تعد تجارتهم نفس مكة وضواحيها ، وإنما تقدّم
 عليهم الأعاجم بالسلع ، فيشترونها ، حتّى رحل هاشم إلى الشام

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١٥ : ٢١١ ، السيرة الحلبية ١ : ٩ ، سبل
 الهدى والرشاد ١ : ٢٧٠ .

(٢) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١٥ : ٢١١ ، تاريخ الطبري ٢ : ١٢ .

(٣) تاريخ الطبري ٢ : ١٢ ، الكامل في التاريخ ٢ : ١٦ .

ونزل على قيصر ، فأعجبه حسن خلقه وجمال هيئته وكرمه المنهمر ، فلم يحجبه ، وأذن له بالقدوم عليه بالتجارة ، وكتب أماناً بينهم ، فارتقت منزلة هاشم بين الناس ، فكان يسافر في الشتاء إلى اليمن وفي الصيف إلى الشام ، وشرك في تجارته رؤساء القبائل من العرب ومن ملوك اليمن والشام ، وجعل له معهم ربحاً ، وساق لهم إبلاً مع إبله ، وكفاهم مؤونة الأسفار على أن يكفوه مؤونة الأعداء في طريقه ومنصرفه ، فكان في ذلك صلاح عام للفريقين ، فكان المقيم رابحاً ، والمسافر محفوظاً ، فأخصبت قريش بذلك ، وأتاها الخير من البلاد العالية والسافلة ببركة هاشم ، وهذا هو الإيلاف المذكور في القرآن المجيد^(١).

وكان يقول في خطبته : « أيُّها الناس نحن آل إبراهيم ، وذرية إسماعيل ، وبنو النضر بن كنانة ، وبنو قصي بن كلاب ، وأرباب مكة ، وسكان الحرم ، لنا ذروة الحسب ، ومعدن المجد ، ولكل في كل خلف يجب عليه نصرته وإجابة دعوته ، إلّا ما دعا إلى عقوق عشيرة وقطع رحم .

يا بني قصي ، أنتم كغصني شجرة أيُّهما كسر أوحش صاحبه ، والسيف لا يصابان إلّا بغمده ، ورامي العشيرة يصيبه سهمه ، ومن أمحكه اللجاج وأخرجه إلى البغي .

أيُّها الناس ، الحلم شرف ، والصبر ظفر ، والمعروف كنز ، والجود سؤدد ، والجهل سفه ، والأيام هول ، والدهر غير ، والمرء منسوب إلى فعله ، وما أخذ بعمله ، فاصطنعوا المعروف تكسبوا الحمد ، ودعوا الفضول تجانبكم السفهاء ، وأكرموا الجليس يعمر

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١٥ : ٢١٠ .

ناديكم ، وحاموا الخليط يرغب في جواركم ، وأنصفوا من أنفسكم يوثق بكم ، وعليكم بمكارم الأخلاق فإنها رفعة ، وإياكم والأخلاق الدنيّة فإنها تضع الشرف ، وتهدم المجد ، وإنّ نهضة الجاهل أهون من جريرته ، ورأس العشيرة يحمل أثقالها ، ومقام الحلیم عظة لمن انتفع به»^(١) .

ولنور النبوة الحال في جبهته كان وجهه يضيء في الليلة الظلماء ، ولم يمرّ بحجر ولا شجر إلّا ناداه : أبشر يا هاشم ، سيظهر من ذريّتك أكرم خلق الله مُحَمَّد خاتم النبيّين .
وأوصاه أبوه - عبد مناف - بما أوصاه به أبوه قصي : أن لا يضع نور النبوة إلّا في الأرحام الطاهرات من النساء ، وأخذ عليه العهد بذلك ، فقبل .

وقد تقدّم أنّها موروثه من آدم عليه السلام ، ومن هنا رغب الأشراف من الأكاسرة والقيصرة في مصاهرة هاشم وهو يابى ، حتّى إذا رأى في المنام قائلاً يقول : عليك بسلمى بنت عمرو بن لبيد بن حداد ابن زيد بن عامر بن غنم بن مازن من بني النجار ، فإنّها طاهرة مطهّرة الأذيال ، ليس لها مشبه من النساء ، فادفع المهر الجزيل ، فإنّك ترزق منها ولداً يكون منه النبيّ ، فمشى هاشم وأخوه المطلب وبنو عمّه إلى المدينة ومعهم لواء نزار وعليهم أفخر الثياب والدروع .

ولمّا اجتمع القوم خطب المطلب بن عبد مناف فقال : «نحن وفد بيت الله الحرام ، والمشاعر العظام ، وإلينا سعت الأقدام ، وأنتم تعلمون شرفنا وسؤددنا ، وما خصّنا به الله من النور الساطع والضياء

(١) جمهرة خطب العرب ، لأحمد زكي صفوت ١ : ٧٣ ، نقلاً عن آباء الأنبياء كلهم مؤمنون ، مركز المصطفى .

اللامع ، ونحن بنو لؤي بن غالب ، قد انتقل هذا النور إلى عبد مناف ،
ثم إلى أخينا هاشم ، وهو معنا من آدم عليه السلام ، وقد ساقه الله إليكم ،
وأقدمه عليكم ، فنحن لكريمتكم خاطبون ، وفيكم راغبون .
فأجابه عمرو - أبو سلمى - بالقبول والإنعام ، وساقوا المهر كما
أرادوا .

ولما تزوج منها هاشم ، ودخل بها ، وحملت بعبد المطلب
انتقل إليها النور ، وما زالت تسمع البشائر بولادة خير البشر فأفزعها
ذلك ، إلا أن هاشماً عرفها أمر النبي ^(١) .

فلما ولدت عبد المطلب كان يدعى (شيبة الحمد) ؛ لكثرة
حمد الناس له ، لكونه مفزع قريش في النوائب ، وملجأهم في
الأُمور ، فكان شريف قومه وسيدهم كمالاً ورفعةً ، غير مدافع عن
ذلك ، وهو من حلماة قريش وحكمائها .

وقد سنّ أشياء أمضاها له الإسلام : حرّم نساء الآباء على
الأبناء ، ووجد كنزاً أخرج خمسه وتصدّق به ، وسنّ في القتل مائة
من الإبل ، ولم يكن للطواف عدد عند قريش . فسنّه سبعة أشواط ،
وقطع يد السارق ، وحرّم الخمر والزنا ، وأن لا يطوف بالبيت عريان ،
ولا يستقسم بالأزلام ، ولا يؤكل ما ذبح على النصب ^(٢) .

ومما يؤثر عنه : « الظلوم لن يخرج من الدنيا حتّى ينتقم منه ،
وإنّ وراء هذا الدار دار يجزى فيها المحسن بإحسانه والمسيء
بإساءته ، وإذا لم تصب الظلوم في الدنيا عقوبة فهي معدة له في

(١) بحار الأنوار ١٥ : ٤٠ .

(٢) الخصال : ٣١٣ ، الدر النظيم : ٧٩٨ .

الآخرة»^(١).

وقيل له : الفيّاض ؛ لكثرة جوده ونائله ، حتّى إنّ مائدته يأكل منها الراكب ، ثمّ ترفع إلى جبل أبي قبيس لتأكل منها الطير والوحوش^(٢).

ولعزه المنيع وشرفه الباذخ كان يفرش له بإزاء الكعبة ، ولم يفرش لأيّ أحد غيره ، ولا يجالسه على بساط الأبهة إلّا نبيّ العظمة^(٣) ، وإذا أراد أحد أعمامه أن ينحيه صاح به عبد المطلب وقال : « إنّ له لشأناً وملكاً عظيماً »^(٤).

ولا غرو في ذلك بعد أن كان وصيّاً من الأوصياء وقارئاً للكتب السماوية ، ولقد أخبر أبو طالب رسول الله ﷺ فقال : « كان أبي يقرأ الكتب جميعاً » وقال : « إنّ من صلبى نبياً ، لوددت أنّي أدركت ذلك الزمان فأمنت به ، فمن أدركه من ولدي فليؤمن به »^(٥).

وقال أمير المؤمنين عليه السلام : « واللّه ما عبدَ أبي ولا جدّي عبد المطلب ولا عبد مناف ولا هاشم صنماً ، وإنّما كانوا يعبدون الله ، ويصلّون إلى البيت على دين إبراهيم ، متمسّكين به »^(٦).

وكان أبو طالب سيّد البطحاء شبيهاً بأبيه شيبة الحمد ، عالماً بما جاء به الأنبياء ، وأخبرت به أمهم من حوادث وملاحم ؛ لأنّه

(١) الغدير ٧ : ٣٥٣ ، عقيدة أبي طالب للرفاعي : ٧٢ .

(٢) السيرة الحلبية ١ : ٦ .

(٣) تاريخ يعقوبي ٢ : ١٢ .

(٤) المصدر السابق .

(٥) بحار الأنوار ٣٥ : ١٤٧ .

(٦) كمال الدين وتمام النعمة : ١٧٥ ، بحار الأنوار ١٥ : ١٤٤ وغيرها من المصادر .

وصي من الأوصياء ، وأمين على وصايا الأنبياء حتى سلمها إلى النبي^(١).

قال درست بن منصور : قلت لأبي الحسن الأول : أكان رسول الله ﷺ محجوجاً بأبي طالب؟

قال : « لا ، ولكن كان مستودع الوصايا فدفعها إلى النبي ﷺ »

قلت : دفعها إليه على أنه محجوج به؟

قال عليه السلام : « لو كان محجوجاً به ما دفعها إليه » .

قلت : فما كان حال أبي طالب؟

قال : « أقرّ بالنبي وبما جاء به حتى مات »^(٢).

وقال المجلسي : « أجمعت الشيعة على أن أبا طالب لم يعبد

صنماً قط ، وأنه كان من أوصياء إبراهيم الخليل عليه السلام »^(٣).

وحكى الطبرسي إجماع أهل البيت على ذلك ، ووافقه ابن

بطريق في كتاب المستدرک .

وقال الصدوق : « كان عبد المطلب وأبو طالب من أعرف

العلماء وأعلمهم بشأن النبي ، وكانا يكتمان ذلك عن الجهال

والكفرة »^(٤).

ومما يشهد على أنه كان على دين التوحيد وملة إبراهيم ، أن

قريشاً لما أبصرت العجائب ليلة ولادة أمير المؤمنين ، خصوصاً لما

أتوا بالآلهة إلى جبل أبي قبيس ليسكن بهم ما شاهدوه ارتجّ الجبل ،

(١) بحار الأنوار ٣٥ : ٧٤ .

(٢) الكافي ١ : ٤٤٥ ، ح ١٨ .

(٣) بحار الأنوار ٣٥ : ١٣٨ ، والعبارة فيها تقديم وتأخير .

(٤) كمال الدين وتمام النعمة : ١٧١ ، الخرائج والجرائح ٣ : ١٠٧٤ ، وفي آخر

الحديث : « عن الجهال ، وأهل الكفر والضلال » .

وتساقطت الأصنام ، ففرعوا إلى أبي طالب ؛ لأنه مفرع اللاجىء ،
وعصمة المستجير ، وسألوه عن ذلك ، فرفع يديه مبتهلاً إلى المولى
جل شأنه قائلاً : «إلهي أسألك بالمحمّدية المحمّودة ، والعلوية
العالية ، والفاطمية البيضاء إلا تفضّلت على تهامة بالرأفة والرحمة ،
فسكن ما حلّ بهم ، وعرفت قريش هذه الأسماء قبل ظهورها ،
فكانت العرب تكتب هذه الأسماء وتدعو بها عند المهمات ، وهي لا
تعرف حقيقتها»^(١) .

ومن هنا اعتمد عليه عبد المطلب في كفالة الرسول وخصّه به
دون بنيه وقال :

عبد منافٍ وهو ذو تجارب	وصيت من كنيته بطالب
بابن الذي قد غاب غير آئب	بابن الحبيبٍ أكرم الأقارب
	فقال أبو طالب :

إني سمعتُ أعجبَ العجائبِ	لا تُوصني بلازمٍ وواجبٍ
بأنّ بحمد الله قول الراهب ^(٢)	من كلّ حبرٍ عالمٍ وكاتبٍ

فقال عبد المطلب : «أنظر يا أبا طالب أن تكون حافظاً لهذا
الوحيد الذي لم يشم رائحة أبيه ، ولم يذق شفقة أمّه ، أنظر أن
يكون من جسّدك بمنزلة كبّدك ، فلإني قد تركت بني كلّهم وخصصتك
به ، لأنك من أم أبيه ، وأعلم فإن استطعت أن تتبعه فافعل ، وانصره
بلسانك ويدك ومالك ، فإنه والله سيسودكم ويملك ما لا يملك أحد
من آبائي ، هل قبلت وصيتي ؟»
قال : «نعم ، قد قبلت ، والله على ذلك شاهد» .

(١) روضة الواعظين : ٧٨ ، مناقب آل أبي طالب ٢ : ٢٢ ، الدر النظيم : ٢٣١ .

(٢) مناقب آل أبي طالب ١ : ٣٤ ، بحار الأنوار ٣٥ : ٨٥ ، الدر النظيم : ٢١١ .

فقال عبد المطلب : «الآن خفف عليّ الموت» ، ولم يزل يقبله ويقول : «اشهد أنّي لم أر أحداً في ولدي أطيب ريحاً منك ولا أحسن وجهاً»^(١).

وفرّح أبو طالب بهذه الحظوة من أبيه العطوف ، وراح يدّخر لنفسه السعادة الخالدة بكفالة نبيّ الرحمة ، فقام بأمره ، وحماه في صغره بماله وجاهه من اليهود والعرب وقريش ، وكان يؤثره على أهله ونفسه ، وكيف لا يؤثره وهو يشاهد من ابن أخيه ولمّا يبلغ التاسعة من عمره هيكل القدس يملأ الدست هيبةً ورجاحة ، أكثر ضحكه الابتسام ، ويأنس بالوحدة أكثر من الاجتماع .

وإذا وضع له الطعام والشراب لا يتناول منه شيئاً إلا قال : «بسم الله الأحد» ، وإذا فرغ من الطعام حمّد الله وأثنى عليه ، وإن رصده في نومه شاهد النور يسطع من رأسه إلى عنان السماء^(٢).

وكان يوماً معه بذى المجاز ، فعطش أبو طالب ولم يجد الماء ، فجاء النبي إلى صخرة هناك وركلها برجله ، فنبع من تحتها الماء العذب^(٣). وزاد على ذلك توفر الطعام القليل في بيته حتّى إنّه يكفي الجمع الكثير إذا تناول النبي منه شيئاً^(٤).

وهذا وحده كافٍ في الإذعان بأن أبا طالب كان على يقين من نبوة ابن أخيه محمد ﷺ .

(١) كمال الدين وتمام النعمة : ١٧٢ ، وعنه المجلسي في بحار الأنوار ١٥ : ١٤٣ .

(٢) انظر مناقب آل أبي طالب ١ : ٣٦ - ٣٧ ، وعنه المجلسي في بحار الأنوار ١٥ : ٢٣٥ .

(٣) السيرة الحلبية ١ : ١٩١ .

(٤) المصدر السابق ١ : ١٨٩ .

أضف إلى ذلك قوله في خطبته لما أراد أن يزوجه من خديجة : « وهو والله بعد هذا له نبأ عظيم ، وخطر جليل »^(١) .
وفي وصيته لقريش : « إني أوصيكم بمحمد خيراً ، فإنه الأمين في قريش ، والصدّيق في العرب ، وهو الجامع لكل ما أوصاكم به ، وقد جاء بأمر قبله الجنان »^(٢) .

ولما جاء العباس بن عبد المطلب يخبره بتألب قريش على معاداة الرسول قال له : « إنَّ أبي أخبرني أنَّ الرسول على حق ، ولا يضرّه ما عليه قريش من معاداة له ، وإنَّ أبي كان يقرأ الكتب جميعاً ، وقال : إنَّ من صلّبي نبياً لوددت أني أدركته فأمنت به ، فمن أدركه فليؤمن به »^(٣) .

واستشهاده بكلمة أبيه القارئ للكتب ، مع أنّه كان يقرؤها مثله ، يدلُّنا على تفنّنه في تنسيق القياس وإقامة البرهان على صحة النبوة ، وأنَّ الواجب اعتناق شريعته الحقّة .

أمّا هو نفسه فعلى يقين من أنَّ رسالة ابن أخيه خاتمة الرسل ، وهو أفضل من تقدّمه قبل أن يشرق نور النبوة على وجه البسيطة ،

(١) السيرة الحلبية ١ : ٢٢٦ ، إمتاع الاسماع للمقرئزي ٦ : ٢٩ ، تفسير البحر المحيط ٣ : ١١٠ .

(٢) السيرة الحلبية ٢ : ٤٩ ، الغدير ٧ : ٣٦٦ . وقد ذكر المصادر الموردة للحديث .

(٣) الفتوح لابن أعثم الكوفي ٢ : ٥٥٧ ، الغدير ٧ : ٣٤٨ . وقد ذكر المصادر الموردة للحديث ثم قال : « قال الأميني : أترى أنَّ أبا طالب يروي ذلك عن أبيه مطمئناً به ، وينشط رسول الله ﷺ هذا التنشيط لأوّل يومه ، ويأمره بإرشاد أمره والإشادة بذكر الله ، وهو مخبت بأنّه هو ذلك النّبي الموعود بلسان أبيه والكتب السالفة ، ويتكهن بخضوع العرب له ؛ أتراه سلام الله عليه يأتي بهذه كلّها ثم لا يؤمن به؟! إنَّ هذا إلا اختلاق .

ولم تجهل لديه صفات النبي المبعوث .
وعلى هذا الأساس أخبر بعض أهل العلم من الأحرار حينما
أسر إليه بأن ابن أخيه محمد الروح الطيبة ، والنبي المطهر على لسان
التوراة والانجيل ، فاستكتمه أبو طالب الحديث كي لا يفشوا الخبر ،
ثم قال له : «إنّ أبي أخبرني أنّه النبي المبعوث ، وأمر أنّ أستر ذلك
لئلا يغري به الأعادي» .

ولو لم يكن معتقداً صدق الدعوة لما قال لأخيه حمزة لما
أظهر الإسلام .

فَصَبْرُ أبا يَعْلَى عَلَى دِينِ أَحْمَدِ

وَكُنْ مَظْهَرًا لِلدِّينِ وَفَقْتُ صَابِرًا

وَحَطُّ مَنْ أَتَى بِالدِّينِ مِنْ عِنْدِ رَبِّهِ

بِصَدَقٍ وَحَقٍّ لَا تَكُنْ حَمَزَ كَافِرًا

فَقَدْ سَرَّنِي إِذْ قُلْتَ إِنَّكَ مُؤْمِنٌ

فَكُنْ لِرَسُولِ اللَّهِ فِي اللَّهِ نَاصِرًا

وَنَادِ قُرَيْشًا بِالَّذِي قَدْ أَتَيْتَهُ

جَهَارًا وَقُلْ مَا كَانَ أَحْمَدَ سَاحِرًا^(١)

وقال راداً على قریش :

أَلَمْ تَعْلَمُوا أَنَّا وَجَدْنَا مُحَمَّدًا

نَبِيًّا كَمُوسَى خَطُّ فِي أَوَّلِ الْكُتُبِ^(٢)

(١) مناقب آل أبي طالب ١ : ٥٦ ، كنز الفوائد للكراجكي : ٧٩ ، الغدير ٧ : ٣٥٧ ، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١٤ : ٧٦ .

(٢) مناقب آل أبي طالب ١ : ٥٧ ، كنز الفوائد للكراجكي : ٧٩ ، البداية والنهاية لابن كثير ٣ : ١٠٨ ، السيرة النبوية لابن هشام ١ : ٢٣٥ .

وقال :

وَأَمْسَى ابْنُ عَبْدِ اللَّهِ فِيْنَا مُصَدِّقًا

على سخطٍ من قَوْمنا غيرِ معْتَبٍ^(١)

وقال :

أَمِينٌ مُحِبٌّ فِي الْعِبَادِ مَسْوَمٌ بِخَاتَمِ رَبِّ قَاهِرٍ لِلْخَوَاتِمِ
يَرَى النَّاسَ بُرْهَانًا عَلَيْهِ وَهَيْبَةً وَمَا جَاهِلٌ فِي فَعْلِهِ مِثْلَ عَالِمِ
نَبِيٍّ أَتَاهُ الْوَحْيُ مِنْ عِنْدِ رَبِّهِ فَمَنْ قَالَ لَا يَقْرَعُ بِهَا سِنَّ نَادِمِ^(٢)
وَمِمَّا خَاطَبَ بِهِ النِّجَاشِي :

تَعْلَمُ خِيَارُ النَّاسِ أَنَّ مُحَمَّدًا

وَزَيْرٌ لِمُوسَى وَالْمَسِيحِ بْنِ مَرْيَمَ

أَتَى بِالْهَدْيِ مِثْلَ الَّذِي أَتَى بِهِ

فَكُلٌّ بِأَمْرِ اللَّهِ يَهْدِي وَيَعْصِمُ

وَإِنَّكُمْ تَتْلُونَهُ فِي كِتَابِكُمْ

بِصَدَقِ حَدِيثٍ لَا حَدِيثَ الْمُتَرْجِمِ

فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ نِدَاءً وَأَسْلَمُوا

فَإِنَّ طَرِيقَ الْحَقِّ لَيْسَ بِمُظْلَمٍ

وقال :

اذهب بُنَيَّ فَمَا عَلَيْكَ غَضَاضَةً اذهب وَقَرَّ بِذَاكَ مِنْكَ عِيُونًا
وَاللَّهِ لَنْ يَصِلُوا إِلَيْكَ بِجَمْعِهِمْ حَتَّى أُوسِدَ فِي التَّرَابِ دَفِينًا
وَدَعَوْتَنِي وَعِلِمْتُ أَنَّكَ نَاصِحِي وَلَقَدْ صَدَقْتَ وَكُنْتَ قَبْلُ أَمِينًا

(١) مناقب آل أبي طالب ١ : ٥٨ ، سيرة ابن إسحاق : ١٤٥ ، الدر النظيم للعالمي : ٢١٦ .

(٢) كنز الفوائد للكرجكي : ٧٩ ، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١٤ : ٧٣ .

وذكرت ديناً لا محالة أنه من خير أديان البرية ديناً^(١)
وبعد هذه المصارحة هل يخالج أحداً الريب في إيمان أبي
طالب؟

وهل يجوز على من يقول : «إننا وجدنا محمداً كموسى نبياً» إلا
الاعتراف بنبوته والإقرار برسالته كالأنبياء المتقدمين؟
وهل يكون إقرار بالنبوة أبلغ من قوله : «فأمسى ابن عبد الله
فيما مصداً»؟

وهل فرق بين أن يقول المسلم : أشهد أن لا إله إلا الله وبين أن
يقول :

وإن كان أحمد قد جاءهم بصدق ولم يتهم بالكذب^(٢)
أو يعترف الرجل بأن محمداً كموسى وعيسى جاء بالهدى
والرشاد مثل ما أتيا به ثم يحكم عليه بالكفر؟!
وهل هناك جملة يعبر بها عن الإسلام أصرح من قول المسلم :
وذكرت ديناً لا محالة أنه من خير أديان البرية ديناً؟
كلّا! ولو لم يعرف أبو طالب من ابن أخيه الصدق فيما أخبر به
لما قال له بمحضر قريش ليريه من فضله وهو به خير وجنانه
طامن : «يا بن أخي الله أرسلك»؟

(١) مناقب آل أبي طالب ١ : ٣٠١ ، بحار الأنوار ٣٥ : ٨٧ ، الغدير ٧ : ٣٣٤ ،
فتح الباري ٧ : ١٤٨ ، تخريج الأحاديث والآثار للزيلعي ١ : ٤٣٥ ، الكشف عن
حقائق التنزيل وعيون الأقاويل للزمخشري ٢ : ١٢ ، تفسير الثعلبي ٤ : ١٤١ ،
تفسير البغوي ٢ : ٩١ ، زاد المسير لابن القيم ٢ : ١٧ ، تاريخ الإسلام للذهبي
١ : ١٥٠ ، البداية والنهاية لابن كثير ٣ : ٥٦ ، السيرة الحلبية ١ : ٤٦٢ ، وغيرها
من المصادر الكثيرة التي نقلت هذا الشعر بتمامه أو بعض المقاطع منه .
(٢) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١٤ : ٦٢ ، سيرة ابن إسحاق : ١٤٤ .

قال : « نعم » .

قال : « إنَّ للأنبياء معجزة وخرق عادة فأرنا آية ؟ »

قال ﷺ : « يا عم ادع تلك الشجرة وقل لها : يقول لك محمد بن عبد الله : أقبلي بإذن الله ! فدعاها أبو طالب فأقبلت حتى سجدت بين يديه ، ثم أمرها بالانصراف فانصرفت ، فقال أبو طالب : « أشهد أنك صادق » ، ثم قال لابنه علي عليه السلام : « يا بني ألزمه »^(١) .

وقال يوماً لعلي : « ما هذا الذي أنت عليه ؟ »

قال : « يا أبة آمنت بالله ورسوله ، وصدقت بما جاء به ، ودخلت معه واتبعته » . فقال أبو طالب : « أما أنه لا يدعك إلا إلى خير فالزمه »^(٢) .

وهل يجد الباحث بعد هذا كله ملتحدًا عن الجزم بأن شيخ الأبطح كان معتنقًا للدين الحنيف ، ويكافح طواغيت قريش حتى بالإتمام مع النبي في صلابة ، وإن أهمله فريق من المؤرخين رعاية لما هم عليه من حبّ الوقعة في أبي طالب ورميه بالقذائف ، حنقًا على ولده (الإمام) الذي لم يتسنّ لهم أي غميلة فيه ، فتحاملوا على أمه وأبيه ، إيذاءً له ، واكتارًا لنظائر من يرومون إكباره وإجلاله ممن سبق منهم الكفر ، وحيث لم يسعهم الحظّ من كرامة النبي أو الوصي عمدوا إلى أبويهما الكريمين فعزوا إليهما الطامات ، وربما ستروا ما يؤثر عنهما من الفضائل إيثارًا لما يروقههم اثباته!!

(١) بحار الأنوار ٣٥ : ١١٥ ، الغدير ٧ : ٣٩٦ .

(٢) مناقب آل أبي طالب ١ : ٣٠١ ، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١٣ :

٢٠٠ ، تفسير الثعلبي ٥ : ٨٥ ، تاريخ الطبري ٢ : ٥٨ ، السيرة الحلبية ١ :

٤٣٦ ، سبل الهدى والسلام للصالحى الشامي ٢ : ٣٠١ .

ويشهد لذلك ما ذكره بعض الكتاب عند ذكرى أسرى بدر فقال : « وكان من الأسرى عمّ النبي ، وعقيل ابن عمه (أخو علي) »^(١).

فإنه لو كان غرضه تعريف المأسور لكان في تعريف عقيل بأنه ابن عمّ النبي كفاية ، كما اكتفى في تعريف العباس بأنه عمّ النبي ، ولم يحتج أن يكتب بين قوسين (أخو علي) ، وأنت تعرف المراد من ذكر هذه الكلمة بين قوسين ، وإلى أي شيء يرمز بها الكاتب ، ولكن فاته الغرض وهيئات الذي أراد ففشل .

ثمّ جاء فريق آخر من المؤرّخين يحسبون حصر المصادر في ذوي الأغراض المستهدفة ، وأنّ ما جاءوا به حقائق راهنة ، فاقصر على مروياتهم ممّا دبّ ودرّج ، وفيها الخرافات وما أوحته إليهم الأهواء والنوايا السيئة ، ومن هنا أهملت حقائق ورويت أباطيل . فعزوا إلى أبي طالب قوله : « إنّي لا أحبّ أن تعلوني أستي »^(٢)!

(١) تاريخ الأمة العربية : ٨٤ ، مطبعة الحكومة ، بغداد ، ١٩٣٩ م .

(٢) مسند أحمد ١ : ٩٩ ، مجمع الزوائد للهيثمى ٩ : ١٠٢ وقال : « رواه أحمد وأبو يعلى باختصار ، والبزار والطبراني في الأوسط وإسناده حسن » ، مسند أبي داود الطيالسي : ٢٦ ، السيرة الحلبية ١ : ٤٣٦ .

والجدير بالذكر أنّ الحديث ورد عن طريق يحيى بن سلمة بن كهيل ، عن أبيه ، عن حبة العرني ، عن علي وعليه فالكلام يقع في مقامين :

الأول : في سند الحديث

والثاني : في متن الحديث .

أمّا سند الحديث فلا يحتاج إلى كثير مؤونة ؛ لأنّ يحيى بن سلمة بن كهيل ضعيف ، قال الذهبي في ميزان الاعتدال ٤ : ٩٥٢٧/٣٨١ : « يحيى بن سلمة بن كهيل عن أبيه :

قال أبو حاتم وغيره : منكر الحديث .

ثُمَّ رَوَوْا عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ لِرَسُولِ اللَّهِ : « مَا هَذَا الدِّينَ » ؟
 قَالَ رَسُولُ اللَّهِ : « دِينَ اللَّهِ ، وَدِينَ مَلَائِكَتِهِ وَرَسُولِهِ ، وَدِينَ أَهْلِ بَيْتِهِ
 إِبْرَاهِيمَ ، بَعَثَنِي اللَّهُ بِهِ إِلَى الْعِبَادِ ، وَأَنْتَ أَحَقُّ مِنْ دَعْوَتِهِ إِلَى الْهُدَى
 وَأَحَقُّ مِنْ أَجَابَتِي » .

= وقال النسائي : متروك .

وقال عباس عن يحيى : ليس بشيء ، لا يكتب حديثه .
 وقال محمد بن إبراهيم بن أبي العنسر : أخبرني يحيى بن سلمة قال : كان
 سفيان الثوري يجيء إلى أبي وهو غلام عليه أقيّة يسمع منه ، فكان أبي
 يعيّرني به ويقول : أنظر إلى هذا الغلام يجيء من بني ثور رغبة في الحديث ،
 وأنت هاهنا لا ترغب فيه ... » .

وارجع إلى غيره تجد ترجمته كما ذكرنا .

وأما الناحية الثانية المتعلقة بمتن الحديث ، فنقول : إنّ صاحب السيرة الحلبية
 ١ : ٤٣٦ قال بعد أن ذكر الحديث : « وهذا - كما لا يخفى - ينبغي أن يكون
 صدر منه قبل ما تقدّم من قوله لابنه جعفر : صل جناح ابن عمك ، وصل على
 يساره ، لما رأى النبي ﷺ يصلي وعلى عليّ يمينه ... » .
 فاذن لا بدّ من تخطي هذا الأمر وإثبات أنّ هذا القول صدر بعد ما أوصى جعفر
 بالصلاة مع النبي ﷺ وأنّى له إثبات ذلك ، مع ما عرفته من حال السند .
 أضف إلى ذلك أنه قال : « وذكر أنّ أبا طالب قال لعليّ : أي بني ما هذا الذي
 أنت عليه ؟ »

فقال : يا أبتِ آمنت بالله ورسوله ، وصدّقت ما جاء به ، ودخلت معه واتبعته !
 فقال : إما إنّه لم يدعك إلا إلى خير فالزمه » .

وعليه فيكون الحديث المتقدم باطلاً ؛ لأنّ المعروف خلافه .

يضاف إلى ذلك تناقض آخر ؛ إذ ذكروا أنّ أبا طالب مات مشركاً ، لا لأجل هذه
 المقولة : « إنّي لا أحبّ أن تعلوني أستي » ، بل لأجل ما ذكروا من قول أبي
 طالب : « إنّي لا أعلم أنّ ما يقوله ابن أخي لحقّ ، ولولا أنّي أخاف أن تعيّرني
 نساء قريش لاتبعته » .

فيكون عدم الاتباع لأجل هذا ، لا ما تقدّم .

فاذن الحديث ضعيف سنداً ، ومن الجهة الأخرى فيه مشاكل مقنية تأبى قبوله
 أو التصديق به ، فيكون من مختلقات العثمانيين .

فقال أبو طالب : «إني لا أستطيع أن أفارق ديني ودين آبائي ،
والله لا يخلص إليك من قريش شيء تكرهه ما حييت»^(١) .
فحسبوا من هذا الكلام أن أبا طالب ممن يعبد الأوثان ، كيف!
وهو على التوحيد أدل!

وجوابه : هذا من أنفس التورية وأبلغ المحاورة ، فإن مراده من
قوله لرسول الله ﷺ عقيب قوله : « أنت أحق من دعوته » : «إني لا
أستطيع أن أفارق ديني ودين آبائي» الاعتراف بإيمانه ، وأنه باقٍ
على الملة البيضاء ، وحنيفية إبراهيم الخليل الذي هو دين الحق
والهدى ، وهو دينه ودين آبائه ، ثم زاد أبو طالب في تطمين النبي
بالمدافة عنه مهما كان باقياً في الدنيا .

نعم ، من لا خبرة له بأساليب الكلام وخواص التورية يحسب
أن أبا طالب أراد بقوله : «إني لا أفارق ديني ... إلى آخره»
الخضوع للأصنام ، فصفق طرباً ، واختال مرحاً .

وجاء الآخر يعتذر عنه بأنه كان يراعي بقوله هذا الموافقة
لقريش ، ليتمكن من كلائة النبي وتمشية دعوته .

نحن لا ننكر أن شيخ الأبطح كان يلاحظ شيئاً من ذلك ويروقه
مداراة القوم في ما يمس بكرامة الرسول للحصول على غايته
الثمنية ، لكننا لا نصافقهم في كل ما يقولون : من انسلاله عن الدين
الحنيف إنسلالاً باتاً ، فإنه خلاف الثابت من سيرته حتى عند رواة
تلك المخزيات ، ومهملي الحقائق الناصعة ، حذراً عما لا يلائم
خطتهم ، فلقد كان يراغم أولئك الطواغيت بما هو أعظم من التظاهر
بالإيمان والائتمام بالصلاة مع النبي .

(١) تاريخ الطبري ٢ : ٥٨ ، الكامل في التاريخ ٢ : ٥٨ .

وإنَّ شعره الطافح بذكر النبوة والتصديق بها سرت به الركبان ،
وكذلك أعماله الناجعة حول دعوة الرسالة :

ولولا أبو طالب وابنه	لما مثل الدين شخصاً فقاماً
فذاك بمكة آوى وحاماً	وهذا بيثرب جس الجمام
تكفل عبد مناف بأمر	وأودى فكان علي تمام
فله ذا فاتح للهدى	ولله ذا للمعالي ختام
وما ضبر مجد أبي طالب	عدو لغا أو جهول تعامى ^(١)

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١٤ : ٨٤ ، قال ابن أبي الحديد المعتزلي : « وصنف بعض الطالبين في هذا العصر كتاباً في إسلام أبي طالب وبعثه إليّ ، وسألني أن أكتب عليه بخطي نظماً أو نثراً ، أشهد فيه بصحة ذلك وبوثاق الأدلة عليه ، فتحرّجت أن أحكم بذلك حكماً قاطعاً ، لما عندي من التوقّف فيه ، ولم استجز أن أقعد عن تعظيم أبي طالب ، فإنّي أعلم أنّه لولاه لما قامت للإسلام دعامة ، وأعلم أنّ حقّه واجب على كلّ مسلم في الدنيا إلى أن تقوم الساعة ، فكتبت على ظاهر المجلد : ولولا أبو طالب وابنه » .
على أنا نقول : إن الأدلة على إيمانه كثيرة ، بينما الأدلة المنقولة عن عدم إيمانه فيها ما هو مرفوض ؛ لأنّ في أسانيدھا من كان يبغض علي بن أبي طالب عليه السلام ، كحديث الضحاح من النار ؛ فإنّه رواية المغيرة بن شعبة ، وهو معلوم البغض والعداوة لأهل البيت عليهم السلام ولعلي عليه السلام بالخصوص ، حيث كان يسبه على المنابر ، ويقيم خطباء على سبه ، فمثل هذا الشخص لا تحلّ عنه الرواية مطلقاً فضلاً عن روايته عن حال أهل البيت عليهم السلام .
والخلاصة : إنّ أبا طالب مؤمن بالله وبرسوله لعدة أدلة لا مطعن لها ، ولا تحتاج إلى تأويل وهي كالتالي :

- ١ - الأشعار الكثيرة التي أطلقها أبو طالب في حقّ الرسول ﷺ ، والذي فيها الصريح بإيمانه وتصديقه برسالة الرسول ﷺ .
- ٢ - إنّ فاطمة بنت أسد زوجة أبي طالب من المسلمات الأوليات وقد بقيت على نكاح أبي طالب ، إلى أن مات ، ولم يفرقها الرسول ﷺ ولا أمر بتفريقهما .
- ٣ - بعض الأحاديث المنقولة عن أبي طالب والتي تدلّ على إسلامه .

وأما أمير المؤمنين فيخرس البليغ عن أن يأتي على صفاته ،
ويقف الكاتب متردداً وما عساه أن يقول في من قال فيه أبوه أبو
طالب ، لما فزعت قريش إليه ليلة ولادة أمير المؤمنين إذا أبصروا
عجائب لم يروها ولم يسمعوها بها :

« أيها الناس سيظهر في هذه الليلة ولي من أولياء الله ، يكمل
فيه خصال الخير ، ويتم به الوصيين ، وهو إمام المتقين ، وناصر
الدين ، وقامع المشركين ، وغيظ المنافقين ، وزين العابدين ، ووصي
رسول رب العالمين ، إمام هدى ، ونجم علا ، ومصباح دجى ، ومبيد
الشرك والشبهات ، وهو نفس اليقين » .

٤ - محبة الرسول ﷺ لأبي طالب معلومة مشهورة ، فهذا يدل على إيمانه
لأن الله تعالى أمر ب بغض المشركين والتبري منهم ، فلو كان مشركاً لا بغضه .
السنن الكبرى للبيهقي ٩ : ١٣١ ، مجمع الزوائد للهيتمي ٦ : ١٥٠ و ١٥١ وقال
عقبيه : « رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح » ، و ٩ : ١٢٠ و ١٢٣ و ١٢٤ و ٣٧١ ،
مسند أبي داود الطيالسي : ٣٢٠ ، المصنف للصنعاني ١١ : ٢٢٨ ، ح ٢٠٣٩٥ ،
المصنف لابن أبي شيبة الكوفي ٧ : ٤٩٦ ، ح ١٥ و ٥٠٠ ، ح ٣٣ و ٣٥ و ٣٧
و ٥٠٤ ، ح ٥٦ و ٨ : ٥٢٠ ، ح ٢ و ٧ و ٥٢٢ ، ح ١٠ و ٢٢ ، مسند ابن راهويه
١ : ٢٥٣ ، ح ٢١٩ ، مسند سعد بن أبي وقاص : ٥١ ، ح ١٩ ، كتاب السنة لابن
عاصم : ٥٩٤ ، ح ١٣٧٩ و ١٣٨٠ ، السنن الكبرى للنسائي ٥ : ٤٦ ، ح ٨١٤٩
و ٨١٥١ و ١٠٨ ، ح ٨٣٩٩ و ٨٤٠٠ و ٨٤٠١ و ٨٤٠٢ و ٨٤٠٣ و ٨٤٠٤
و ٨٤٠٥ و ٨٤٠٦ و ٨٤٠٧ و ٨٤٠٨ و ٨٤٠٩ و ١٢٣ ، ح ٨٤٣٩ و ١٤٥ ،
ح ٨٥١١ ، و ١٧٢ ، ح ٨٥٨٧ و ١٧٨ ، ح ٨٦٠١ و ١٧٩ ، ح ٨٦٠٢ و ١٨٠ ،
ح ٨٦٠٣ ، خصائص أمير المؤمنين للنسائي : ٤٩ و ٥٠ و ٥١ و ٥٢ و ٥٣ و ٥٥ و ٥٦
و ٥٧ و ٥٨ و ٥٩ و ٦٠ و ٦١ و ٦٢ و ٨٢ و ١١٦ ، صحيح ابن حبان ١٥ : ٣٧٩ و ٣٨٠
و ٣٨٢ ، المعجم الأوسط للطبراني ١ : ٢٣٩ ، و ٦ : ٥٩ ، المعجم الصغير
للطبراني ٢ : ١١ ، المعجم الكبير للطبراني ٦ : ١٢٧ و ٧ : ١٣ و ١٧ و ٣٥ و ٧٧ ،
الاستيعاب لابن عبد البر ٢ : ٧٨٧ و ٣ : ١٠٩٩ ، الدرر في اختصار المغازي
والسير لابن عبد البر : ١٩٨ و ١٩٩ و ٢٠٠ ، رياض الصالحين للنووي : ١٠٨
و ١٤٥ .

ولم يزل يكرّر هذا القول وهو يتخلّل سكك مكة وأسواقها حتّى أصبح^(١).

ويقول رسول الله ﷺ : «ضربة علي عمرو بن ود تعدل عبادة الثقلين»^(٢).

وقال يوم خيبر : «لأعطين الراية رجلاً يحبّ الله ورسوله ويحبّه الله ورسوله ، لا يرجع حتّى يفتح فأعطاهما لعلي عليه السلام ، وكان الفتح على يده»^(٣).

وبعد هذا فلنقف عن الاتيان بما أودع الله فيه من نفسيات وغرائز ، شكرها له الإسلام .

نعم ، يجب أن نلفت القارئ إلى شيء أكثر البحث فيه رواة الحديث وهو : الإسلام حال الصغر ، وتردّدت الكلمة في الجوامع ، وتضاربت فيها الأقوال ، ولا يهمننا إطالة القول فيها :

(١) روضة الواعظين للنيسابوري : ٧٨ ، بحار الأنوار ٣٥ : ١٠٢ .

(٢) ورد بهذا اللفظ في عوالي اللئالي لابن جمهور الاحسائي ٤ : ٨٦ ، وورد بلفظ : «ضربة علي يوم الخندق أفضل من أعمال أمتي إلى يوم القيامة» وفي المستدرك على الصحيحين للحاكم ٣ : ٣٢ ، شواهد التنزيل للحاكم الحسكاني ٢ : ١٤ ، تاريخ بغداد للبغدادى ١٣ : ١٩ ، تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر ٥٠ : ٣٣٣ .

وكلا الحديثين معناهما واحد ؛ لأنّ الأفضليّة في الأعمال تعني المعادلة إن لم تكن أكثر ، والأمة شاملة للثقلين معاً : الإنس ، والجنّ .

(٣) ورد الحديث بألفاظ مختلفة في : مسند أحمد ١ : ١٨٥ و ٣٣١ و ٢ : ٣٨٤ و ٤ : ٥٢ و ٥ : ٣٣٣ و ٣٥٨ ، صحيح البخاري ٤ : ١٢ و ٢٠ و ٢٠٧ و ٥ : ٧٦ ، كتاب المغازي ، باب غزوة خيبر ، كتاب الجهاد والسير ، باب دعاء النبي ﷺ ، صحيح مسلم ٥ : ١٩٥ ، كتاب الجهاد والسير ، باب غزوة خيبر ، و ٧ : ١٢٠ و ١٢١ و ١٢٢ ، كتاب فضائل الصحابة ، باب فضائل علي عليه السلام ، سنن ابن ماجه ١ : ٤٤ ، ح ١١٧ ، سنن الترمذي ٥ : ٣٠٢ ح ٣٨٠٨ ، فضائل الصحابة للنسائي : ١٥ و ١٦ ، المستدرك على الصحيحين للحاكم ٣ : ٣٨ و ١٠٩ و ١٣٢ و ٤٣٧ .

١ - فلنّا لا نقول : إنّ أمير المؤمنين أوّل من آمن وإن كان هو أوّل من وافق الرسول على مبدأ الإسلام لمّا صدع بالأمر ، ولكنّا نقول : متى « كفر » علي حتّى يؤمن!! وإنّما كان هو وصاحب الدعوة الإلهية عارفين بالدين وتعاليمه ، معتنقين له ، منذ كيانهما في عالم الأنوار قبل خلق الخلق ، غير أنّ ذلك العالم مبدأ الفيض الأقدس ووجودهما الخارجي مجراه ، فمحمّد نبيّ وعلي وصيّ وآدم بين الماء والطين صلّى الله عليهم أجمعين .

٢ - على أنّ نبيّ الإسلام ، وهو العارف بأحكامه ، والذي خطّط لنا التكليف قبل إسلام ابن عمّه ، وأنجز له جميع ما وعده به من الإخوة والصايات والخلافة ، يوم أجاب دعوته وآزره على هذا الأمر وقد أحجم عنه عندما نزلت آية : ﴿ وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ﴾ ^(١) . وهل ترى أنّ النبيّ ﷺ كان يومئذ يجد في شريعته عدم

(١) الشعراء : ٢١٤ . وحديث الإنذار ورد في مصادر متعدّدة ، وبأسانيد لا بأس بها ، فورد بلفظ : « إنّ هذا أخي ووصيي وخليفتي فيكم ، فاسمعوا له وأطيعوه » في : شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١٣ : ٢١١ ، شواهد التنزيل للحسكاني ١ : ٤٨٦ ، تفسير البغوي ٣ : ٤٠٠ ، تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر ٤٢ : ٤٩ ، مناقب علي بن أبي طالب وما نزل من القرآن في علي لابن مردويه الاصفهاني : ٢٩٠ ، تاريخ الطبري ٢ : ٦٣ - وقد حذفه في تفسير فقال في جامع البيان ١٩ : ١٤٩ : « فأياكم يؤازرني على هذا الأمر ، على أن يكون أخي وكذا وكذا »!! وكذلك فعل ابن كثير في البداية والنهاية ٣ : ٥٣ ، - الكامل في التاريخ لابن الأثير ٢ : ٦٣ .

وبلفظ : « فأياكم يبايعني على أن يكون أخي وصاحبي .. » في : مسند أحمد ١ : ١٥٩ ، مجمع الزوائد للهيثمي ٨ : ٣٠٢ وقال : « رواه أحمد ورجاله ثقات » ، السنن الكبرى للنسائي ٥ : ١٢٦ ، خصائص أمير المؤمنين للنسائي : ٨٦ ، تفسير ابن كثير ٣ : ٣٦٣ ، الطبقات الكبرى لابن سعد ١ : ١٨٧ ، تهذيب الكمال المزي ٩ : ١٤٧ ، أمتاع الاسماع للمقريزي ٥ : ١٧٨ .

الجدوى بإسلام مثل علي عليه السلام ، إلا أنه حابه ، كلاً وحاشا...!

وإنما قابله بكلّ ترحيب ، وخوّله ما لا يخوّل أحداً صحة إسلامه عنده ، بحيث كان على أساس رصين ، فاتخذه ردءاً ، كمن اعتنق الدين عن قلبٍ شاعر ، ولبّ راجح ، وعقلية ناضجة يغتم بذلك محاماته ومرضاة أبيه في المستقبل :

وإذا أكبرنا النبي الأعظم ﷺ عن كلّ مدهانة ومصانعة ، فلا نجد مسرحاً في المقام لأيّ مقال إلا أن نقول : إنّ إسلام علي عليه السلام كان عن بصيرة وثبات مقبول عند الله ورسوله وكان ممدوحاً منهما عليه . كما تمّده بذلك أمير المؤمنين عليه السلام غير مرّة وهو أعرف الأمة بتعاليم الدين بعد النبي الكريم فقال : « أنا الصديق الأكبر ، لا يقولها بعدي إلا كاذب مفتر ، صليت مع رسول الله قبل الناس بسبع سنين »^(١) .

(١) سنن ابن ماجه ١ : ٤٤ ، وقال محقق السنن الشيخ محمد عبد الباقي : « في الزوائد : إسناده صحيح . رواه الحاكم في المستدرک عن المنهال ، وقال : صحيح على شرط الشيخين » ، المستدرک للحاكم ٣ : ١١٢ ، المصنف لابن أبي شيبة ٧ : ٤٩٨ ، كتاب السنة لابن أبي عاصم : ٥٨٤ ، السنن الكبرى للنسائي خصائص أمير المؤمنين للنسائي : ٤٦ ، تفسير الثعلبي ٥ : ٨٥ . ومن يقول بأن علياً أسلم صغيراً؟!

نرد عليه فنقول : قد رواوا كما في صحيح مسلم ١ : ١٣٣ ، وفتح الباري ١٠ : ٣٥٤ أن النبي ﷺ لما نزلت عليه ﴿ وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ﴾ دعا رسول الله ﷺ قريشاً وقال : يا بني كعب بن لؤي أنقذوا أنفسكم من النار .. يا بني عبد المطلب أنقذوا أنفسكم من النار ، يا فاطمة أنقذي نفسك من النار فإنّي لا أملك لكم من الله شيئاً .. » مع أن فاطمة سلام الله عليها كانت صغيرة ، إذ هذه الآية في بدء الدعوة العلنية ، وفاطمة سلام الله عليها لا

وقال له رسول الله ﷺ : « أنت أول المؤمنين إيماناً وإسلاماً »^(١).

كما مدحته الصحابة بذلك ، وهم أبصر من غيرهم يوم كانوا يغترفون من مستقى العلم ومنبع الدين .

وعلى هذا الأساس تظافر الثناء عليه من العلماء والمؤلفين والشعراء وسائر طبقات الأمة بأنه أول من أسلم ، لكن هناك ضالع في سيره حسب شيئاً فخائته هاجسته وهوى إلى مدحره الباطل فقال : إن علياً أسلم وهو صغير!! يريد بذلك الحط من مقامه وليس هناك .

٣ - ولو تنازلنا عن جميع ذلك فمن أين علمنا أن اشتراط البلوغ في التكليف كان مشروعاً في أول البعثة ، فلعله كبقية الأحكام التدريجية نزل به الوحي فيما بعد ، ولقد حكى الخفاجي في شرح الشفا ج ٣ ص ١٢٥ في باب دعاء النبي على صبي عن البرهان الحلبي والسبكي : أن اشتراط الأحكام بالبلوغ إنما كان بعد واقعة أحد ، وعن غيرهما أنه بعد الهجرة ، وفي السيرة الحلبية ج ١ ص ٣٠٤ أن الصبيان يومئذ مكلفون وإنما رفع القلم عن الصبي عام خيبر . وعن البيهقي أن

= يتجاوز عمرها ثمان سنين ، ومع ذلك دعاها النبي ﷺ إلى الإسلام وهي لم تكلف بعد ، وتصحيح دعوتها بإعتبار كونها مميزة تفهم فلذلك خاطبها ، فكذلك علي بن أبي طالب فأسلم وهو يعرف ما يقول فلذلك يصح إسلامه ويكون أول المسلمين ، وإلا أن رفض ذلك ، فيلزم سقوط رواية الصحاح حول فاطمة سلام الله عليها ، إذ كيف يقبل مخاطبتها ودعوتها إلى الإسلام وهي صغيرة ، ولا يقبل إسلام علي ابن أبي طالب لكونه صغيراً ، فإن ذلك قسمة ضيزى .

ومن هذا تندفع جميع الإشكالات الموجودة على صغر إسلام علي بن أبي طالب عليه السلام .

الأحكام إنما تعلقت بالبلوغ في عام الخندق أو الحديبية وكانت قبل ذلك منوطة بالتمييز^{(١)(٢)}.

٤ - عليّ أنا معاشر الإمامية نعتقد في أئمة الدين بأنهم حاملون أعباء الحجّة ، متحلّون بحلّي الفضائل كلّها ، منذ الولادة ، كما بعث عيسى في المهد نبياً ، وأوتي الحكم يحيى صبيّاً ، غير أنّهم بين مأمور بالكلام أو مأمور بالسكوت حتّى يأتي أوانه ، فلهم أحكام خاصّة غير أحكام الرعيّة ، ومن أقلّها قبول إجابة الدعوة ونحوها .

(١) هامش مصباح الفقاهة للسيد الخوئي ٢ : ٥١١ .

(٢) السيرة الحلبية ١ : ٤٣٥ وقال عقيب هذا الكلام : « وقد ذكروا أنّ الزبير بن

العوام أسلم وهو ابن ثمان سنين ، وقيل : ابن خمس عشرة سنة ، وقيل : ابن اثنتي عشرة سنة ، وقيل : ابن ستة عشرة سنة .

ومما يدلّ للأوّل ما جاء عن بعضهم كان عليّ والزبير وطلحة وسعد بن أبي وقاص ولدوا في عام واحد ..

ومما يدلّ - أيضاً - ما جاء في كلام بعض آخر : أسلم عليّ بن أبي طالب والزبير بن العوام وهما ابنا ثمان سنين ، وإجماعهم على أنّ عليّاً لم يكن يبلغ الحلم برد القول بأنّ عمره كان إذ ذاك عشر سنين ، أي بناءً على أنّ سن إمكان الاحتلام تسع سنين كما تقول به أئمتنا .

ثمّ قال : أقول : قال بعض متأخري أصحابنا : وإنّما صحت عبادة الصبي المميز ولم يصح إسلامه ؛ لأنّ عبادته نفل والإسلام لا يتنفل به ، وعلى هذا مع ما تقدّم يشكل ما في الامتناع .

وأما عليّ بن أبي طالب فلم يكن مشركاً بالله أبداً ؛ لأنّه كان مع رسول الله ﷺ في كفالته ، كأحد أولاده ، يتبعه في جميع أموره ، فلم يحتاج أن يدعى الإسلام ، فيقال : أسلم .

ثمّ رأيت في الحديث ما يدلّ لما في الامتناع وهو : ثلاثة ما كفروا بالله قط : مؤمن آل ياسين ، وعليّ بن أبي طالب ، وآسية امرأة فرعون .

والذي في العرائس روي عن النبي ﷺ أنّه قال : سباق الأمم ثلاثة لم يكفروا بالله طرفة عين : حزقيل مؤمن آل فرعون ، وحبيب النجار صاحب ياسين ، وعليّ بن أبي طالب - رضي الله تعالى عنهم - وهو أفضلهم .. » .

فإذن ، لا مساع لأَيِّ أحدِ البحث في المسألة .
هذه هي السلسلة الذهبية التي تحلّى بها أبو الفضل وهي
(آباؤه الأكارم) ، وقد اتحد مع كُلِّ حلقة منها الجوهر الفرد ، لاثارة
الفضائل ، فما منهم إلّا من أخذ بعضادتي الشرف ، وملك أزمة
المجد والخطر ، قد ضَمَّ إلى طيب المحتد عظمة الزعامة ، وإلى
طهارة العنصر نزاهة الإيمان ، فلا ترى أيّاً منهم إلّا منارَ هدىً ، وبحرَ
ندىً ، ومثالَ تُقى ، وداعية إلى التوحيد وإلى بسالة وبطولة وإباء
وشمم ، وهم الذين عرقوا في سيّدنا العباس عليه السلام هذه الفضائل كُلّها ،
وإن كان القلم يقف عند انتهاء السلسلة إلى أمير المؤمنين ، فلا
يدري اليراع ما يخطّ من صفات الجلال والجمال ، وأنه كيف عرّقها
في ولدهِ المحبوب (قمر الهاشميين) .

الأعمام

هلمّ معي أيّها القارئ لنقرأ صحيفة بيضاء مختصرة من حياة أعمام أبي الفضل ، الذين هم أغصان تلك الشجرة التي أصلها ثابت وفرعها في السماء ، فإنّ للعمّومة عرقاً يضرب في نفسيّات المولود من فضائل وفواضل ، وقد جاء في الحديث : «الولد كما يشبه أخواله يشبه أعمامه»^(١).

(١) ورد في كمال الدين وتمام النعمة للصدوق : ٣١٤ ، حدّثنا أبي ومحمّد بن الحسن - رضي الله عنهما - قالاً : حدّثنا سعد بن عبد الله . . عن أبي جعفر الثاني محمّد بن علي عليه السلام قال : «أقبل أمير المؤمنين عليه السلام ذات يوم ومعه الحسن بن علي وسلمان الفارسي رضي الله عنهما ، وأمير المؤمنين عليه السلام متكىء على يد سلمان ، فدخل المسجد الحرام ، فجلس ، إذ أقبل رجل حسن الهيئة واللباس ، فسلم على أمير المؤمنين عليه السلام ، فرد عليه السلام فجلس ثمّ قال : يا أمير المؤمنين أسألك عن ثلاث مسائل ، إن أخبرتني بهن علمت أنّ القوم ركبوا من أمرك ما أقضي عليهم أنّهم ليسوا بمؤمنين في دنياهم ولا في آخرتهم ، وإن تكن الأخرى علمت أنّك وهم شرع سواء . فقال له أمير المؤمنين عليه السلام : سلني عمّا بدا لك؟

فقال : أخبرني عن الرجل إذا نام أين تذهب روحه؟ وعن الرجل كيف يذكر وينسى؟ وعن الرجل كيف يشبه ولده الأعمام والأخوال؟

فالتفت أمير المؤمنين إلى أبي محمّد الحسن فقال : يا أبا محمّد أجبه ، فقال : أمّا ما سألت عنه من أمر الإنسان إذا نام أين تذهب روحه ، فإنّ روحه متعلّقة بالريح والريح متعلّقة بالهواء إلى وقت ما يتحرك صاحبها لليقظة ، فإن أذن الله

وقبل الإتيان على ما حباهم به المولى من الآلاء نستعرض
اليسير من حياة عم الرسول ﷺ ، الذي لم يزل يفتخر به في مواطن
شتى ، ألا وهو الحمزة بن عبد المطلب .

وما أدراك ما حمزة؟ وما هو! وهل تعلم ماذا عنى نبي العظمة
من وصفه «بأسد الله وأسد رسوله»^(١)؟ وهل أنه أراد الشدة والبسالة
فحسب؟!

لا ؛ لأنه ﷺ أفصح من نطق بالضاد ، وكلامه فوق كلام
البلغاء ، فلو كان يريد خصوص الشجاعة لكان حق التعبير أن يأتي
بلفظ «الأسد» مجرداً عن الإضافة إلى الله سبحانه وإلى رسوله ، كما
هو المطرد في التشبيه به نظماً ونثراً .

وحيث أضافه الرسول إلى ذات الجلالة والرسالة فلا بد أن
يكون لغاية هناك أخرى ، وليست هي إلا إفادة أن ما فيه من كرم

= عز وجل يرد تلك الروح إلى صاحبها جذبت تلك الروح الريح ، وجذبت
تلك الريح الهواء ، فرجعت الروح ، فاسكنت في بدن صاحبها ...
وأما ما ذكرت من أمر المولود الذي يشبه أعمامه وأخواله ؛ فإن الرجل إذا أتى
أهله فجامعها بقلب ساكن ، وعروق هادئة ، وبدن غير مضطرب ، فاسكنت
تلك الروح النطفة في جوف الرحم خرج الولد يشبه أباه وأمه ، وإن هو أتاها
بقلب غير ساكن وعروق غير هادئة وبدن مضطرب اضطربت تلك النطفة
فوقعت في حال اضطرابها على بعض العروق ، فإن وقعت على عرق من عروق
الأعمام أشبه الولد أعمامه ، وإن وقعت على عرق من عروق الأخوال أشبه
الرجل أخواله .

(١) الكافي للكليني ١ : ٢٢٤ ، ح ٢ ، كامل الزيارات لابن قولويه : ٦٢ ، الأمالي
للشيخ الصدوق : ٥٤٧ ، المستدرک للحاكم ٢ : ١١٩ و ٣ : ١٩٨ ، مجمع الزوائد
للهيتمي ٩ : ٢٦٨ وقال : «ورجاله إلى قائله رجال الصحيح» ، فتح الباري ٧ :
٢٨٦ بلفظ : «إن حمزة مكتوب في السماء أسد الله وأسد رسوله» وغيرها من
المصادر الكثيرة .

وإقدام وبطش وتنمّر مخصوص في نصرة كلمة الله العليا ودعوة الرسول ﷺ ، وهذا أربى من غيره وأرقى ، فكان سلام الله عليه من عمد الدين ، وأعلام الهداية ، ولذلك وجب عليه الاعتراف بفضله ، وبما حباه المولى سبحانه من النزاهة التي لا ينالها أحد من الشهداء ، وكان ذلك من مكملات الإيمان ، وامتّمات العقائد الحقّة .

يشهد له ما في كتاب «الطرف» للسيد ابن طاووس : أن رسول الله قال لحمزة في الليلة التي أُصيب في يومها : «إنك ستغيب غيبة بعيدة ، فما تقول لو سألك الله عن شرائع الإسلام وشروط الإيمان؟» فبكى حمزة وقال : أرشدني وفهمني .

فقال النبي : «تشهد لله بالوحدانية ، ولمحمد بالرسالة ، ولعلي بالولاية ، وأنّ الأئمة من ذرية الحسين ، وأنّ فاطمة سيدة نساء العالمين ، وأنّ جعفر الطيار مع الملائكة في الجنة ابن أخيك ، وأنّ محمداً وآله خير البرية» .

قال حمزة : آمنت وصدّقت .

ثمّ قال رسول الله : «وتشهد بأنك سيّد الشهداء ، وأسد الله وأسد رسوله» .

فلما سمع ذلك حمزة أدهش وسقط لوجهه ، ثمّ قبل عيني رسول الله وقال : أشهدك على ذلك وأشهد الله وكفى بالله شهيداً^(١) .

وإنّ التأمل في الحديث يفيدنا منزلة كبرى لحمزة من الدين والإيمان لا تحدّ ، وإلاّ فما الفائدة في هذه البيعة والاعتراف بعد ما صدر منه بمكة من الشهادة لله بالوحدانية ولرسوله بالنبوة؟!

ولكنه ﷺ أراد لهذه الذات الطاهرة ، التي حلقت بصاحبها إلى ذروة اليقين التحلي بأفضل صفات الكمال ، وهو التسليم لأمير المؤمنين بالولاية العامة ، ولأبنائه المعصومين بالخلافة عن جدّهم الأمين .

وهناك مرتبة أخرى لا يبلغ مداها أحد ، وهي اعتراف حمزة وشهادته بأنه سيّد الشهداء ، وأنه أسد الله وأسد رسوله ، وأن ابن أخيه الطيار مع الملائكة في الجنة . وهذه خاصّة لم يكلف بها العباد فوق ما عرفوه من منازل أهل البيت المعصومين ، وإنّما هي من مراتب السلوك والكشف واليقين .

وإذا نظرنا إلى إكبار الأئمة لمقامه - وهم أعرف بنفسيات الرجال ، حتّى إنهم احتجوا على خصومهم بعمومته وشهادته دون الدين ، كما احتجّوا بنسبتهم إلى الرسول الأقدس ، مع أنّ هناك رجالاً بذلوا أنفسهم دون مرضاة الله تعالى . استفدنا درجة عالية تقرب من درجاتهم ﷺ فهذا أمير المؤمنين يقول : « إنّ قوماً استشهدوا في سبيل الله من المهاجرين ، ولكلّ فضل ، حتّى إذا استشهد شهيدنا قيل : سيّد الشهداء ، وخصّصه رسول الله بسبعين تكبيرة عند صلاته عليه »^(١) .

وفي يوم الشورى احتجّ عليهم به فقال : « أنشدكم الله هل فيكم أحد له مثل عمّي حمزة أسد الله وأسد رسوله »^(٢) !

(١) الاحتجاج ٣ : ٢٥٩ ، بحار الأنوار ٢٢ : ٢٧٢ و ٢٣ : ٥٨ و ٧٨ : ٣٤٨ ، نهج السعادة للمحمودي ٤ : ١٩٢ ، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١٥ : ١٨١ ، جواهر المطالب في مناقب الإمام علي بن أبي طالب : ٣٧٢ ، ينابيع المودة للقندوزي الحنفي ٣ : ٤٤٦ .

(٢) الخصال للشيخ الصدوق : ٥٥٥ ، الأمالي للشيخ الطوسي : ٥٥٤ ، بحار

وقال الإمام المجتبي في بعض خطبه : « وكان ممن استجاب
لرسول الله عمه حمزة وابن عمه جعفر ، فقتلا شهيدين في قتلى
كثيرة معهما من أصحاب رسول الله ، فجعل حمزة سيّد
الشهداء »^(١) .

وقال سيّد الشهداء أبو عبد الله يوم الطفّ : « أوليس حمزة
سيّد الشهداء عمّ أبي »^{(٢)؟!}

إلى غير ذلك ممّا جاء عنهم في الإشادة بذكره حتّى إنّ رسول
الله لم يزل يكرّر الهتاف بفضله ، ويعرّف المهاجرين والأنصار بما
امتاز به أسدّ الله وأسدّ رسوله من بينهم ، كي لا يقول قائل ولا يتردّد
مسلم عن الإذعان بما حبا الله تعالى سيّد الشهداء من الكرامة ،
فيقول ﷺ :

« يا معشر الأنصار ، يا معشر بني هاشم ، يا معشر بني عبد
المطلب ، أنا محمّد رسول الله ، ألا أنّي خلقت من طيّنة مرحومة في
أربعة من أهل بيتي : أنا ، وعلي ، وحمزة ، وجعفر »^(٣) .

= الأنوار ٢٢ : ٢٨٠ ، المناقب للخوارزمي : ٣١٤ ، الدر النظيم : ٣٣ ، كتاب
الولاية لابن عقدة : ١٦٣ ، الطرائف في معرفة مذاهب الطوائف لابن طاووس :
٤١٢ ، تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر ٤٢ : ٤٣٤ ، ميزان الاعتدال للذهبي ١ :
٤٤٢ ، لسان الميزان لابن حجر ٢ : ١٥٧ ، وغيرها من المصادر .

(١) الأمالي للشيخ الطوسي : ٥٦٣ ، حلية الأبرار للبحراني ٢ : ٧٤ ، بحار الأنوار
١٠ : ١٤١ و ٢٢ : ٢٨٣ ، كتاب الولاية لابن عقدة : ١٨٥ .

(٢) الإرشاد للشيخ المفيد ٢ : ٩٧ ، مثير الأحزان للحلي : ٣٧ ، تاريخ الطبري ٤ :
٣٢٢ ، الكامل في التاريخ لابن الأثير ٤ : ٦٢ ، الدر النظيم : ٥٥٢ .

(٣) الأمالي للشيخ الصدوق : ٢٧٥ ، التوحيد للشيخ الصدوق : ٢٠٤ ، الأمالي
للشيخ الطوسي : ٤١٠ ، بحار الأنوار ١١ : ٣٨٠ و ٢٢ : ٣٧٤ ، غاية المرام
للبحراني ٥ : ١١٧ .

والغرض من هذا ليس إلا التعريف بخصوص فضل عمّه وابن عمّه ، فلذلك لم يتعرّض لخلق الأئمة ، بل ولا شيعتهم المخلوقين من فاضل طينتهم - كما في صحيح الآثار - وإنما ذكر نفسه ووصيّيه لكونهما من أصول الإسلام والإيمان .

كما أنّ أمير المؤمنين يوم فتح البصرة لمّا صرّح بفضل سبعة من ولد عبد المطلب قال : « لا ينكر فضلهم إلا كافر ، ولا يجحده إلا جاحد ، وهم : النّبي محمّد ، ووصيّيه ، والسبطان ، والمهدي ، وسيد الشهداء حمزة ، والطّيار في الجنان جعفر »^(١) ، لم يقصد بذلك إلا التنويه بفضل عمّه وأخيه ، فقرن شهادتهما بمن نهض في سبيل

(١) الكافي ١ : ٤٥٠ ، ح ٣٤ ، عنه بحار الأنوار ٢٢ : ٢٨٢ ، ح ٤١ .
والمؤلف نقل مضمون الرواية ونصّ الرواية كالتالي : « عن أصبغ بن نباته الحنظلي ، قال : رأيت أمير المؤمنين عليه السلام يوم افتتح البصرة ، وركب بغلة رسول الله ﷺ ، ثمّ قال : « أيّها الناس ألا أخبركم بخير الخلق يوم يجمعهم الله ؟ »
فقام إليه أبو أيوب الأنصاري فقال : بلى يا أمير المؤمنين حدّثنا ، فإنّك كنت تشهد ونغيب .

فقال : « إنّ خير الخلق يوم يجمعهم الله تعالى سبعة من ولد عبد المطلب ، لا ينكر فضلهم إلا كافر ، ولا يجحد به إلا جاحد » .

فقام عمّار بن ياسر عليه السلام فقال : يا أمير المؤمنين ، سمّهم لنا لنعرفهم !
فقال : « خير الخلق يوم يجمعهم الله الرّسل ، وإنّ أفضل الرسل محمّد ﷺ ، وإنّ أفضل كلّ أمة بعد نبيّها وصيّ نبيّها حتّى يدركه نبي ، ألا وإنّ أفضل الأولياء وصيّ محمّد ﷺ ، ألا وإنّ أفضل الخلق بعد الرسل الشهداء ، ألا وإنّ أفضل الشهداء حمزة بن عبد المطلب وجعفر ابن أبي طالب ، له جناحان يطير بهما في الجنّة ، لم ينحل أحد من هذه الأمة جناحان غيره . شيء أكرم الله به محمداً ﷺ وشرفه ، والسبطان الحسن والحسين والمهدي عليه السلام ، يجعله الله من شاء منّا أهل البيت » . ثمّ تلا هذه الآية : ﴿ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصَّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا ﴾ * ذَلِكَ الْفَضْلُ مِنَ اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ عِلِيماً ﴿ النساء : ٦٩ .

الدعوة الإلهية وهم أركان الإسلام والإيمان .

ولو لم تكن لسيد الشهداء حمزة وابن أخيه الطيار كل فضيلة سوى شهادتهما للأنبياء بالتبليغ وأداء الرسالة ، لكفى أن لا يتطلب الإنسان غيرهم .

قال أبو عبد الله الصادق عليه السلام : « إذا كان يوم القيامة وجمع الله - تبارك وتعالى - الخلائق كان نوح (صلى الله عليه) أول من يدعى به فيقال له : هل بلغت ؟

فيقول : نعم .

فيقال له : من يشهد لك ؟!

فيقول : محمد بن عبد الله ﷺ .

قال : فيخرج نوح (صلى الله عليه) ويتخطى الناس حتى يأتي إلى محمد ﷺ ، وهو على كتيب المسك ، ومعه علي عليه السلام ، وهو قول الله عز وجل : ﴿ فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً سِيئَتْ وُجُوهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ ^(١) ، فيقول نوح لمحمد ﷺ : يا محمد إن الله - تبارك وتعالى - سألني هل بلغت ؟ فقلت : نعم ، فقال : من يشهد لك ؟ قلت : محمد ! فيقول : يا جعفر ، يا حمزة اذهبا واشهدا أنه قد بلغ .

فقال أبو عبد الله عليه السلام فحمزة وجعفر هما الشاهدان للأنبياء عليهم السلام بما بلغوا .

فقال الراوي : جعلت فداك فعلي عليه السلام أين هو ؟

فقال : هو « أعظم منزلة من ذلك » ^(٢) .

وهذه الشهادة لا بد أن تكون حقيقية ، بمعنى أنها تكون عن

(١) الملك : ٢٧ .

(٢) الكافي للكليني ٢٦٧: ٨ ، ح ٣٩٢ ، وعنه بحار الأنوار للمجلسي ٢٨٣: ٧ ، ح ٤ .

وقوف بمعالم دين نوح عليه السلام وأديان الأنبياء الذين هما الشاهدان لهم بنص الحديث ، وإحاطة شهودية بها ، وبمعارفها ، وبمواقعها ، وبوضعها في الموضع المقرر له ، وإلا لما صحّت الشهادة . وهذا المعنى هو المتبادر إلى الذهن من الشهادة عند إطلاقها ، فهي ليست شهادة علميّة ، بمعنى حصول العلم لهما من عصمة الأنبياء بأنهم وضعوا ودائع نبواتهم في مواضعها ، ولو كان ذلك كافياً لما طُلبوا بمن يشهد لهم ، فإنّ جاعل العصمة فيهم - جلّ شأنه - أعرف بأمانتهم ، لكنّه لضرب من الحكمة أراد سبحانه وتعالى أن يجري الأمر على أصول الحكم يوم فصل القضاء .

ثمّ إنّ هذه الشهادة ليست فرعيّة ، بمعنى إنّهما يشهدان عن شهادة رسول الله ، فإنّ المطلوب في المحاكم هي الشهادة الوجدانية فحسب .

فإذا تقرّر ذلك فحسب حمزة وجعفر من العلم المتدفق خبرتهما بنواميس الأديان كلّها ، والنواميس الإلهية جمعاء ، أو وقوفهما بحقّ اليقين ، أو بالمعايينة في عالم الأنوار ، أو المشاهدة في عالم الأظلة والذكر لها في عالم الشهود والوجود ، ومن المستحيل بعد تلك الإحاطة أن يكونا جاهلين بشيء من نواميس الإسلام .

طالب

إنَّ الثابت عند المحققين إسلام طالب بن أبي طالب من أول الدعوة ، فإنَّ المتأمل إذا نظر بعين البصيرة إلى أبي طالب ، وقد ضمَّ أولاده أجمع والنبي ﷺ معهم ، لا يفارقونه في جميع الأحوال ، مع ما يشاهدونه منه ﷺ من الآيات الباهرات ؛ لا يرتاب في صدق الدعوى ، وقد أفصح عنه شعره^(١) :

قَبِيلًا وَأَكْرَمَهُمْ أُسْرَةً	إِذَا قِيلَ مَنْ خَيْرُ هَذَا الْوَرَى
وَفَضْلَهُ هَاشِمُ الْغُرَةِ	أَنَافٍ بَعْدَ مُنَافٍ أَبٍ
مَكَانَ النَّعَائِمِ وَالنَّثَرَةِ	لَقَدْ حَلَّ مَجْدُ بَنِي هَاشِمٍ
رَسُولُ الْإِلَهِ عَلَى فِتْرَةِ	وَحَيْرُ بَنِي هَاشِمٍ أَحْمَدُ

(١) إيمان أبي طالب للشيخ المفيد : ٣٥ ، بحار الأنوار ٣٥ : ١٦٥ ، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١٤ : ٧٨ .

وإنّ في حديث جابر الأنصاري ما يفيد منزلة أرقى من مجرد الإسلام يقول قلت لرسول الله : أكثر الناس يقولون : إنّ أبا طالب مات كافراً؟

قال : « يا جابر ، ربك أعلم بالغيّب ، إنه لما كانت الليلة التي أُسري بي فيها إلى السماء انتهيت إلى العرش ، فرأيت أربعة أنوار ، فقلت : إلهي ما هذه الأنوار؟

فقال : يا محمّد ، هذا عبد المطلب ، وهذا أبو طالب ، وهذا أبوك عبد الله ، وهذا أخوك طالب .

فقلت : إلهي وسيدي ، فيم نالوا هذه الدرجة؟

قال : بكتمانهم الإيمان والصبر على ذلك حتّى ماتوا»^(١) .

وروى الكليني في روضة الكافي عن الصادق عليه السلام : « كان طالب مسلماً قبل بدر ، وإنّما أخرجه قريش كرهاً ، فنزل رجّازوهم يرتجزون ، ونزل طالب يرتجز :

يا ربّ إمّا يغزون بطالِبٍ في مقنِبٍ منّ هذه المقانِبِ

في مقنِبِ المُحاربِ المُغالِبِ يجعله المَسْلُوبَ غيرَ السالِبِ^(٢)

(١) روضة الواعظين : ٨١ ، وعنه في بحار الأنوار ٣٥ : ١٦ ، ح ١٢ ، الدر النظيم للعاملين : ٢٣٤ .

(٢) روضة الكافي للكليني ٨ : ٣٧٥ ، عمدة الطالب لابن عنية : ٣٠ ، وعن

وروى محمد بن المثنى الحضرمي أن رسول الله ﷺ لقي أبا رافع مولى العباس ابن عبد المطلب يوم بدر ، فسأله عن قومه؟ فأخبره أن قريشاً أخرجوهم مكرهين^(١) .

ويشهد له ما رواه ابن جرير أن رسول الله ﷺ قال يوم بدر : «إني لأعرف رجالاً من بني هاشم وغيرهم قد أخرجوا كرهاً ، لا حاجة لهم بقتالنا ، فمن لقي منكم أحداً منهم فلا يقتله ، ومن لقي العباس بن عبد المطلب فلا يقتله ، إنما خرج مستكرهاً»^(٢) .

وقد اختلف في موت طالب فقيل : إنه لما خرج إلى بدر فقد

= الكافي في بحار الأنوار ١٩ : ٢٩٤ ، ح ٣٨ ، المجدد في أنساب الطالبين للعلوي : ٣١٨ ، تاريخ الطبري ٢ : ١٤٤ ، الكافي في التاريخ ٢ : ١٢١ ، الوافي بالوفيات ١٦ : ٢٢٢ ، البداية والنهاية ٣ : ٣٢٥ ، السيرة النبوية لابن هشام الحميري ٢ : ٤٥١ ، السيرة النبوية لابن كثير ٢ : ٤٠٠ .

(١) الأصول الستة عشر من الأصول الأولية : ٢٥٩ ، وفي مجمع الزوائد للهيثمي ٧ : ١٠ : «عن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال : كان ناس من أهل مكة قد أسلموا ، وكانوا مستخفين بالإسلام ، فلما خرج المشركون إلى بدر أخرجوهم مكرهين ..

قلت : أخرج البخاري بعضه ، رواه البزار ، ورجاله رجال الصحيح غير محمد بن شريك ، وهو ثقة»

أقول : وفي إخفاء الأسماء عادة قديمة عند القوم ، ولهم تزلع كبير فيها يعرفها من سير كلماتهم ، ولاحظ أقوالهم . ولله مع ما يسمون بـ (أهل السنة والحديث) شؤون لا تخفى .

(٢) بحار الأنوار ١٩ : ٣٠٤ ، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١٤ : ١٨٣ ، تفسير القرطبي ٨ : ٤٩ ، تفسير ابن كثير ٢ : ٣٤٠ ، الطبقات الكبرى لابن سعد ٤ : ١٠ ، تاريخ الطبري ٢ : ١٥١ ، الكامل في التاريخ ٢ : ١٢٨ ، تاريخ الإسلام ٢ : ٥٨ و ١٢٠ ، البداية والنهاية ٣ : ٣٤٨ ، السيرة النبوية لابن هشام الحميري ٢ : ٤٥٨ ، السيرة النبوية لابن كثير ٢ : ٤٣٦ ، سبل الهدى والرشاد للصالحى الشامي ٤ : ٤٩ ، السيرة الحلبية للحلي ٢ : ٤١٣ .

ولم يعرف خبره ، وقيل : أقحمه فرسه في البحر فغرق . وليس من البعيد أن قريشاً قتلتها حينما عرفت منه الإسلام ، وعرفت مصارحته بالتفاؤل بمغلوبيتهم ، وكان حاله كحال سعد بن عبادلة لما رماه الجن - لو صدقت الأوهام -^(١) .

(١) لم يُعرف حال طالب بن أبي طالب بشيء ، غير ذكر له من خرج مكرها من بني هاشم إلى معركة بدر ، وأما حاله بعدها فهو مجهول عند المحلّثين والمؤرّخين .

قال ابن سعد في الطبقات الكبرى ١ : ١٢١ : « كان اسم أبي طالب عبد مناف ، وكان له من الولد طالب بن أبي طالب ، وكان المشركون أخرجه وسائر بني هاشم إلى بدر كرهاً .. فلما انهزموا لم يوجد في الأسرى ، ولا في القتلى ولا رجع إلى مكة ، ولا يدري ما حلّ به ، وليس له عقب » .

ومثله في تاريخ الطبري ٢ : ١٤٣ ، والكامل في التاريخ لابن الأثير ٢ : ١٢١ .

وقال ابن عبد البر في الاستيعاب ٢ : ٨١٧ : « وذكروا أن ثلاثة نفر ذهبوا على وجوههم فهاموا ، ولم يوجد ولم يسمع لهم بأثر : طالب بن أبي طالب » .

ومثله في أسد الغابة ٣ : ١١٢ ، وغيرها من المصادر الكثيرة التي اتفقت على جهالة حال طالب بعد معركة بدر ، وهذا شيء غريب ملفت للنظر ، خصوصاً وأن المؤرّخين ركزوا على بني هاشم وذكر أخبارهم وسيرهم .

ثم إن المؤلف شبهه - على بعد - بسعد بن عبادلة الأنصاري ، المعروف في وقعة السقيفة ، وموقفه من أبي بكر وعمر ، من معارضته وعدم مبايعته لهم ، وهذا الصحابي اختلف في موته .

قال ابن عبد البر في الاستيعاب ٢ : ٥٩٩ : « ولم يختلفوا أنه وجد ميتاً في مغتسله ، وقد اخضر جسده ، ولم يشعروا بموته حتى سمعوا قائلاً - ولا يرون أحداً - :

رمىناه بسهم فلم يخطئ فؤاده

قتلنا سيد الخزرج سعد بن عباد

ويقال : إن الجن قتلتها »

قال السيّد الأمين في أعيان الشيعة ٧ : ٢٢٥ : « وقيل : إن الذي رماه المغيرة بن شعبة ، وقيل : شخصاً غيره ، رماه كل واحد بسهم . وأشيع أن الجن رمته وقالت البيتين ، ويحكى عن بعض الأنصار أنه قال :

ألا ربما خفقت فعلك بالغدر

وما ذنب سعد أنه بال قائماً

ولكن سعداً لم يبايع أباً بكر

يقولون سعد شقت الجن بطنه

وفي الاستيعاب : لم يختلفوا أنه وجد ميتاً في مغتسله وقد اخضر جسده ، ولم يشعروا بموته حتى سمعوا قائلاً يقول - ولا يرون أحد - نحن قتلنا.. البيتين ، ويقال : إن الجن قتله اهـ .

وياليت شعري وما ذنبه إلى الجن حتى تقتله الجن ؟

وينقل عن محمد بن جرير الطبري ، وكأنه الشيعي ، وفي مؤلفه عن أبي علقمة ، قلت لابن عباد ، وقد مال الناس إلى بيعة أبي بكر : ألا تدخل فيما دخل فيه المسلمون ؟

عقيل

كان عقيل بن أبي طالب أحد أغصان الشجرة الطيبة ، وممن رضي عنهم الرسول ﷺ ، فإنّ النظرة الصحيحة في التاريخ تفيدنا اعتناقه الإسلام أوّل الدعوة ، وكان هذا مجلبة للحبّ النبوي حيث اجتمعت فيه شرائط الولاء من: رسوخ الإيمان في جوانحه ، وعمل الخيرات بجوارحه ، ولزوم الطاعة في أعماله ، واقتفاء الصدق في أقواله ، فقول النبي له : «إني أحبّك حبين : حبّاً لك ، وحبّاً لحبّ أبي طالب لك»^(١) إنّما هو لأجل هاتيك المآثر ، وليس من المعقول كون

= قال : إليك عني ، فوالله لقد سمعت رسول الله ﷺ يقول : «إذا أنا مت فضلّ الأهواء ويرجع الناس على

أعقابهم ، فالحقّ يومئذ مع علي» ، وكتاب الله بيده ، لا نبايع أحداً غيره

فقلت له : هل سمع هذا الخبر أحد غيرك من رسول الله ﷺ ؟ فقال : أناس في قلوبهم أحقاد وضغائن .

قلت : بل نازعتك نفسك أن يكون هذا الأمر لك دون الناس ؟

فحلف أنه لم يهم بها ولم يردّها ، وأنهم لو بايعوا علياً لكان أول من بايعه .

(١) ورد هذا الحديث بألفاظه المختلفة في المصادر التالية : بحار الأنوار ٣٥ :

١٥٧ و ٤٢ : ١١٥ ، المستدرک للحاكم ٣ : ٥٧٦ ، مجمع الزوائد ٩ : ٢٧٣ ،

المعجم الكبير للطبراني ١٧ : ١٩١ ، الاستيعاب ٣ : ١٠٧٨ ، الطبقات الكبرى

٤ : ٤٤ ، معرفة الثقات للعجلي ١ : ٣٨٣ ، تاريخ مدينة دمشق ٢٠ : ٥٥ و ٤١ :

١٨ ، أسد الغابة ٣ : ٤٢٢ ، سير أعلام النبلاء ١ : ٢١٩ ، تاريخ الإسلام للذهبي

٤ : ٨٤ ، الوافي بالوفيات ٢٠ : ٦٣ ، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١١ :

٢٥ و ١٤ : ٧٠ ، السيرة الحلبية ١ : ٤٣٢ .

حُبّه لغاية شهوية أو لشيء من عرض الدنيا .

إذن ، فحسب عقيل من العظمة هذه المكانة الشامخة . وقد حدثه قوة الإيمان إلى أن يسلق أعداء أخيه أمير المؤمنين بلسان حديد ، خلّده عاراً عليهم مدى الحقب والأعوام^(١) .

على أن حُبَّ أبي طالب له لم يكن لمحض النبوة ، فإنه لم يكن ولده البكر ، ولا كان أشجع ولده ، ولا أوفاهم ذمّة ، ولا ولده الوحيد ، وقد كان في ولده مثل أمير المؤمنين وأبي المساكين جعفر الطيار ، وهو أكبرهم سنّاً ، وإنّما كان «شيخ الأبطح» يظهر مرتبة من الحُبِّ له مع وجود ولده (الإمام) وأخيه الطيار لجمعه الفضائل

= قال المؤلف : ولكنّه في المجالس - مجلس ٢٧ - روى عن ابن عباس : أن علياً قال لرسول الله ﷺ : «أحب عقيلاً؟»

قال : «أي والله إني لأحبه حبين : حبّاً لرسول الله ، وحبّاً لحبّ أبي طالب له ، وإنّ ولده لمقتول في محبة ولدك ، فتدمع عليه عيون المؤمنين ، وتصلي عليه الملائكة المقربون ، ثمّ بكى رسول الله حتّى جرت دموعه على صدره ، وقال : إلى الله أشكو ما تلقى عترتي بعدي» .

وهو في الأمالي للشيخ الصدوق : ١٩١ ح ٣/٢٠١ ، وعنه بحار الأنوار ٢٢ : ٢٨٨ ، ح ٥٨ .

(١) قال العلامة الأميني في الغدير ١٠ : ٢٦١ : قال معاوية لعقيل بن أبي طالب : إنّ علياً قد قطعك ، وأنا وصلتك ، ولا يرضيني منك إلا أن تلعنه على المنبر . قال : أفعل ، فصعد المنبر ثمّ قال - بعد أن أحمد الله ، وأثنى عليه ، وصلى على نبيه ﷺ : أيها الناس إنّ معاوية بن أبي سفيان قد أمرني أن العنّ علي بن أبي طالب فالعنوه ، فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين .

ثمّ نزل فقال له معاوية : إنّك لم تبين من لعنت منهما ، بيّنه . فقال : والله لا زدت حرفاً ولا نقصت حرفاً ، والكلام إلى نية المتكلّم .

العقد الفريد ٢ : ١٤٤ ، المستطرف ١ : ٥٤ .

والكلام فيه تورية لطيفة ولعن لمعاوية من قبل عقيل .

والفواضل ، موروثة ومكتسبة .

وبعد أن فرضنا أن أبا طالب حجة وقته ، وأنه وصي من الأوصياء لم يكن يحابي أحداً بالمحبة ، وإن كان أعزّ ولده ، إلا أن يجده ذلك الإنسان الكامل الذي يجب في شريعة الحقّ ولاءه .

ولا شك أن عقيلاً لم يكن على غير الطريقة التي عليها أهل بيته أجمع من الإيمان والوحدانية لله تعالى ، وكيف يشذ عن خاصته وأهله وهو وإياهم في بيت واحد ، وأبو طالب هو المتكفل تربيته وإعاشته ، فلا هو بطارده عن حوزته ، ولا بمبعده عن حومته ، ولا بمتضجر منه على الأقل ؟

وكيف يتظاهر بحبه ويدنيه منه - كما يعلمنا النصّ النبوي السابق - لو لم يتوثق من إيمانه ، ويتيقن من إسلامه ، غير أنه كان مبطناً له ، كما كان أبوه من قبل وأخوه طالب ؟ ، وإن كُنّا لا نشك في تفاوت الإيمان فيه وفي أخويه الطيّار وأمير المؤمنين .

وحينئذ لم يكن عقيل بدعاً من هذا البيت الطاهر الذي بني الإسلام على علاليه ، فهو مؤمن بما صدع به الرسول منذ هتف داعية الهدى .

كما لبّت هذا الهتاف أختهم أم هاني ، فكانت من السابقات إلى الإيمان ، كما عليه صحيح الأثر ، وفي بيتها نزل النبي عن معراجة ، وهو في السنة الثالثة من البعثة ، وحدثها بأمره قبل أن يخرج إلى الناس ، وكانت مصدقة له غير أنها خشيت تكذيب قريش إياه ، وعليه فلا يعبا بما زعم من تأخر إسلامها إلى عام الفتح سنة ثمان من

الهجرة^(١).

وما عسى أن يقول القائل في أمهم ، زوج شيخ الأبطح ، بعد
شهادة الرسول الأمين بأنها من الطاهرات الطيبات المؤمنات في
جميع أدوار حياتها .

والعجب! ممّن اغتر بتمويه المبطلين فدوّن تلك الفرية ، زعماء
منه أنّها من فضائل سيّد الأوصياء وهي : إنّ فاطمة بنت أسد دخلت
البيت الحرام وهي حاملة بعلي عليه السلام فأرادت أن تسجد لهبل فمنعها
علي وهو في بطنها^(٢) .

وقد فات المسكين أنّ في هذه الكرامة طعناً بتلك الذات
المبرّاة من رجس الجاهلية ودنس الشرك .

وكيف يكون أشرف المخلوقات بعد خاتم الأنبياء المتكوّن من
النور الإلهي مودعاً في وعاء الكفر والجحود؟!

(١) « في مناقب ابن شهر آشوب ١ : ١١٠ أنّها ماتت في أيام النبي ﷺ ، ولكن
ابن حجر في تقريب التهذيب ٢ : ٨٨٢١/٦٧٣ نصّ على وفاتها في خلافة
معاوية ، وعليه فليست هي المعنيّة بما في كامل الزيارة : ١٩٥ واقبلت إليه
بعض عمّاته تقول : أشهد يا حسين لقد سمعت قائلاً يقول :
وإن قَتِيلَ الطِّفِّ مِنْ آلِ هَاشِمٍ أَذَلَّ رِقَاباً مِنْ قُرَيْشٍ فَذَلَّتِ
انتهى كلام المؤلف .

أقول : مضافاً إلى ذلك ، فإنّ المحدثين ذكروا أنّ قائل هذه الأبيات سليمان بن
قتة الخزاعي ، وارجع إلى : مناقب آل أبي طالب ٣ : ٢٦٣ ، ومثير الاحزان لابن
نما الحلبي : ٨٩ ، الإستهباب عبد البر ١ : ٣٩٤ ، نظم درر السمطين : ٢٢٦ ،
تاريخ مدينة دمشق ١٤ : ٢٥٩ ، أسد الغابة ٢ : ٢٢ ، تهذيب الكمال ٦ : ٤٤٧ ،
سير أعلام النبلاء ٣ : ٣١٨ ، تاريخ الإسلام ٥ : ١٠٨ ، البداية والنهاية ٨ : ٢٣٠ .
(٢) السيرة الحلبية للحلبي ١ : ٤٢٢ ، شرح احقاق الحق للمرعشي ٨ : ٧٠ .

كما أنهم أبعدوها كثيراً عن مستوى التعاليم الإلهية ، ودروس خاتم الأنبياء الملقاة عليها كُـلُّ صباح ومساء ، وفيها ما فرضه المهيمن - جلّ شأنه - على الأمة جمعاء من الإيمان بما حبي ولدها والوصي بالولاية على المؤمنين حتّى اختصّ بها دون الأئمة من أبنائه ، وإن كانوا نوراً واحداً وطينة واحدة ، ولقد غضب الإمام الصادق عليه السلام على من سمّاه أمير المؤمنين وقال : « مه لا يصلح هذا الاسم إلّا لجدي أمير المؤمنين » .

فرووا أنّ النبي ﷺ وقف على قبرها وصاح : « ابنك علي لا جعفر ولا عقيل » ولما سُئل عنه أجاب : « أنّ الملك سألتها عمّن تدين بولايته بعد الرسول ، فخجلت أن تقول ولدي »^(١) .

أمن المعقول أن تكون تلك الذات الطاهرة الحاملة لأشرف الخلق بعد النبوة بعيدة عن تلك التعاليم المقدّسة؟ وهل في الدين حياء؟

نعم أرادوا أن يزحزحوها عن الصراط السوي ولكن فاتهم الغرض وأخطأوا الرمية ، فإن الصحيح من الآثار ينصّ على أنّ النبي لمّا أنزلها في لحدها ناداها بصوت رفيع : « يا فاطمة أنا محمّد سيّد ولد آدم ولا فخر ، فإذا أتاك منكر ونكير فسألاك من ربّك فقولي : الله ربّي ، ومحمّد نبّي ، والإسلام ديني ، والقرآن كتابي ، وابني إمامي ووليّي » ، ثمّ خرج من القبر وأهل عليها التراب »^(٢) .

(١) الفضائل لابن شاذان : ١٠٣ ، مستدرک الوسائل ٢ : ٣٤٢ .

(٢) روضة الواعظين للنيسابوري : ١٤٢ ، بحار الأنوار ٧٨ : ٣٥١ ، ح ٢٢ عن مجالس الصدوق ، بشارة المصطفى للطبري : ٣٧٢ .

ولعلّ هذا خاصّ بها ومن جرى مجراها من الزاكين الطيّبين ،
والآ فلم يعهد في زمن الرسالة تلقين الأموات بمعرفة الولي بعده ،
فإنّه كتخصيصها بالتكبير أربعين ، مع أنّ التكبير على الأموات
خمس .

وبالرغم من هاتيك السفاسف التي أرادوا بها الحطّ من مقام
والدة الإمام ، أظهر الرسول أمام الأُمّة ما أعرب عن مكانتها من
الدين ، وأنّها بعين فاطر السماء حين كفّنها بقميصه الذي لا يبلى ،
لتكن مستورة يوم يعرى الخلق ، وكان الاضطجاع في قبرها إجابة
لرغبتها فيه عند ما حدثها عن أهوال القبر وما يكون فيه من ضغطة
ابن آدم .

فتحصّل : إنّ هذا البيت الطاهر (بيت أبي طالب) بيت توحيد
وإيمان وهدى ورشاد ، وإنّ من حواه البيت رجالاً ونساء كلّهم على
دينٍ واحدٍ منذ هتف داعية الهدى وصدّع بأمر الرسالة ، غير أنّهم بين
من جاهر باتّباع الدعوة ، وبين من كتم الإيمان لضرب من المصلحة .

السفر إلى الشام

لقد كانت الروايات في سفر عقيل إلى الشام ، في أنه على عهد أخيه الإمام أو بعده متضاربة ، واستظهر ابن أبي الحديد في شرح النهج ج ٣ ص ٨٢ أنه بعد شهادة أمير المؤمنين ، وجزم به العلامة الجليل السيّد علي خان في الدرجات الرفيعة ، وهو الذي يقوي في النظر بعد ملاحظة مجموع ما يؤثر في هذا الباب ، وعليه تكون وفادته كوفود غيره من الرجال المرضيين عند أهل البيت إلى معاوية في تلك الظروف القاسية بعد أن اضطرتهم إليه الحاجة ، وساقهم وجه الحيلة في الإبقاء على النفس والكف من بوادر الرجل ، فلا هم بملومين بشيء من ذلك ، ولا يحطّ من كرامتهم عند الملأ الديني ، فإنّ للتقية أحكاماً لا تنقض ولا يلام المضطرّ على أمر اضطرّ إليه .

على أنّ عقيلاً لم يؤثر عنه يوم وفادته على معاوية إقرار له بإمامة ولا خضوع له عند كرامة ، وإنّما المأثور عنه الواقعة فيه ، والطعن في حسبه ونسبه ، والحثّ من كرامته ، والإصحاح بمطاعنة ، مشفوعة بالإشارة إلى فضل أخيه أمير المؤمنين .

من ذلك أنّ معاوية قال له : يا أبا يزيد أخبرني عن عسكري وعسكر أخيك؟

فقال عقيل : أخبرك ، مررت واللّه بعسكر أخي فإذا ليل قليل

رسول الله ﷺ ونهار كنهار رسول الله ﷺ ، إلا أن رسول الله ﷺ ليس في القوم ، ما رأيت إلا مصلياً ، ولا سمعت إلا قارئاً . ومررت بعسكرك فاستقبلني قوم من المنافقين ممن نفر برسول الله ليلة العقبة^(١) .

وقال له معاوية : إنَّ علياً قطع قرابتك وما وصلك؟ فقال له عقيل : والله لقد أجزل العطية وأعظمها ، ووصل القرابة وحفظها ، وحسن ظنه بالله إذ ساء به مثلك ، وحفظ أمانته ، وأصلح رعيته إذ خنتم وأفسدتم وجرتم ؛ فاكفف لا أباً لك ؛ فإنه عما تقول بمعزل^(٢) .

ثمَّ صاح : يا أهل الشام ، عني فاسمعوا لا عن معاوية ، إني أتيت أخي علياً فوجدته رجلاً قد جعل دنياه دون دينه ، وخشي الله على نفسه ، ولم تأخذه في الله لومة لائم . . . وإني أتيت معاوية فوجدته قد جعل دينه دون دنياه ، وركب الضلالة ، واتبع هواه ، فأعطاني ما لم يعرق فيه جبينه ، ولم تكدح فيه يمينه ، رزقاً أجراه الله على يديه ، وهو المحاسب عليه دوني ، لا محمود ولا مشكور . ثمَّ التفت إلى معاوية فقال : أما والله يابن هند ما تزال منك سوائف يمرها منك قول وفعل ، فكأنني بك وقد أحاط بك ما الذي منه تحاذر .

فأطرق معاوية ساعة ثمَّ قال : من يعذرني من بني هاشم ، ثمَّ أنشد يقول :

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٢ : ١٢٥ .
(٢) الدرجات الرفيعة : ١٦١ .

أزيدهم الإكرام كي يشعبوا العصا

فيأبوا لدى الإكرام أن لا يكرموا

وإذا عطفتني رقتان عليهم

نأوا حسداً عني فكانوا هم هم

وأعطيتهم صفو الإخا فكأنني

معاً وعطاياي المباحة علقم

وأغضي عن الذنب الذي لا يقيله

من القوم إلا الهزبري المقمم

حباً واصطباراً وانعطافاً ورقة

وأكظم غيظ القلب إذ ليس يكظم

أما والله يابن أبي طالب لولا أن يقال : عجل معاوية لخرق
ونكل عن جوابك ، لترك هامتك أخف على أيدي الرجال من
حواي الحنظل .

فأجابه عقيل :

عذيرك منهم من يلوم عليهم ومن هو منهم في المقالة أظلم

لعمرك ما أعطيتهم منك رافة ولكن لأسباب وحولك علقم

أبى لهم أن ينزل الذل دارهم بنو حرة مزهر وعقل مسلم

وإنهم لم يقبلوا الذل عنوة إذا ما طغا الجبار كانوا هم هم

فدونك ما أسديت فأشدد يداً به وخيركم المبسوط والشر فالزموا

ثم رمى المائة ألف درهم ونفض ثوبه وقام ومضى ، فلم يلتفت
إليه . فكتب إليه معاوية :

أما بعد ؛ يابني عبد المطلب أنتم والله فروع قصي ، ولباب

عبد مناف ، وصفوة هاشم ، فأين أحلامكم الراسية ، وعقولكم الكاسية ، وحفظكم الأواصر ، وحبكم العشائر ، ولكم الصفح الجميل ، والعفو الجزيل ، مقرونان بشرف النبوة وعز الرسالة ، وقد والله ساءني ما كان جرى ولن أعود لمثله إلى أن أغيب في الثرى .
فكتب إليه عقيل :

صدقت وقلت حقاً غير أنني أرى ألا أراك ولا تـرانـي
ولست أقول سوءاً في صديقي ولكنني أصد إذا جفاني
فكتب إليه معاوية وناشده في الصفح وأجازه مئة ألف درهم حتى رجع^(١) .

فقال له معاوية : لِمَ جفوتنا يا أبا يزيد؟
فأنشأ عقيل :

وإنني امرؤ منّي التكرم شيمه إذا صاحبي يوماً على الهون أضمر
ثم قال : أيم الله يا معاوية ، لئن كانت الدنيا أفرشتك مهادها ، وأظلتك بسرادقها ، ومدّت عليك أطناب سلطانها ، ما ذاك بالذي يزيدك منّي رغبة ولا تخشعاً لرهبة .

فقال معاوية : لقد نعتها أبو يزيد نعتاً هشّ له قلبي ، وأيم الله يا أبا يزيد لقد أصبحت كريماً وإلينا حبيباً وما أصبحت أضمر لك إساءة^(٢) .

(١) الدرجات الرفيعة : ١٦٣ - ١٦٤ .

(٢) الدرجات الرفيعة : ١٦٤ .

هذا حال عقيل مع معاوية ، وحينئذٍ فأَيّ نقص يلمّ به والحالة هذه؟!

وعلى الوصف الذي أتينا به تعرف أنّه لا صحة لما رواه المتساهلون في النقل من كونه مع معاوية بصفين ، فإنّه ممّا لم يتأكد إسناده ، ولا عرف متنه ، ويضاده جميع ما ذكرناه ، كما يبعده كتابه من مكة إلى أمير المؤمنين حين أغار الضحّاك على الحيرة وما والاها ، وذلك بعد حادثة صفين ، وهذه صورة الكتاب :

لعبد الله أمير المؤمنين ، من عقيل بن أبي طالب :

سلام عليك ، فإنني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو ، أما بعد ؛ فإنّ الله حارسك من كلّ سوء ، وعاصمك من كلّ مكروه ، وعلى كلّ حال فإنني خرجت إلى مكة معتمراً فلقيت عبد الله بن أبي سرح مقبلاً من « قديد » ، في نحو من أربعين شاباً من أبناء الطلقاء ، فعرفت المنكر في وجوههم ، فقلت : إلى أين يا أبناء الشائئين ، أبعواوية لاحقون عداوة لله منكم غير مستنكرة تريدون إطفاء نور الله وتبديل أمره؟

فأسمعني القوم وأسمعتهم ، فلمّا قدمت مكة سمعت أهلها يتحدثون أنّ الضحّاك بن قيس أغار على الحيرة فاحتمل من أموالها ما شاء ، ثمّ انكفاً راجعاً سالماً ، وإنّ الحياة في دهر جرّأ عليك الضحّاك لذميمة ، وما الضحّاك إلاّ فقع بقرقر ، وقد توهّمت حيث بلغني ذلك أن شيعتك وأنصارك خذلوك ، فاكتب إليّ يا بن أبي برأيك ، فإن كنت الموت تريد تحملت إليك ببني أخيك وولد

أيّك ، فعشنا معك ما عشت ، وامتنا معك إذا متّ ، فوالله ما أحبّ أن أبقى في الدنيا بعدك فواق ناقة ، وأقسم بالأعزّ الأجلّ أن عيشاً نعيشه بعدك لا هنا ولا مرأ ولا نجيع والسلام .

فكتب إليه أمير المؤمنين عليه السلام :

« من عبد الله علي أمير المؤمنين إلى عقيل بن أبي طالب :

سلام عليك ، فلّني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو ، أما بعد ؛ كلأنا الله وإياك كلاًة من يخشاه بالغيب إنه حميد مجيد .

وقد وصل إليّ كتابك مع عبد الرحمن بن عبيد الأزدي تذكر فيه أنّك لقيت عبد الله بن أبي سرح مقبلاً من « قديد » ، في نحو من أربعين فارساً من أبناء الطلقاء ، متوجّهين إلى جهة المغرب ، وإن ابن أبي سرح طالما كاد الله ورسوله وكتابه ، وصدّ عن سبيله ، وبغاها عوجاً ، فدع عنك ابن أبي سرح ، ودع عنك قريشاً وتركاضهم في الضلال ، وتجوّالهم في الشقاق ، ألا وإنّ العرب قد أجمعت على حرب أخيك اليوم إجماعها على حرب النبي قبل اليوم ، فأصبحوا قد جهلوا حقّه ، وجحدوا فضله ، وبادروه بالعداوة ، ونصبوا له الحرب ، وجهدوا عليه كلّ الجهد ، وجروا إليه جيش الأحزاب . اللهمّ فاجز قريشاً عنّي الجوازي ، فقد قطعت رحمي ، وتظاهرت عليّ ، ودفعتني عن حقّي ، وسلبتني سلطان ابن أُمّي ، وسلّمت ذلك إلى من ليس مثلي في قرابتي من الرسول ، وسابقتني في الإسلام ، ألا يدّعي مدّع ما لا أعرفه ، ولا أظنّ الله يعرفه ، والحمد لله على كلّ حال .

فأمّا ما ذكرته من غارة الضحّاك على أهل الحيرة ، فهو أقلّ

وأزل من أن يلم بها أو يدنو منها ، ولكنه قد أقبل في جريدة خيل ، فأخذ على السماوة حتى قربوا من واقصة^(١) وشراف^(٢) والقطقطانة^(٣) وما وإلى ذلك الصقع ، فوجهت إليه جنداً كثيفاً من المسلمين ، فلما بلغه ذلك فرّ هارباً ، فاتبعوه ولحقوه ببعض الطريق وقد أمعن ، وكان ذلك حين طفلت الشمس للإياب ، فتناوشوا القتال قليلاً ، فلم يبصر إلا بوقع المشرفية ، وولى هارباً ، وقتل من أصحابه بضعة عشر رجلاً ونجا مريضاً بعد ما أخذ منه المخنق ، فلأيّ بلاء ما نجا .

فأما ما سألتني أن أكتب إليك برأيي فيما أنا فيه ، فإن رأيي جهاد المحليين حتى ألقى الله ، لا تزدني كثرة الناس عزّة ، ولا تفرّقهم عني وحشة ، لأنني محقّ والله مع الحقّ ، والله ما أكره الموت على الحقّ ، وما الخير كلّهُ إلا بعد الموت لمن كان محقّقاً .

وأما ما عرضت به من مسيرك إلى بنيك وبني أبيك ، فلا حاجة لي في ذلك ، فأقم راشداً محموداً ، فوالله ما أحبّ أن تهلكوا معي إن هلكت ، ولا تحسبن ابن أبيك لو أسلمه الناس متخشّعاً ولا متضرّعاً ، إنّه لكما قال أخو بني سليم :

فإن تسأليني كيف أنت فأبني صبور على ريب الزمان صليب

(١) منزل في طريق مكة .

(٢) شراف موضع قريب من مكة .

(٣) موضع قرب الكوفة .

يَعَزُّ عَلِيٌّ أَنْ تَرَى بِي كَابَةً فَيَشْمَتُ بَاغٌ أَوْ يَسَاءُ حَبِيبٌ»^(١)

وهذا الكتاب من عقيل المروى بطرق متعدّدة ، يدلّنا على أنّه كان مع أخيه الإمام في حياته غير مفارق له ، فإنّ الكتاب الذي كتبه إليه بعد غارة الضحّاك على أطراف أعماله وذلك قرب شهادة أمير المؤمنين .

اذن فالقول بأنّ وفادة عقيل على معاوية بعد أخيه متعيّن ، كما اختاره السيّد المحقّق في الدرجات الرفيعة ، وجعله ابن أبي الحديد الأظهر عنده ، وقد وضح من ذلك أنّه لم يكن مع معاوية بصفين .

(١) شرح نهج البلاغة ٢ : ١٢٠ ، الإمامة والسياسة : ٥٤ ، بحار الأنوار ٣٤ : ٢٤ ، جواهر المطالب ١ : ٣٦٦ .

الحديده

أما حديث الحديده المحمّاه التي أدناها منه أمير المؤمنين عليه السلام ، فليس فيها ما يدلّ على اقترافه إثمًا أو خروجًا عن طاعة ، فإنّ أمير المؤمنين عليه السلام أراد بذلك تهذيبه بأكثر ممّا تهذّب به العامّة ، كما هو المطلوب من مثل عقيل والمناسب لمقامه .

فعرّفه « سيّد الأوصياء » أنّ إنساناً بلغ من الضعف إلى أن يثنّ من قرب الحديده المحمّاه بنار الدنيا من دون أن تمسّه ، كيف يتحمّل نار الآخرة في لظى نزّاعة للشوى وهو مضطرم بين أوارها ، فمن واجب الإنسان الكامل التبعّد منها بكبح النهمه وكسر سورة الجشع والمكابدة للملمّات القاسية ، فهي مجلبة لمرضاة الربّ ومكسبة لغفرانه ، وإن كان غيره من أفراد الرعية يتبعّد عنها بترك المحرّمات فحقيق بمثله - وهو ابن بيت الوحي ورجالات عصبة الخلافة - التجنّب حتّى عن المكروهات ، وما لا يلائم مقامه من المباحات ، ويروّض نفسه بترك ذلك كلّ حتّى تقتدي به الطبقات الواطئة بما يسعهم ، أو يسلون أنفسهم بمقاسات مثل عقيل الشدائد في دنياه ، فلا يبهضهم الفقر الملم والكرّب المدلّهم فربّ مباح ينقم عليه من مثله ولا يلام من هو دونه بارتكابه فإنّ « حسنات الأبرار سيئات المقرّبين » .

وأمير المؤمنين أراد أن يوقف أخاه على هذا الخطر الممنع الذي حواه ، وقد ذهل عنه في ساعته تلك .

افتراء

قال الصفدي : « لقد بغض عقيل إلى الناس ذكره مثالب قريش ، وما أُوتي من فضل وعلم بالنسب والسرعة في الجواب ، حتّى قالوا فيه الباطل ونسبوه إلى الحمق »^(١) .

واختلقوا عليه أحاديث كان بعيداً عنها ، فوضعوا على لسان أمير المؤمنين ما ينقص من قدره ويحطّ من كرامته ، زعماء منهم أنّ في ذلك تشويهاً لأهل هذا البيت الطاهر - بيت أبي طالب - بإخراجهم عن مستوى الإنسانية فضلاً عن الدين ، بعد أن أعوزتهم الواقعة في سيّد الأوصياء بشيء من تلك المفتريات ، فطفقوا يشوّهون مقام أبيه وحامته ، ولكن لا ينطلي ذلك على الجيل المنقب ، حتّى كشف عن تلك النوايا السيئة ، وعرف الملاءم افتعال الحديث وبعده عن الصواب .

قالوا في الرواية عن أمير المؤمنين عليه السلام : « ما زلت مظلوماً منذ ولدتني أُمّي ، حتّى إن كان عقيل ليصيبه رمد فيقول : لا تذروني حتّى تذروا علياً ، فيذروني وما بي رمد »^(٢) .

(١) نكت الهميان : ٢٠٠ .

(٢) علل الشرائع ١ : ٤٥ .

لا أقرأ هذا الحديث إلّا ويأخذني العجب ، كيف رضي المفتعل بهذه الفريّة البيّنة! فإنّ أمير المؤمنين ولد ولعقيل عشرون سنة ، وهل يعتقد أحد أو يظنّ أنّ إنساناً له من العمر ذلك المقدار ، إذا اقتضى صلاحه شرب الدواء ، يمتنع منه إلّا إذا شرب مثله أخوه البالغ سنة واحدة أو سنتين؟! كلاً لا يفعله أي أحد وإن بلغ الغاية في الخسّة والضعف ، فكيف بمثل عقيل المترّبي بحجر أبي طالب والمرتضع درّ المعرفة! خصوصاً مع ما يشاهد من الآيات الباهرة من أخيه الإمام منذ ولادته .

نعم ، الضغائن والأحقاد حبّدت لمن تخلّق بها التردّد في العمي والخبط في الضلال من دون رويّة أو تفكير ﴿استَخَوْذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنسَاهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ أُولَئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾^(١) .

نعم ، كان أمير المؤمنين عليه السلام يقول غير مرّة : « ما زلت مظلوماً »^(٢) من دون تلك الزيادة ، يعني بذلك دفعه عن حقّه الواجب على الأمة القيام به والميل عنه ، وتعطيل أحكام الله بالأخذ من غيره ، وتقديم من ليس له قدم ثابت في كلّ مكرمة ، ولا نصّ من صاحب الشريعة ، ولا فقه ناجع ولا إقدام في الحروب .

وحيث إنّ في هذه الكلمة خطأً بمن ناوأه ، زحزحوها عنهم وألصقوها بذلك السيّد الكريم ، وما أسرع أن عاد السهم فكان كالباحث عن حتفه بظلفه .

(١) المجادلة : ١٩ .

(٢) علل الشرائع ١ : ٤٥ ، الاعتقادات في دين الامامية للصدوق : ١٠٥ ، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٩ : ٣٠٦ .

الخلف عن عقيل

الخلف الصالح يخلد ذكر سلفه ، فلا يزال ذكره حياً بعمره الثاني من ذكر جميل ، وثناء جزيل ، وترحم متواصل ، واستغفار له منه وممن تعرف به ، وفي الحديث : إن ابن آدم إذا مات انقطع عمله من الدنيا إلا من ثلاث ، وعدّ منها الولد الصالح .

ومن أجلى الواضحات أنّ هذا التذكير يختلف حسب تدرج الأولاد في المآثر ، فمهما كان قسطهم منها أكثر فهم لمجد آبائهم أخلد ، وكذلك الأسلاف فكلّما كانوا في الشرف والسؤدد أقرب فانتشار فضلهم بصالحي خلفهم أسرع .

إذاً فما ظنك بمثل عقيل بن أبي طالب ذلك الشريف المبجل ، وقد خلفه « شهيد الكوفة » وولده الأطايب « شهداء الطف »^(١) ، الذين لم يسبقهم ولا يلحقهم لاحق ، فلو لم يكن لعقيل شيء من الخطر والعظمة لتسئم بهؤلاء الأكارم أوج العلّی والرفعة .

وَكَمْ أَبٍ قَدْ عَلَا بِابْنِ ذُرِّي شَرَفٍ كَمَا عَلَا بِرَسُولِ اللَّهِ عَدَنَانِ
وكيف به وهو من أشرف عنصر في العالم كلّهُ؟!

(١) في كامل الزيارة : ٢٤١ : كان علي بن الحسين يميل إلى ولد عقيل فقيل له :

« ما بالك تميل إلى بني عمّك هؤلاء دون آل جعفر؟ »

فقال عليه السلام : « إنني لا ذكر يومهم مع أبي عبد الله الحسين عليه السلام فأرقّ لهم » .

ولم يزل له ذكر خالد في أحفاده المتعاقبين ، فإنهم بين علماء أعظم ، وفقهاء مبرزين ، وشعراء ، ومحدثين ، وأمراء صالحين ، ونسّابين ، وقد انتشروا في مصر ونصيبين واليسن وحلب وبירות والمدينة والكوفة والحلة وطبرستان وخراسان وجرجان وكرمان وقم وإصفهان .

وكان القاسم بن محمد بن عبد الله بن محمد بن عقيل بن أبي طالب فاضلاً تقياً

وأخوه عقيل جليل ثقة ثبت صاحب حديث ، وعمّهما عقيل بن عبد الله نسابة مشجراً ، وحفيد عقيل هذا جعفر بن عبد الله الأصفهاني عالم نسابة شيخ شبل ابن نكبن مات سنة ٣٣٤ هـ .

ومحمد بن مسلم بن عقيل بن عبد الله بن محمد بن عقيل بن أبي طالب ، يعرف بابن المزينة ، كان أمير المدينة قتله ابن أبي الساج .

وابنه أبو القاسم أحمد بن محمد المذكور كان له أدب وفضل ، مات سنة ٣٣٠ هجرية .

والعبّاس بن عيسى الأوقص ، ولي القضاء للداعي الكبير الحسن بن زيد على جرجان ، وقد أولد بكرمان^(١) .

ومن أحفاد عقيل العلامة الجليل السيّد إسماعيل بن أحمد النوري الطبرسي ، من علمائنا الأعظم ، شارح نجات العباد لشيخ الطائفة المحقق الحجة «صاحب الجواهر»^(٢) ، طبع منها جزءان إلى آخر الزكاة ، وله كفاية الموحدين مطبوعة .

وكان في كربلاء المشرفة بيت كبير وطائفة جليّة يعرفون بالعقيلين ، لهم أوقاف كثيرة ، وقد انقضوا وبقي منهم رجل واحد .

(١) أنظر ذلك في عمدة الطالب : ٣٥ .

الطيار

وأما جعفر بن أبي طالب ، فحسبه من العظمة شهادة الرسول الأقدس بأنه يشبهه خلقاً وخلقاً ، ذلك الخلق الكريم الموصوف في الذكر الحكيم بقوله عز شأنه : ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾^(١) . وحيث لم ينصّ النبي ﷺ على صفة خاصة من أخلاقه ، فلا جرم من شمول تلك الكلمة الذهبية : « أشبهت خلقي وخلقي » لجميع ما اتصف به الرسول حتّى الدنس من الرّجس والآثام .

ولو تنازلنا عن القول بعموم التشبيه لهذه الخاصة فلا بدّ من القول بتحقيق أظهر صفات المشبّه به للمشبّه ، ولا شكّ في أنّ ذلك المعنى أظهر ما في خلقه الكريم ﷺ .

وغير خاف أنّ هذه الكلمة قالها النبي لما تنازع عنده أمير المؤمنين وجعفر بن أبي طالب وزيد بن حارثة في ابنة حمزة بن عبد المطلب ، وكان كلّ منهم يريد القيام بتربيتها .

وذلك أن النبي ﷺ لما خرج من مكة بعد انقضاء الأجل بينه وبين أهل مكة في عمرة القضاء الواقعة في السنة السابعة للهجرة ، تبعته ابنة حمزة تقول : يا عم خذني معك ، فأخذها أمير المؤمنين ودفعها إلى فاطمة عليها السلام ، وفي المدينة جرى ذلك النزاع بينهم ، فقال

رسول الله لزيد : « أنت أخوها ومولانا » ، وقال لجعفر : « اشبهت خلقي وخلقي » ، وقال لأmir المؤمنين : « أنت مني وأنا منك » ، ثم قضى بها للخالة وهي أسماء بنت عميس^(١) .

هذا هو الحديث المذكور في الجوامع ، والنظرة الصادقة فيه تفيدنا معرفة السرّ في اختلاف خطاب النبي مع ابني عمّه ، وكُلّ منهما نصح له في التلبية على الدعوى الإلهية ، وأخلص في المفاداة في سبيل تبليغ الرسالة خصوصاً مع معرفته بأساليب المحاورة ؛ لأنّه سيّد البلغاء « وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ »^(٢) ، فلا جرم حينئذٍ من كون الوجه فيه هو الإشارة إلى صفة سامية تحلّى بها أمير المؤمنين وتخلّى عنها جعفر ، وليست هي إلّا خلافة الله الكبرى ، فإنّ عليّاً عليه السلام حامل ما عند رسول الله الأعظم من علم متدفّق ، وفقه ناجع ، وخبرة شاملة ، وتأمل فيّاض ، وخلق عظيم لا يستطيع البشر القيام به .

وهذا هو الذي تفيدته المنزلة في قوله : « أنت مني وأنا منك » ، بعد فرض المباينة بينهما في الحدود الشخصية . والنبي لا ينطلق ساهياً ولا لاهياً ، فلا بدّ أن يكون قاصداً تلك المنزلة الكبرى التي لم يحوها جعفر وإن بلغ في خدمة الدين كلّ مبلغ .

وهذا النزاع إنّما هو في الحضانة التي هي سلطنة وولاية على تربية الطفل وإدارة شؤونه ، وقد كان لابنة حمزة يومئذ أربع سنين . وهذا القضاء - كما يفيدنا سقوط حضانة الأم إذا تزوجت -

(١) صحيح البخاري ٣ : ١٦٨ ، كتاب الصلح ، باب إذا اصطلحوا على صلح جور فالصلح مردود ، المستدرک للحاكم ٣ : ١٢٠ ، السنن الكبرى للنسائي ٨ : ٥ ، مجمع الزوائد للهيثمى ٩ : ٢٥٨ .

(٢) النجم : ٣ .

يُفيدنا أولوية الخالة على العمّة ، فإنّ عمّتها صفية كانت موجودة يومئذ وأُمها سلمى متزوجة بشداد بن الهادي الليثي حليف بني هاشم .

ويرشدنا طلب أمير المؤمنين الحضّانة إلى أنّ أولوية الخالة على غيرها من الأقارب إنّما هو عند المخاصمة ، وإلا فلم يخف الحكم على سيّد الوصيين ، وهو مستقى الأحكام وينبوعها ، وقد امتزجت ذاته المقدّسة بالمعارف الإلهية والأسرار الربوبية واستمدّ من اللوح المحفوظ .

ولعلّ السرّ الدقيق في مخاصمته معها تعريف الأُمة مقامه الرفيع ومنزلته الكبرى التي لا يدانيها كلّ أحد ، والواجب عليه - بما أنّه المنقذ الأكبر وإمام الأُمة - إرشادها إلى الطريق اللاّحِب بأيّ نحو من أنحاء الكلام .

لقد كان جعفر ملازماً لصاحب الرسالة ملازمة الظلّ لديه ، يرقب أفعاله وتروكه ، ويسمع تعاليمه وعظاته ، ويبصر أعماله وحكمه ، ويقتصّ أثره منذ كان يصل جناح الرسول الأيسر في الصلاة بعد أمير المؤمنين وخديجة الكبرى .

وكانت قريش تخط في غلواء جحودها ، وتغلي مراجل بغضائها على الصّادع بالدين الحنيف ، وعلى كلّ ذلك تمرّنه التعاليم النبويّة الخاصّة به ، وتكهّربه تهذيبات المشرّع الأطهر ، ولا تدعه جاذبة الدعوة الإلهية يلوي يميناً ولا شمالاً .

ومن هنا أئتمنه صاحب الرسالة على نشر كلمة التوحيد وعلى ضعفاء المسلمين يوم بعثه إلى الحبشة في السنة الخامسة من الهجرة ، فأدّى النصيحة ، ونهض بالدعوة حتّى استمال النجاشي إلى

الإسلام ، فأمن غير أن منيته حالت دون أمنيته .

ولو لم يكن جعفر بتلك المنزلة الرفيعة لما تعاقبت مفاخرات أئمة الدين به ، كما افتخروا بعمّه أسد الله وأسود رسوله في كثير من مفاخراتهم :

ففي احتجاج الطبرسي : أن أمير المؤمنين احتجّ على أهل الشورى بأن أخاه جعفر المزيّن بجناحين في الجنة ، يحلّ فيها حيث شاء ، فلم يردّ عليه أحد ، بل قابلوه بالتسليم والقبول .

وفي نهج البلاغة فيما كتب به إلى معاوية : أنّ قوماً قطعت أيديهم في سبيل الله ، ولكلّ فضل ، حتّى إذا فعل بواحدنا ما فعل بواحدهم قيل له : الطيار في الجنة وذو الجناحين .

فلو لم يكن كفاحه عن الدين عن بصيرة نافذة ويقين ثابت لما افتخر به المعصومون والعارفون بمآل العباد ، حتّى جعلوا مواقفه في الدين ذريعة إلى التوسّل إلى مطلوبهم .

ولحزمه الثابت ، ومواقفه المحمودة ، وإصابته في الرأي ، وقديم إيمانه أمّره النبي ﷺ في غزوة مؤتة على المسلمين ، ولم يجعل عليه أميراً ، فإذا قتل فالأمير زيد بن حارثة ، فإن قتل فالأمير عبد الله بن رواحة^(١) .

فما ذهب إليه فريق من المؤرّخين من تقديم زيد وابن رواحة عليه ، يدفعه صحيح الأثر والاعتبار الصادق .

وهذه العظمة هي التي تركت قدومه من الحبشة يوم فتح خيبر أعظم موهبة منح الله تعالى بها نبيّه ، تعادل ذلك الفتح المبين ، حتّى قال ﷺ : « ما أدري بأيّهما أسرّ بقدوم جعفر أم بفتح خيبر » ، ثمّ قال

(١) مناقب آل أبي طالب ١ : ١٧٦ ، إعلام الوری : ٢١٢ .

له : « ألا أحبوك ، ألا أمنحك »؟ فظنّ الناس أنّه يعطيه ذهباً وفضّة ؛ لما فتح الله عليه من خبير ، فقال له جعفر : بلى يا رسول الله ، فعلمه صلاة التسبيح وهي المعروفة بصلاة جعفر^(١) .

وهذه الحبة من الرسول الكريم لابن أخيه حيث علم أنّ من فرط قداسته لا يروقه إلا ما كان من عالم القدس ، فخلع عليه بها ، وجعله وسام شرف له ، وهي من المتواترات بين العامّة والخاصّة ، كما نصّ عليه المجلسي في البحار^(٢) .

ولكن شردمة من مناوئي أهل البيت لم يرق لهم ثبوت تلك المنحة لأخي أمير المؤمنين ، وحيث لم يسعهم أن يلصقوها بواحد منهم زحزحوها إلى العباس بن عبد المطلب كما في شفاء السقام للسيد جعفر الكتاني صفحة ٢٠ .

وقد كشفت الحقيقة عن نفسها ، وأماطت ستار التمويه بافتعال هذه النسبة من عكرمة مولى ابن عباس الكذاب بنصّ الذهبي في الميزان ، وياقوت في المعجم ، وابن خلكان في الوفيات بترجمته^(٣) .

(١) الكافي ٣ : ٣٦٥ ، من لا يحضره الفقيه ١ : ٥٥٢ ، النوادر : ١٦٠ ، جمال الاسبوع : ١٨٢ .

(٢) بحار الأنوار ٨٨ : ٢١٢ .

(٣) ميزان الاعتدال ٣ : ٩٤ ، ضعفاء العقيلي ٣ : ٣٧٣ ، تاريخ الإسلام ٧ : ١٨ ، وغيرها من المصادر .

أخوته

إنّ حاجة الباحث في تاريخ أبي الفضل عليه السلام ماسّة إلى معرفة أخوته الأكارم لمناسبات هناك ، فإنّ منهم من يعدّ قربه منه فضيلة رابية وشرفاً باذخاً فضلاً عن الأخوة ، وهما الإمامان على الأمة إن قاما وإن قعدا^(١) .

وإذا كانت بنوتهما لأمر المؤمنين معدودة من فضائله ، مع ما له من الفضائل التي لا يأتي عليها الحصر ، كما يظهر من قوله عليه السلام يوم الشورى : « أنشدكم بالله هل فيكم أحد له سبطان مثل سبطاي الحسن والحسين ابني رسول الله ، وسيدي شباب أهل الجنة غيري »؟ قالوا : لا^(٢) .

كما أنّه عليه السلام افتخر بهما يوم كتب إليه معاوية أنّ لي فضائل ؛ كان أبي سيّداً في الجاهلية ، وصرت ملكاً في الإسلام ، وأنا صهر رسول

(١) كشف الغمة ٢ : ١٥٦ ، إعلام الوري : ٤٠٧ ، روضة الواعظين : ١٥٦ ،
الإرشاد ٢ : ٣٠ .

(٢) الخصال : ٥٥٥ .

اللّٰه ، وخال المؤمنين ، وكاتب الوحي .

فكتب إليه أمير المؤمنين أبياتاً سبعة ذكر فيها مصاهرتة من رسول اللّٰه ، وأن عمّه سيّد الشهداء ، وأخاه الطيّار مع الملائكة في الجنان ، وسبقه إلى الإسلام ، وأخذ البيعة له (يوم الغدير) ، وأن ولديه سبطا رسول اللّٰه ﷺ^(١) .

وحينئذ فأخوة العبّاس لهما أولى أن تعقد منهما مآثره وفضائله . أضف إلى ذلك ما استفاده منهما من العلوم والمعارف الإلهية .

ومنهم من يجمعه وإياه جامع العقب ، فإنّ المعقّبين من أولاد أمير المؤمنين الإمامان والعبّاس ومحمّد بن الحنفية وعمر الأطرف . ومنهم من شاركه في موقف الطفّ .

ومنهم من يعدّ هو وإياه تحت جامع الأمومة .

ومنهم من شاركه في الاسم .

وعليه فأولاد أمير المؤمنين الذكور ستة عشر :

الحسن والحسين والمحسن ، أمهم سيّدة نساء العالمين .

محمّد بن الحنفية ، أمّه خولة .

العبّاس وعبد اللّٰه وجعفر وعثمان ، أمّهم أم البنين .

عمر الأطرف والعبّاس الأصغر ، أمهما الصهباء .

محمّد الأصغر ، أمّه إمارة بنت أبي العاص .

يحيى وعون ، أمهما أسماء بنت عميس .

(١) روضة الواعظين : ٨٧ ، الاحتجاج : ١ : ٢٦٥ ، مناقب آل أبي طالب ٢ : ١٩ ،

الغدير ٢ : ٢٦ ، تاريخ مدينة دمشق ٤٢ : ٥٢١ ، الوافي بالوفيات ٢١ : ١٨٤ ،

البداية والنهاية ٨ : ٩ .

عبد الله وأبو بكر ، أمهما ليلى بنت مسعود .
 محمد الأوسط ، أمه أم ولد^(١) .

أما الإمامان فالأحرى أن نجعجع اليراع عن التبسط في فضلها
 وموقفهما من القداسة ومحلها من الزلفى ، وما أوتيا من حول
 وطول ، والبسطة في العلم ، فإن الوقوف على كنه ذلك فوق مرتكز
 العقول .

وأما المُحَسَّن - بتشديد السين كما في تاج العروس بمادة
 شبر^(٢) ، والإصابة بترجمته^(٣) - وضم الميم ، وسكون الحاء كما في
 حاشية السيّد محمد الحنفي على شرح ابن حجر لهمزية البويصري
 ص ٢٥١ .

فعند الإمامية أنّ النبي ﷺ سمّاه باسم ابن هارون مشبر
 كمحدث كما في القاموس^(٤) وغيره ، وكان حملاً ، وبعد وفاته
 أسقطته فاطمة الزهراء لسته أشهر ، والروايات التي ذكرها ابن
 طاووس في (الطرف)^(٥) وغيره في غيرها تساعدهم .

(١) تاريخ الطبري ٤ : ١١٩ ، الكامل في التاريخ ٣ : ٣٩٨ ، مع تفاوت يسير في
 بعض الابناء واسمائهم .

(٢) تاج العروس ٣ : ٢٨٩ .

(٣) الإصابة ٦ : ١٩١ .

(٤) القاموس ٢ : ٥٥ .

(٥) الطرف ١ : ٣٣٥ .

ابن الحنفية

وأما محمد الأكبر ، الذي يجمعه وإياه جامع العقب ، فيكنى بابن الحنفية ، وهي أمه خولة بنت جعفر بن قيس من بني الدئل بن حنيفة بن لجيم ، وأمها بنت عمرو بن أرقم الحنفي .
واختلف في أمرها أنها سبية أيام رسول الله ﷺ ، لما بعث علياً إلى اليمن فأصاب خولة في بني زيد ، وقد ارتدوا مع عمرو بن معد يكرب ، وكانت زيد سبتها من بني حنيفة في غارة لهم عليهم .
وقيل : إن خالد بن الوليد قاتل أهلها أيام أبي بكر فسباهم ، فهي من جملة السبايا ، فدفعها أبو بكر من سهمه في المغنم .
وقيل : إن بني أسد أغارت على بني حنيفة أيام أبي بكر فسبوا خولة وباعوها من علي عليه السلام ، فبلغ قومها خبرها فجاءوا إلى علي عليه السلام فعرفوه أنها ابنتهم ، فاعتقها وأمهرها وتزوجها^(١) .
وقيل : إنها سبيت أيام أبي بكر ، فاشتراها أسامة بن زيد وباعها من علي عليه السلام .

وفي حديث أسماء بنت عميس : أن أمير المؤمنين عليه السلام اشتراها

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١ : ٢٤٤ .

من سوق ذي المجاز أوان مقدمه من اليمن ، فوهبها فاطمة عليها السلام ،
فباعتها من مكمل الغفاري ، فولدت منه عونة ، ثمّ باعها من علي عليه السلام .
ويحكي ابن خلكان في الوفيات قولاً أنّها سنديّة ، أمة لبني
حنيفة ، سوداء^(١) .

وحكاه الشيخ الجليل ابن إدريس الحلّي في مزار السرائر عن
ابن حبيب النسابة وقال : إنّّه جهل منه وقلة تأمل^(٢) .

ويروي القطب الراوندي في الخرائج : أنّها سبيت أيام أبي
بكر ، وأنّ الزبير وطلحة طرحا عليها ثوبيهما طلباً للاختصاص بهما ،
فصاحت : لا يملكني إلّا من يخبرني بالرؤيا التي رأتها أمي ، وعن
اللوح الذي كتبت فيه الرؤيا ، وما قالته لي ، فعجزوا عن معرفته إلّا
أمير المؤمنين أوضح لها في ملأ من المسلمين أمراً غيبياً ، عجب
منه الحاضرون ، فعندها قالت : من أجلك سُبينا ولحبّك أصابنا ما
أصابنا^(٣) .

ولم يعبأ السيّد المرتضى في (الشافي) بجميع ذلك فقال : « لم
تكن الحنفية سبية على الحقيقة ، ولم يستبجها عليه السلام بالسبا ؛ لأنّها
بالإسلام قد صارت حرّة مالكة أمرها ، فأخرجها من يد من استرقها ،
ثمّ عقد عليها عقد النكاح »^(٤) .

(١) وفيات الأعيان ٤ : ١٦٩ .

(٢) السرائر ١ : ٦٥٧ والعبارة : « وهذا خطأ منه ، وتغفيل ، وقلة تحصيل » .

(٣) الخرائج والجرائح للراوندي ٢ : ٥٦٤ ، والكلام منقول بالمعنى في عامة
الفاظه .

(٤) الشافي للسيّد المرتضى ٣ : ٣٧١ .

وما ذكره هو الصحيح المقبول ، فإنّ الردّة المزعومة لا توجب أحكام الكفر ومنع الزكاة وأمثالها على التأويل ، فليس فيه خروج عن ربة الإسلام .

وأما ولادة محمّد فقيل : إنّها أيام أبي بكر ، وقيل : أيام عمر ، وخصّها ابن خلكان بأوّل المحرم لسنتين بقيتا من خلافة عمر^(١) . وإذا علمنا أنّ عمر مات سنة ثلاث وعشرين ، كانت ولادته سنة إحدى وعشرين .

وأما على رأي ابن كثير في البداية ج ٩ ص ٣٨ وسبط ابن الجوزي في التذكرة من وفاته سنة إحدى وثمانين عن خمس وستين تكون ولادته سنة ستة عشر للهجرة^(٢) .

وأما قبره فعند ابن قتيبة بالطائف^(٣) ، وفي تذكرة الخواص بايلة مدينة مما يلي الشام ، وفي حلية الأولياء ج ٣ ص ١٧٣^(٤) وتهذيب التهذيب ج ٩ ص ٣٥٥^(٥) بالمدينة المنورة وعينه ابن كثير بالبقيع^(٦) .

وفي معجم البلدان ج ٣ ص ٣٨٧^(٧) : إن أهل جزيرة خارك - التي هي في وسط البحر الفارسي - يزعمون أنّ بها قبر محمّد بن الحنفية يقول الحموي : وقد زرت هذا القبر فيها ولكن التواريخ تأباه .

(١) وفيات الأعيان ٤ : ١٧٢ .

(٢) البداية والنهاية ٩ : ٤٦ .

(٣) المعارف : ٩٥ .

(٤) حلية الأولياء ٣ : ٢٠٥ .

(٥) تهذيب التهذيب ٩ : ٣٥٤ .

(٦) البداية والنهاية لابن كثير ٩ : ٣٢ .

(٧) معجم البلدان ٢ : ٣٣٧ .

واعتقاد الكيسانية حياته في جبل رضوى يأتيه رزقه وله عودة ، من الخرافات ؛ للاتفاق على موته .

وإن كلمة الإمام الحسن السبط تدلنا على فضله الشامخ ، وورعه الثابت ، ونزاهته عن كُل دنس ، ومعرفته بالإمام الواجب اتباعه قال الشيخ الجليل الطبرسي من أعلام القرن السادس في (أعلام الوري) :

« أرسل الحسن بن أمير المؤمنين قنبراً خلف محمد بن الحنفية ، فلمّا مثل بين يديه قال له : « اجلس » فليس يغيب مثلك عن سماع كلام يحيى به الأموات ويموت به الاحياء ؛ كونوا أوعية العلم ومصايح الدجى ، فإنّ ضوء النهار بعضه أضوء من بعض ، أما علمت أنّ الله عزّ وجلّ جعل ولد إبراهيم عليه السلام أئمة ، وفضّل بعضهم على بعض ، وآتى داوود زبوراً ، وقد علمت بما استأثر الله تعالى محمد ﷺ !؟

يا محمد بن علي ، لا أخاف عليك الحسد ، وإنّما وصف الله به الكافرين فقال تعالى : ﴿ كُفَّاراً حَسَداً مِّنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ مِّنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ ﴾ ^(١) ولم يجعل الله للشيطان عليك سلطاناً .

يا محمد بن علي ، ألا أخبرك بما سمعت من أبيك عليه السلام فيك؟ قال : بلى .

فقال : سمعت أباك يقول يوم البصرة : من أحبّ أن يبرّني في الدنيا والآخرة فليبرّ محمّداً .

يا محمد بن علي ، لو شئت أن أخبرك وأنت في ظهر أبيك
لأخبرتكَ .

يا محمد بن علي ، أما علمت أن الحسين بن علي بعد وفاة
نفسه ومفارقة رُوحه جسمي إمام من بعدي عند الله في الكتاب ،
وراثته النبي أضافها في وراثته أبيه وأمه ، علم الله أنكم خيرة خلقه
فاصطفى منكم محمداً ، واختار محمداً علياً ، واختارني علي
للإمامة ، واخترت أنا الحسين» .

فقال له محمد بن علي : أنت إمامي وسيدي ، ألا وإن في
رأسي كلاماً لا تنزفه الدلاء ، ولا تغيّره الرياح ، كالكتاب المعجم في
الرقّ المنمنم ، أهم بابدائه ، فأجدني سبقت إليه سبق الكتاب
المنزل ، وما جاءت به الرسل ، وإنه لكلام يكُلّ به لسان الناطق ويد
الكاتب حتّى لا يجد قلماً ، ويؤتوا بالقرطاس حمماً ، ولا يبلغ
فضلك وكذلك يجزي المحسنين ولا قوة إلّا بالله ؛ الحسين أعلمنا
علماً ، واثقلنا حلماً ، وأقربنا من رسول الله رحماً ، كان إماماً قبل أن
يخلق ، وقرأ الوحي قبل أن ينطق ، ولو علم الله أن أحداً خيراً منا
ما اصطفى محمداً ، فلمّا اختار الله محمداً واختار محمداً علياً
إماماً ، واختارك عليّ بعده واخترت الحسين بعدك ، سلمنا ورضينا
بمن هو الرضا وممّن نسلم به من المشكلات^(١) .

وهذه الوصية تفيدنا عظمة ابن الحنفية من ناحية الإيمان وأنّه
من عياب العلم ومناجم التقى ، فأَيّ رجل يشهد له إمام وقته بأنّ الله
لم يجعل للشيطان عليه سلطاناً ، وأنّه لا يخشى عليه من ناحية

الحسد الذي لا يخلو منه أو من شيء من موجباته ، أيّ أحد لم يبلغ درجة الكمال ثمّ أي رجل أناط أمير المؤمنين البرّ به بالبرّ بنفسه التي يجب على كافة المؤمنين أن يبرّوا بها .

على أنّ الظاهر من قول المجتبى : «أما علمت أنّ الحسين» هو أنّ علم محمّد بالإمامة لم يكن بمحض النصّ المتأخّر وإن أكده ذلك ، وإنّما هو بعلم مخصوص برجال بيت الوحي ، مكنون عندهم بالإحاطة بالكتاب الماضي والقدر الجاري . ويرشدنا إلى هذا قول ابن الحنفية : «إنّ في رأسي ...» ، فإنّه أظهر من سابقه فيما قلنا ، وكلماته الذهبية في الاعتراف بحقّ الإمامين تدلنا على ثباته المستقّى من عين صافية بارشية من الحقّ ، وما هي إلّا ذلك اللوح المحفوظ .

أضف إلى ذلك ما جاء عن أمير المؤمنين عليه السلام من قوله : «تأبى المحامدة أن يعصى الله ، وهم : محمّد بن الحنفية ، ومحمّد بن جعفر الطيار ، ومحمّد بن أبي حذيفة بن عتبة بن ربيعة ، وهو ابن خال معاوية بن أبي سفيان»^(١) .

(١) رجال الكشي ١ : ٢٢٦ النصّ منقول بالمعنى . وفيه إنّ محمّد بن أبي حذيفة كان من أنصار علي وخيار الشيعة ، وبعد شهادة علي حبسه معاوية دهرًا حيث لم يتبرأ من المشايعة لعلي وولده ، وبعد أن أخرجه حمله على البراءة منه والموالة لعثمان فقال له : إنّي لا أعلم أحداً شرك في دم عثمان غيرك حيث استعملك وخالف المسلمين في رأيهم عليه بعزلك حتّى جرى عليه ما كان ، وإنّ طلحة والزبير وعائشة هم الذين ألّبوا عليه وشهدوا عليه بالجريمة ، وإنّي أشهد أنّك منذ عرفت في الجاهلية والإسلام لعلي خلق واحد ما زاد الإسلام فيك شيئاً ، وعلامته أنّك تلومني على حبّي لعلي وقد خرج معه كلّ صوّام قوام =

وهذه شهادة من سيّد الأوصياء في حقّ ولده الكريم محمّد ،
قد أخذت مأخذها من الفضيلة وأحلت محمّداً المحلّ الأرفع من
الدين ، وأقلّته سنام العزّ في مستوى الإيمان .

وإن شهادة أمير المؤمنين بأنّه ممّن يأبى أن يُعصى الله ، تعرّفنا
عدم ادعائه الإمامة لنفسه بعد الحسين ، فإنّ تسليمه الإمامة للسجاد
لا يختلف فيه اثنان ، واستدعاؤه الإمام للمحاكمة عند الحجر الأسود
من أكبر الشواهد على تفننه في تنبيه الناس لمن يجب عليهم الانقياد
له .

وعدم حضوره مشهد الطّف : إمّا لما يقوله العلامة الحلّي في
أجوبة المسائل المهنائية من المرض ، أو لما يروي محمّد بن أبي
طالب في المقتل من إذن الحسين له في البقاء بالمدينة ، يعرفه بما
يحدث هناك ، فهو معذور مقبول .

ولبسائه المعلومة وموقفه من الحقّ أنزله أبوه يوم (الجملة)
منزلة يده ، فكان يخوض الغمرات أمامه ويمضي عند مشتبك
الحرب قدماً ، وكان يقول له عند أمره لمنازلة الأقران دون الإمامين :
إنّهما عيناى وأنت يدي ، أفلا أدفع بيدي عن عيني^(١) .

= من المهاجرين والأنصار ، كما خرج معك أبناء المنافقين والطلاقاء . والله يا
معاوية ما خفي عليك ما صنعت ولا خفي عليهم ما صنعوا ، إذ أحلوا أنفسهم
سخط الله بطاعتك ، وإنّي لا أزال أحبّ علياً لله ورسوله وأبغضك في الله
ورسوله أبداً ما بقيت ، ثمّ رده إلى السجن فمات فيه . رجال الكشي ١ : ٢٢٨
والنصّ منقول بالمعنى .

(١) في شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١ : ٢٤٤ : « قيل لمحمّد : لم يغرر

وناهيك من بلاغته المزيجة بالشجاعة خطبته يوم صفين ، وقد
برز بين الصفين فأومى إلى عسكر معاوية وقال :

« يا أهل الشام اخسئوا يا ذرية النفاق وحشو النار وحطب
جهنم ... »^(١) إلى آخر كلامه المروي في تذكرة الخواص لسبط ابن
الجوزي ص ١٦٧ ، ومناقب الخوارزمي ص ١٣٤^(٢) .

فكان لهذه الخطبة البليغة موقع تام في ذلك الجيش اللجب
والجمع المتكاثف ، ولم يبق في الفريقين إلا من اعترف بفضله .

= بك أبوك في الحرب ، ولا يغرر بالحسن والحسين عليه السلام ؟ فقال : إنهما عيناها
وأنا يمينه ، فهو يدفع عن عينيه بيمينه » .

(١) والنص باختلاف ألفاظه موجود في مناقب آل أبي طالب ٣ : ٣٣٤ ، وعنه
بحار الأنوار ٤٦ : ٣١٨ .

(٢) المناقب للخوارزمي : ٢١٠ .

الأطرف

وأما عمر الأطراف ، فكما شاركه في العقب ، وقع الخلاف من أهل النساء في أيهما أسبق في الولادة ، فالذي عليه ابن شهاب العكبري وأبو الحسن الاشناني وابن جداع تقدّم ولادة عمر ، وعند شيخ الشرف العبيدلي والبغدادى وأبي الغنائم العمري تقدّم ولادة العباس عليه السلام ^(١) .

ولا يمكننا الحكم بشيء بعد جهالة السنة التي توفي فيها ، وذكرها على الإجمال في زمن عبد الملك أو ابنه الوليد لا يغني ، وإن عرفوا مقدار عمره بخمس وثمانين أو خمس وسبعين .
نعم ، يظهر من المؤرخين عند ذكر أولاد أمير المؤمنين عليه السلام أن العباس أكبر منه ؛ لأنهم يقدّمون ذكر العباس وأخوته على عمر ، على أن الداودي في العمدة ص ٣٥٤ يقول : كان عمر آخر من ولد من بني علي عليه السلام .

وعلى كلّ حال فالوجه في تسميته بالأطرف إنما هو بعد ولادة عمر الأشرف ابن الإمام السجاد عليه السلام أخو زيد الشهيد لأمه ، فإنه سُمّي بالأشرف لجمعه الفضيلة من ولادة علي وفاطمة عليهما السلام ، والأطرف حاز الفضل من طرف أبيه ^(٢) .

(١) عمدة الطالب : ٣٢٨ .

(٢) عمدة الطالب : ٢٨١ .

ولم يحضر مع الحسين في الطفّ ، ولا مع مصعب بن الزبير ، وقد وهم من ذكره في المستشهدين يوم الطفّ ، كما أخطأ الدينوري في الأخبار الطوال ص ٢٩٧ في عدّه من جملة من قُتل مع مصعب في الحرب القائمة بينه وبين المختار .

وأغرب منه عدّ الياضي له في مرآة الجنان ج ١ ص ١٤٣ في جملة المقتولين مع المختار ؛ لأنّ المشهور بين المؤرّخين بقاؤه إلى بعد الحسين حتّى نازع السجّاد في الصدّقات إلى عبد الملك ، فلم ينجح ، كما نازع الحسن المثنى فيها عند الحجاج فطرده عبد الملك عنها^(١) .

ويروي السيّد ابن طاووس أنّه أشار على الحسين بالبيعة ليزيد ، فقال له : إنّ أبي حدّثني عن رسول الله بقتله وقتلي ، وإنّ تربتي إلى جنب تربته ، أتظنّ أنك تعلم ما لم أعلمه ، فوالله لا أعطي الدنيّة من نفسي^(٢) .

ولا أعلم السبب في تأخّره عن الطفّ ، والظنّ لا يغني عن الحقّ شيئاً ، وليس لنا إلّا التسليم ما لم يقم دليل قطعي على المعاندة والمخالفة ، خصوصاً بعد ما جاء الحديث عن الإمام الصادق عليه السلام ، وفيه : « لا يخرج أحدنا من الدنيا حتّى يقرّ لكلّ ذي فضل فضله ولو بفواق ناقة »^(٣) .

فلأنّه صريح في توبة من كان ظاهره الخلاف لأهل البيت عليهم السلام عند

(١) عمدة الطالب (عند ذكر الحسن المثنى) : ٩٠ .

(٢) اللهوف في قتلى الطفوف : ٢٠ ، والنصّ منقول بالمعنى .

(٣) هذان حديثان ملفقان منقولان بالمعنى وهما في كمال الدين وتمام النعمة للشيخ الصدوق : ٦٠٢ ، وقرب الإسناد للحميري : ٢٤ .

الممات ، ولا إشكال في أنّ التوبة مكفرة لما صدر من العصيان كما في صريح الكتاب المجيد وإجماع المسلمين والأخبار المتواترة التي توجب القطع بمضمونها ، فالتهجم على آل النبي ﷺ بمجرد تلك الأحاديث التي لا يعرف مأخذها ، خروج عن طريقة الأئمة الطاهرين .

وأما عبيد الله بن النهشلية فلم يحضر الطّف وجاء إلى المختار يطلب الرّفد فلم يصله ، فالتحق بمصعب ، وجاء معه ، فلمّا وصل المنار من سواد البصرة وجد في فسطاطه مذبحاً ولم يعلم قاتله^(١) . والمشارك معه في يوم الطّف أبو بكر ، وأمه ليلى بنت مسعود النهشلية ، قال ابن جرير : وابن الأثير شكّ في قتله^(٢) .

وفي نفس المهموم ص ١٧٣ : وجد في ساقية قتيلاً لا يعلم قاتله^(٣) .

وكأنّه لمّا حمل آل أبي طالب بعد قتل عبد الله بن مسلم بن عقيل جملة واحدة فصاح بهم الحسين : « صبراً على الموت يا بني عمومتي ، فوالله لا رأيتم هواناً بعد هذا اليوم أبداً »^(٤) .

سقط فيهم عون بن الطيار ، وأخوه محمّد وعبد الرحمن بن عقيل ، وأخوه جعفر ومحمّد بن مسلم بن عقيل وأبو بكر هذا ،

(١) قال ابن إدريس الحلّي في السرائر ١ : ٦٥٦ : « وقد ذهب أيضاً شيخنا المفيد في كتاب الإرشاد إلى أنّ عبيد الله بن النهشلية قتل بكر بلاء مع أخيه الحسين عليه السلام . وهذا خطأ محض بلا مراء ؛ لأنّ عبيد الله بن النهشلية كان في جيش مصعب بن الزبير ، ومن جملة أصحابه ، قتله أصحاب المختار .

(٢) تاريخ الطبري ٤ : ٣٥١ ، الكامل في التاريخ ٤ : ٩٢ .

(٣) مقاتل الطالبين : ٥٧ .

(٤) بحار الأنوار ٤٥ : ٣٦ والعبارة : « صبراً يا بني عمومتي ، صبراً يا أهل بيتي ، لا رأيتم هواناً بعد هذا اليوم أبداً » .

فلذلك لم يعرف قاتله .

ومحمد الأوسط ، وأمه أم ولد ، قتله رجل من بني أبان بن دارم واحتز رأسه^(١) .

وعبد الله المولود سنة ٣٦ هـ ، وجعفر المولود سنة ٣٣ هـ ، وعثمان المولود سنة ٤٠ هجرية ، فقتل هاني بن ثابت الحضرمي عبد الله وجعفر ، ورمى خولي بن يزيد الأصبحي عثمان واحتز رأسه رجل من بني أبان بن دارم^(٢) وهؤلاء جمعهم وإياه الأمومة أيضاً .

والمشارك له في الاسم عباس الأصغر ، نص عليه النسابة السيد محمد كاظم اليماني في النفحة العنبرية ، قال : وكان شقيقاً لعمر الأطراف ، وفي ناسخ التواريخ ذكر العباس الشهيد والعباس الأصغر ، ويؤيده أن النسابة العمري في المجدي وابن شهر آشوب في المناقب والشبلنجي في نور الأبصار والمحبت الطبري في ذخائر العقبى وصفوا الشهيد بالعباس الأكبر^(٣) .

وهذا التعبير في عرف النسابين يقع لمن يكون له أخ أصغر منه شاركه في الاسم لا فيمن هو أكبر أخوته مطلقاً ولو لم يشاركه في الاسم ، والظاهر أن العباس الأصغر درج في أيام أبيه ؛ لأنه ليس له ذكر في الوارثين لأمير المؤمنين من ولده .

(١) الكامل في التاريخ ٤ : ٩٢ .

(٢) مقاتل الطالبين : ٥٥ .

(٣) أنساب الأشراف : ١٩٢ ، المجدي في أنساب الطالبين : ٢٣٢ ، الجريرة في

أصول أنساب العلويين : ١٢ .

أخواته

كانت أخوات العباس من أبيه ثمان عشرة^(١) ، فمنهنّ من توفيت أيام أبيهنّ كزينب الصغرى ، وجمانة ، وأمامة ، وأم سلمة ، ورملة الصغرى^(٢) .

ومنهنّ من لم يُذكر خروجهنّ إلى أزواج .
والذين خرجن إلى أزواج : فالعقيلة زينب الكبرى كانت عند عبد الله بن جعفر الطيّار ، فأولدت له جعفر الأكبر ، وعباساً ، وعلياً المعروف بالزینبی ، وعوناً الأكبر قُتل يوم الطفّ في حملة آل أبي طالب .

وأمّ كلثوم ، وهي التي زوّجها الحسين من ابن عمّها القاسم ابن محمّد الطيّار وأنحلها البغيغات^(٣) .

ورقيّة عند ابن عمّها الشهيد مسلم بن عقيل ، ولدت له عبد الله وعلياً ومحمّداً .

وفي العمدة تزوّج مسلم أمّ كلثوم بنت علي عليه السلام فولدت له

(١) مطالب السؤل في مناقب آل الرسول : ٣١٣ .

(٢) مناقب السروي ٢ : ٧٦ .

(٣) المصدر السابق ٢ : ١٧١ .

حميدة^(١) ، تزوجها الفقيه الجليل عبد الله بن محمد بن عقيل بن أبي طالب ، أولدها محمداً منه العقب .

ولا يتم هذا إلا بعد وفاة إحداهن ؛ إذ لا يجوز الجمع بين الأختين .

وكانت فاطمة عند أبي سعيد بن عقيل ، ولدت له حميدة .
وخديجة كانت عند عبد الرحمن بن عقيل ، ولدت له سعيداً .
وأُم هاني تزوّجها عبد الله الأكبر بن عقيل ، ولدت له عبد الرحمن ومحمداً .

وأُم الحسن خرجت إلى جعدة بن هبيرة المخزومي .
وأُمامة كانت عند الصلت بن عبد الله بن نوفل بن الحارث بن عبد المطلب ، ولدت له نفيسة^(٢) .

(١) عمدة الطالب في أنساب آل أبي طالب : ٣٢ .

(٢) بحار الأنوار ٤٢ : ٩٣ ، المجدي في أنساب الطالبين : ١٨ ، إعلام الوري بأعلام الهدى : ٣٩٨ .

العقيلة

وكيف ما كان ، فالمهم في هذا العنوان النظر في العقيلة الكبرى التي هي أعظمهنّ قدراً ، وأجلهنّ شأناً ، فإنّها شظية من شظايا النبوة ، وفلذة من أفلاذ الإمامة ، وهي الجوهرة الفردة التي ضمّها إليه صدف القداسة (الزهراء الطاهرة عليها السلام) وأنجب بها سيّد الأوصياء .

بجلال أحمد في مهابة حيدر قد أنجبت أم الأئمة زينبا

فكانت شريكة الإمامين سيّدي شباب أهل الجنة في ذلك المرتكض الطاهر ، والحجر الزاكي ، والصلب القادس ، واللبن السائغ ، والتربية الإلهية .

أضف إلى ذلك العلم المتدفّع والفقّه الناجع ، وقد شهد لها ابن أخيها السجّاد عليه السلام : « بأنّها عالمة غير معلّمة ، وفاهمة غير مفهّمة »^(١) ، وحسبها من الخطر أن ما انحنت عليه الأضالع هو ذلك العلم المفاض عليها من ساحة القدس الإلهي ، لا بإرشاد معلّم أو تلقين مرشد ، مع البلاغة في المنطق ، والبراعة في الإفاضة ، كأنّها تفرغ عن لسان أبيها الوصي :

وعن الوصي بلاغة خصّت بها

أعيت برونقها البليغ الأخطبا

(١) الاحتجاج ٢ : ٣١ ، في أنساب الطالبين : ٤٨ ، بحار الأنوار ٤٥ : ١٦٤ .

ما استرسلت إلا وتحسب أنها

تستل من غرر الخطابة مقضبا

أو أنها اليزني في يد باسل

أخلا به ظهراً وأوهى منكبا

أو أنها تقتاد منها فيلقا

وتسوق من زمر الحقائق موكبا

أو أن في غاب الإمامة لبوة

لزئيرها عنت الوجوه تهيبا

أو أنها البحر الخضم تلاطمت

أمواجه علماً حجي بأساً أبا

أو أن من غضب الإله صواعقاً

لم تلف عنها آل حرب مهربا

أو أن حيدرة على صهواتها

يقني كراديس الضلال ثبائبا

أو أنه ضمته ذروة منبر

فأنار نهجاً للشريعة ألحبا

أو أن في اللاوي عقيلة هاشم

قد فرقت شمل العمى أيدي سبا^(١)

ولم تكن هذه البراعة والاسترسال في القول إلا عمّا انطبع فيها من النفسيات القوية ، والملكات الفاضلة ، ممتزجة بثبات جأش وطمأنية نفس وشجاعة ، إن شئت فسمّها بالأدبية ، وإلا فهي فوق

(١) من قصيدة للعلامة ميرزا محمد علي الأوردبادي طبعت في كتاب (زينب الكبرى) .

ذلك ، وكانت تلقي خواطرها بين تلك المحتشدات الرهيبة ، أو فقل بين الناب المخلب ، غير متعته ، ولا متلعثمة ، وتقذفها كالصواعق على مجتمع خصومها ، فكانت أعمالها وخطبها الجزء الأخير للعلّة من نهضة السبط الشهيد ، وأصبحت تمام الفضيحة للأمويين بما نشرته بين الملأ من صحيفتهم السوداء ، حتّى ضعفت عرش دولتهم ، وفكّكت عرى سلطانهم ، وألصقت بهم العار من كلّ النواحي ، فكانت شريكة الإمام الشهيد في هذه الفضيلة :

وتشاطرت هي والحسين بدعوة

حتم القضاء عليهما أن يندبا

هذا بمشتبك النصول وهذه

في حيث معترك المكاره في السبا^(١)

وهذه النفسية التي حوتها والثبات الذي انطوى عليه أضالعتها ، أوجب لأخيها الشهيد أن يصحبها في سفره إلى مشهد الطّف ، علماً منه بلياققتها ، لتلقّي الأسرار كما هي ، وأدائها في مورد الأداء كما يجب ، وهذا هو الذي أهّلها لتحمل شطر ممّا يحمله الإمام بعد حادثة الطّف ، حفظاً للسجّاد عن عادية الأعداء ، فكان يُرجع إليها في معرفة الأحكام الشرعية ، وإن كان المرجع إليها زين العباد عليه السلام .

ففي الحديث عن أحمد بن إبراهيم قال : دخلتُ على حكيمة بنت الجواد^(٢) أخت أبي الحسن الهادي ... فكلّمتها من وراء حجاب ، وسألتها عن دينها ، فسَمّت لي من تأتم به ، ثمّ قالت : فلان بن الحسن بن علي ، فسَمّته .

(١) ليلة عاشوراء في الحديث والأدب : ١٥٦ .

(٢) في المصدر : « بنت محمّد بن علي الرضا » .

فقلت لها : جعلني الله فداك معاينة أو خبراً؟
 فقالت : خبراً عن أبي محمد عليه السلام كتب به إلى أمه .
 فقلت لها : فأين المولود؟
 فقالت : مستوراً .

فقلت : إلى من تفزع الشيعة؟
 فقالت : إلى الجدّة أمّ أبي محمد عليه السلام .
 فقلت لها : اقتدي بمن وصيّته إلى المرأة؟

فقالت : اقتداء بالحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام ، إنّ الحسين بن علي عليه السلام أوصى إلى أخته زينب بن علي بن أبي طالب عليه السلام في الظاهر ، وكان ما يخرج عن علي بن الحسين من علم ينسب إلى زينب بنت علي تستراً على علي ابن الحسين^(١) .

ولليقين الثابت والبصيرة النافذة لم تكثر بشيء من الأهوال ولا راعها الهزاهز ، منذ مشهد الطفّ إلى حين وصولها المدينة ، وكان بمنظر منها مصارع آل الله نجوم الأرض من آل عبد المطلب ، وبينهم سيّد شباب أهل الجنّة ، بحالة تنفطر لها السموات ، وتنشق الأرض ، وتخرّ الجبال هدّاً .

وليس معها من حماتها حمي ، ولا من رجالها ولي غير الإمام المضي ، الذي أنهكته العلل ، ونسوة في الأسر ، مكتنفة بها ، بين شاكية وباكية ، وطفل كظّه العطش ، إلى أخرى أقلقها الوجل .
 وأمامها الجيش الفاتح الجذر ، بسكرة الظفر ، وبشر الشماتة ، ودعة السلام ، والفرح بالغنيمة ، ومخيم آل بيت الله طنّبت عليه الكوارث والمحن ، فقد الحماة ، والخوف من الأعدا ، والأوام

(١) كمال الدين وتمام النعمة : ٥٠١ ، الغيبة للشيخ الطوسي : ٢٣٠ .

المبرح ، ونحيب ونشيج ، وشراخ وعولة .

والعقيلة في كُلِّ هذه الأحوال هي المَهْدَّة لفورتهن ، والمُسْكنة لروعتهن ، فلم يشاهد منها عزم خائر ، ولا جأش مائر ، ولا صرخة عالية ، ولا ذهول عن أمر الحرم .

كيف وهي بقية أمير المؤمنين ، ونائبة الحسين على تلکم الأحوال ، والناهضة الكريمة إلى مغزى أخيها ، والتمتمة لقصده الراقي وأمره الرشيد .

نعم ، أهمها من بين ذلك شيء رأتَه ؛ نظرت إلى ابن أخيها السَّجَّاد يجود بنفسه حينما شاهد تلك الجثث الزواكي تصهرها الشمس ، فعظم عليها أمر الإمام ، فأخذت تصبره وتسليّه ، وهو الذي لا توازن بصبره الجبال ، وفيما قالت له :

« مالي أراك تجود بنفسك يا بقية جدّي وأبي وإخوتي؟ »

فقلت : وكيف لا أجزع ولا أهلع وقد أرى سيّدي وإخوتي وعمومتي وولد عمّي وأهلي مصرّعين بدمائهم ، مرمّلين بالعراء ، مسلّبين لا يكفنون ولا يوارون ، ولا يعرج عليهم ولا يقربهم بشر ، كأنهم أهل بيت من الديلم والخزر .

فقالت : لا يجزعنك ما ترى ، فوالله إنّ ذلك لعهد من رسول الله ﷺ إلى جدّك وأبيك وعمّك ، ولقد أخذ الله ميثاق أناس من هذه الأمة لا تعرفهم فراعنة هذه الأرض ، وهم معروفون في أهل السماوات ، إنهم يجمعون هذه الأعضاء المتفرّقة فيوارونها وهذه الجسوم المضرّجة ، وينصبون لهذا الطف علماً لقبر أبيك سيّد الشهداء عليه السلام ، لا يدرس أثره ، ولا يعفو رسمه على كرور الليالي والأيام ، وليجتهدنّ أئمة الكفر وأشياع الضلالة في محوه وتطميّسه ،

فلا يزداد أثره إلا ظهوراً ، وأمره إلا علواً»^(١) .

وهل بعد هذا يبقى مجال للشك في موقفها من الثبات ،
ومحلها من الطمأنينة ، ومبوتها من العظمة؟!

وإنّ حديث الرواة لما وقفت على جسد أخيها وقالت : «اللهم
تقبل منّا هذا القربان»^(٢) يدلنا على تبوّئها عرش الجلالة ، وأنّها
المأخوذ عليها الميثاق بتلك النهضة المقدّسة كأخيها الحسين ، وإن
كان التفاوت محفوظاً بينهما ، حتّى إنّ أحدهما لمّا أتمّ النهوض
بالعهد وخرج عن العدة بإزهاق نفسه المطهّرة ، نهض الآخر بما
وجب عليه ومنه تقديم (الذبيح) إلى ساحة الجلال الربوبي
والتعريف به ، ثمّ طفقت سلام الله عليها ناهضة ببقية الشؤون التي
وجبت عليها ، ولا استبعاد في ذلك بعد وحدة النور ، وتفرد
العنصر .

ثمّ هلّمّ معي لنقرأ موقفها أمام ابن مرجانة ، وقد احتشد
المجلس بوجوه الكوفة وأشرافها ، وهي امرأة عزلاء ليس معها إلا
مريض يعاني ألم القيود ، ونساء ولهى ، وصبية تئن ، فأفرغت عن
لسان أبيها بكلام أنفذ من السهم وأحدّ من شبا السيوف ، وألّقت ابن
مرجانة حجراً إذ قالت له : «هؤلاء قوم كتب الله عليهم القتل ..
وسيجمع الله بينك وبينهم فتُحاج وتُخاصم ، فانظر لمن الفلج
يومئذٍ ، هبلك أمك يا ابن مرجانة»^(٣) .

وأوضحت للملأ المتغافل خبثه ولؤمه ، وأنّه لن يرحض عنه

(١) بحار الأنوار ٢٨ : ٥٧ نقلاً عن كامل الزيارات .

(٢) شجرة طوبى : ٣٩٣ ، حياة الإمام الحسين عليه السلام للقرشي : ٣٠١ .

(٣) مثير الأحزان لابن نما الحلّي : ٧١ .

عارها وشنارها ، كما أنّها أدهشت العقول وحيرت الفكر في خطبتها بالناس ، والناس يومئذٍ حيارى يكون لا يدرون ما يصنعون ، وأنّى يرحض عنهم العار بقتلهم سليل النبوة ، ومعدن الرسالة ، وسيّد شباب أهل الجنة ، وقد خاب السعي ، وتبّت الأيدي ، وخسرت الصفقة ، وباؤوا بغضب من الله وخزي في الآخرة ، ولعذاب الله أكبر لو كانوا يعلمون .

كما أنّها أظهرت أمام ابن ميسون أسرار نهضة أخيها الحسين ، وعرّفت الأمة طغيان يزيد ، وضلال أبيه ، وفظاعة أعمالهم ، وعظيم ما اقترفوه ، وفيما قالت له : « أظننت يا يزيد حيث أخذت علينا أقطار الأرض ، وآفاق السماء ، فأصبحنا نساق كما تُساق الأسارى ، أنّ بنا على الله هواناً وبك عليه كرامة »^(١) إلى آخر كلامها .

ولهذه الفصاحة الدقيقة جاء بها شهيد العزّ والإباء إلى العراق ، لعلمه أنّ الغاية التي يُضحيّ بنفسه لأجلها ستذهب أدراج السلطة الغاشمة ، وتبقى الحقيقة مستورة على السذج لو لم يتعقبها لسان ذرب ، وأنّ كلّ أحد لا يستطيع في ذلك الموقف الحرج الذي تحفّه سيوف الظلم أن يتكلّم بالحقيقة ، مهما بلغ من المنعة في عشيرته إلّا العقيلة ، فإنّها التي تعلن بموبات ابن مرجانة وابن معاوية ، وإنّ ما جرى على ابن عفيف الأزدي شاهد له .

كما أنّه ﷺ كان على يقين وثقة بإخبار جدّه الرسول ﷺ أنّ القوم - وإن بلغوا الخسة والغواية وتناهوا في الخروج عن سبيل الحميّة - لا يمدّون إلى النساء يد السوء ، وقد أنبأ سلام الله عليه عن هذا بقوله
لهنّ ساعة الوداع :

(١) بحار الأنوار ٤٥ : ١٣٣ ، مقتل الحسين للخوارزمي ٤٧ : ٢ .

«البسوا أزركم ، واستعدوا للبلاء ، واعلموا أنّ الله حاميك وحافظكم ، وسينجيكم من شرّ الأعداء ، ويجعل عاقبة أمركم إلى خير ، ويعذب أعاديكم بأنواع العذاب ، ويعوّضكم عن هذه البلية بأنواع النعم والكرامة ، فلا تشكوا ولا تقولوا بالسنتكم ما ينقص من قدركم»^(١).

فكان في مجيء الحسين عليه السلام بالعقيلة فوائد أهمها : تنزيه دين النبي ﷺ عمّا ألصقوه بساحته من الأباطيل ، ولا قبح فيه عقلاً ، كما لا يستهجنه العرف ويساعد عليه الشرع .

والمرأة وإن وضع الله عنها الجهاد ومكافحة الأعداء ، وأمرها سبحانه أن تقرّ في بيتها ، فذلك فيما إذا قام بتلك المكافحة ودافع عن قدس الشريعة غيرها من الرجال ، وأمّا إذا توقّف إقامة الحقّ ونصرة الدين عليها فقط ، كان الواجب النهوض بعبء ذلك كلّّه ؛ كي لا تدرس آثار الحقّ ، وتذهب تضحية أولئك الصفوة دونه أدرج التمويهات ، ولذلك نهضت سيّدة نساء العالمين للدفاع عن خلافة الله الكبرى حين أخذ العهد على سيّد الأوصياء بالسكوت .

على أنّ الخضوع لناموس عصمة الإمام في جميع أقواله وأفعاله الصادرة عنه طيلة حياته يُحتّم علينا الإذعان بأنّ ما صدر منه منبعث عن حكم إلهي ، قرأه في الصحيفة الخاصّة به التي يخبر الصادق عليه السلام عنها : «إنّ لكلّ واحد منّا صحيفة يعمل بما فيها»^(٢).

ويقول الإمام الباقر عليه السلام : «فتقدم علم إليهم من رسول الله ﷺ

(١) الدمعة الساكبة ٤ : ٣٤٦ .

(٢) الكافي ١ : ٢٨٣ ، ح ٤ .

قام علي والحسن والحسين، وبعلم صمت من صمت منا...»^(١).
 كما أنه ﷺ أعلم بذلك جابر الأنصاري حين قال له : ألا تصالح
 كما صالح أخوك الحسن؟ فقال : «إنّ أخي فعل بأمر من الله
 ورسوله ، وأنا أفعل بأمر من الله ورسوله»^(٢).
 فهذه الأحاديث تفيدنا نموذجاً من الاهتداء إلى معرفة سير
 الإمام في جميع أفعاله ، وأنها ناشئة عن حكم ربانية لا يتطرق إليها
 الشك والريب ، وليس الواجب علينا إلا التصديق بكُلّ ما يصدر منه ،
 من دون أن يلزمنا الشرع أو العقل بمعرفة المصالح الباعثة على تلك
 الأفعال الصادرة منه ، سواء كانت الأفعال في العرف والعادة فظيعة
 جداً أم لا .

(١) الكافي ١ : ٢٦٢ ، ح ٤ .

(٢) الثاقب في المناقب لابن حمزة الطوسي : ٣٢٢ ، مع اختلاف بعض الألفاظ .

أُمّ البنين

هي فاطمة بنت حزام بن خالد بن ربيعة بن الوحيد بن كعب بن عامر بن كلاب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن^(١).

١ - وأُمُّها ثمامة^(٢) بنت سهيل بن عامر بن مالك بن جعفر بن كلاب.

٢ - وأُمُّها عمرة بنت الطفيل بن مالك الأخرم بن جعفر بن كلاب.

٣ - وأُمُّها كبشة بنت عروة الرّحال بن جعفر بن كلاب

٤ - وأُمُّها أُمّ الخشف بنت أبي معاوية فارس الهَرّار بن عبادة بن عقيل بن كلاب

٥ - وأُمُّها فاطمة بنت جعفر بن كلاب^(٣).

٦ - وأُمُّها عاتكة بنت عبد شمس بن عبد مناف بن قصي ،
وسمّاها في العمدة فاطمة^(٤).

(١) عمدة الطالب في أنساب آل أبي طالب : ٣٥٦ ، قاموس الرجال ١٢ : ١٩٥ .

(٢) سمّاها الوافي بالوفيات ١٨ : ٣٤٤ (ليلي) .

(٣) سمّاها في إكمال الاكمال ٧ : ١١١ (خالدة) .

(٤) عمدة الطالب لابن عنبه : ٣٥٦ .

٧ - وأُمُّهَا أَمْنَةُ بِنْتُ وَهْبِ بْنِ عَمِيرِ بْنِ نَصْرِ بْنِ قَعِينِ بْنِ الْحَرِثِ بْنِ ثَعْلَبَةَ بْنِ ذُودَانَ بْنِ أَسَدِ بْنِ خَزِيمَةَ .

٨ - وأُمُّهَا بِنْتُ جَحْدَرَ بْنِ ضَبِيعَةَ الْأَغْرِ بْنِ قَيْسِ بْنِ ثَعْلَبَةَ بْنِ عَكَابَةَ بْنِ صَعْبِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ بَكْرِ بْنِ وَاثِلِ بْنِ رَبِيعَةَ بْنِ نَزَارِ .

٩ - وأُمُّهَا بِنْتُ مَلِكِ بْنِ قَيْسِ بْنِ ثَعْلَبَةَ .

١٠ - وأُمُّهَا بِنْتُ ذِي الرَّأْسِينَ ، وَهُوَ خَشِينُ بْنُ أَبِي عَصَمِ بْنِ سَمَحِ بْنِ فِزَارَةَ ، وَفِي الْقَامُوسِ : خَشِينُ بْنُ لَآيِ^(١) ، وَفِي تَاجِ الْعُرُوسِ^(٢) : لَآيِ بْنُ عَصِيمِ .

١١ - وأُمُّهَا بِنْتُ عَمْرِ بْنِ صَرْمَةَ بْنِ عَوْفِ بْنِ سَعْدِ بْنِ ذِيَّانِ بْنِ بَغِيضِ بْنِ الرِّيثِ بْنِ غُطْفَانَ .

هذا ما ذكره أبو الفرج في المقاتل^(٣) من جدّات أمّ البنين والدة العباس عليه السلام ، ومنه عرفنا آباءها وأخوالها ، ويعرّفنا التاريخ أنّهم فرسان العرب في الجاهلية ، ولهم الذكريات المجيدة في المغازي بالفروسية والبسالة ، مع الزعامة والسؤدد ، حتّى أذعن لهم الملوك ، وهم الذين عناهم عقيل بن أبي طالب بقوله : « ليس في العرب أشجع من آبائها »^(٤) ولا أفرس .

وذلك مراد أمير المؤمنين من البناء على امرأة ولدتها الفحولة من العرب ، فإنّ الآباء لا بدّ وأن تعرف في البنين ذاتياتها وأوصافها ، فإذا كان المولود ذكراً بانت فيه هذه الخصال الكريمة ، وإن كانت

(١) القاموس المحيط ٢ : ٢١٨ .

(٢) تاج العروس ٨ : ٢٩٨ ولا خلاف بينهما بعد المراجعة .

(٣) مقاتل الطالبين : ٥٣ .

(٤) عمدة الطالب لابن عنبه : ٣٥٧ .

أنثى بانت في أولادها ، وإلى هذا أشار صاحب الشريعة الحقّة بقوله :
«الخال أحد الضجيعين ، فتخيروا لنطفكم»^(١) .

وقد ظهرت في أبي الفضل الشجاعتان الهاشمية التي هي
الأربي والأرقى ، فمن ناحية أبيه سيّد الوصيّين ، والعامرية فمن ناحية
أمّه أمّ البنين .

فإنّ من قومها أبا براء عامر بن مالك بن جعفر بن كلاب ، جدّ
ثمّامة والدّة أمّ البنين ، وهو الجدّ الثاني لأمّ البنين ، قيل له : ملاعب
الأسنة ، لفروسيته وشجاعته ، لقّبه بذلك حسان لما رآه يقاتل
الفرسان وحده وقد أحاطوا به قال : ما هذا إلّا ملاعب الأسنة .
وقيل : إنّ أوس بن حجر قال فيه :^(٢)

يلعب أطراف الأسنة عامرُ فراح له حظّ الكتائب أجمعُ

وهو الذي استعانه ابن أخيه عامر بن الطفيل على مناصرة علقمة
بن علاثة ابن عوف بن الأحوص ، لما تفاخرا على أن يسوق كلّ منهما
مائة ناقة تكون لمن يحكم له ، ووضع كلّ منهما رهناً لمن أبنائهم
على يد رجل من بني الوحيد ، فسَمّي الضمين إلى اليوم ، وهو
الكفيل ، ولما استعانه عامر دفع إليه نعليه وقال له : استعن بهما في
منافرتك ، فلمّا قد ربت بهما أربعين مرابعا^(٣) .

والمربع : ما يأخذه الرئيس من ربع الغنيمة دون أصحابه ،

(١) الكافي ٥ : ٣٣٢ ، ح ٢ والحديث : «اختاروا لنطفكم فإنّ الخال أحد
الضجيعين» .

(٢) تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر ٢٦ : ١٠١ .

(٣) الأعلام للزركلي ٣ : ٣٥٥ ، الإصابة ٣ : ٤٨٥ .

خالصاً لنفسه ، وذلك عندما كانوا يغزون في الجاهلية^(١) ، وهذان النعلان من مختصات الرئيس التي يخرج بها في الأيام الخاصة ، وإلا فلا مزية لهما حتى يستعين بهما على المنافرة .

ومنهم عامر بن الطفيل بن مالك بن جعفر بن كلاب وهو أخو عمرة ، الجدّة الأولى لأُمّ البنين ، كان عامر أسود أهل زمانه ، وأشهر فرسان العرب بأساً ونجدة ، وأبعدها اسماً ، حتى بلغ أن قيصر إذا قدم عليه قادم من العرب قال : ما بينك وبين عامر بن الطفيل ؟ فإنّ ذكر نسباً عظم عنده وأرفده ، وإلاّ أعرض عنه .

وفد عليه علقمة بن علاثة فانتسب له ، قال له قيصر : أنت ابن عمّ عامر بن الطفيل ؟ فغضب علقمة ، ثمّ إنّه دخل على ملك الروم فقال له : انتسب ؟ فانتسب له ، قال الملك : أنت ابن عمّ عامر بن الطفيل ؟ فغضب وخرج عنه^(٢) .

ومنهم عروة الرّحال بن عتبة بن جعفر بن كلاب ، والد كبشة ، الجدّة الثانية لأُمّ البنين ، كان وفّاداً على الملوك ، وله قدر عندهم ، ومن هنا سُمّي الرّحال ، وهو الذي أجاز لطيمة النعمان التي كان يبعث بها كلّ عام إلى سوق عكاظ ، فقتله البراض بن قيس الكناني واستاق العير ، وبسببه هاجت حرب الفجار بين حي خندف وقيس^(٣) .

ومنهم الطفيل ، فارس قرزل ، وهو والد عمرة ، الجدّة الأولى

(١) لسان العرب ٧ : ٤١٥ ، تاج العروس ١١ : ١١٢ .

(٢) قسم من الكلام موجود في الإصابة ٤ : ٤٥٨ ، وخزانة الأدب ٣ : ٨٠ .

(٣) الطبقات الكبرى ١ : ١٢٧ ، الأعلام للزركلي ٢ : ٤٧ .

لأمّ البنين، كان معروفاً بالشجاعة والفروسية، وهو أخو ملاعب
الأسنة، وربيعه وعبيدة ومعاوية بنو جعفر بن كلاب يقال لأُمهم: أمّ
البنين، وإياها عني لبید بن ربیعة بن مالك بن جعفر بن كلاب لما وفد
بنو جعفر على النعمان بن المنذر، وكان سميره الربيع بن زياد
العبسي، فاتهموه بالسعي عليهم، فلما غدوا على النعمان كان معهم
لبید وهو أصغرهم، فرأوا النعمان يأكل مع الربيع فقال لبید:

يا واهب الخير الجزيل من سعة نحنُ بنو أم البنين الأربعة

ونحنُ خير عامر بن صعصعة المطعمون الجفنة المدعدة

الضاربون الهام وسط الخيضة إليك جاوزنا بلاداً مُسبعة

تخبر عن هذا خبيراً فاسمعه مهلاً أبيت اللعن لا تأكل معه

إنَّ أَسْتَه من برص ملقعة وإنَّه يُولج فيها إصبعه

يُولجها حتَّى يوارى اشجعه كأنَّما يطلب شيئاً ضيِّعه

فلم ينكر عليه النعمان ولا أحد من العرب؛ لأنَّ لهم شرفاً لا
يدافع، ولذلك طرد النعمان الربيع عن مسامرته وقال له:

شَرِدَ برحلك عني حيث شئت ولا

تكثر عليّ ودع عنك الأباطيلا

قد قيل ذلك إنَّ حقاً وإن كذباً

فما اعتذارك في شيء إذا قيلاً^(١)

الزواج

تزوَّج أمير المؤمنين عليه السلام من فاطمة ابنة حزام العامرية ، إمّا بعد وفاة الصديقة سيّدة النساء كما يراه بعض المؤرّخين^(١) ، أو بعد أن تزوّج بأمامة بنت زينب بنت رسول الله كما يراه البعض الآخر^(٢) . وهذا بعد وفاة الزهراء عليها السلام ؛ لأنّ الله قد حرّم النساء على علي ما دامت فاطمة موجودة^(٣) .

فولدت أربعة بنين وأنجبت بهم : العبّاس ، وعبد الله ، وجعفر ، وعثمان ، وعاشت بعده مدّة طويلة ولم تتزوَّج من غيره ، كما أنّ أُمّامة وأسماء بنت عميس وليلى النهشلية لم يخرجن إلى أحد بعده . وهذه الحرائر الأربع توفى عنهنّ سيد الوصيين^(٤) .

وقد خطب المغيرة بن نوفل أُمّامة ، ثمّ خطبها أبو الهياج بن أبي سفيان بن الحارث ، فامتنعت ، وروت حديثاً عن علي عليه السلام : إنّ

(١) جواهر المطالب في مناقب الإمام علي : ١٢١ ، الدر النظيم للعالملي : ٤١١ .

(٢) السيرة النبوية لابن كثير ٤ : ٥٨١ ، السيرة الحلبية ٢ : ٤٥٢ ، الكنى والألقاب للقمي ١ : ١١٥ .

(٣) مناقب آل أبي طالب لابن شهر آشوب ٣ : ١١٠ ، الأُمالي للشيخ الطوسي : ٤٣ ، بشارة المصطفى للطبري : ٣٨١ .

(٤) عمدة القارئ ٨ : ٤١ ، تنقيح التحقيق في أحاديث التعليق : ٣٠٥ .

أزواج النبي والوصي لا يتزوجن بعده ، فلم يتزوجن الحرائر
وأُمّهات الأولاد عملاً بالرواية^(١).

وكانت أُمّ البنين من النساء الفاضلات العارفات بحق أهل
البيت عليه السلام ، مخلصه في ولائهم ، ممحّضة في مودّتهم ، ولها عندهم
الجاء الوجيه والمحلّ الرفيع ، وقد زارتها زينب الكبرى بعد وصولها
المدينة تعزيها بأولادها الأربعة ، كما كانت تزورها أيام العيد .

وبلغ من عظمها ومعرفتها وتبصّرها بمقام أهل البيت عليه السلام ، أنّها
لَمَّا أُدخلت على أمير المؤمنين - وكان الحسنان مريضين - أخذت
تُلاطف القول معهما ، وتُلقي إليهما من طيب الكلام ما يأخذ بمجامع
القلوب ، وما برحت على ذلك تُحسن السيرة معهما وتخضع لهما
كالأُمّ الحنون .

ولا بدع في ذلك فإنّها ضجيعة شخص الإيمان ، قد استضاءت
بأنواره ، وربّت في روضة أزهاره ، واستفادت من معارفه ، وتأدّبت
بآدابه ، وتخلّقت بأخلاقه .

الولادة

لقد أشرق الكون بمولد قمر بني هاشم يوم بزوغ نوره من أفق
المجد العلوي ، مرتضعاً ثدي البسالة ، متريئاً في حجر الخلافة ،
وقد ضربت فيه الإمامة بعرق نابض ، فترعرع ومزيج روحه الشهامة
والإباء والنزوع عن الدنيا ، وما شوهده مستدأً بشيئته الغضة إلا
وملء اهابه إيمان ثابت ، وحشو ردائه حلم راجح ، ولبّ ناضج ،
وعلم ناجع .

فلم يزل يقتصّ أثر السبط الشهيد ﷺ الذي خلق لأجله ، وكوّن
لأن يكون رداءً له ، في صفات الفضل ، ومخائل الرفعة ، وملامح
الشجاعة ، والسؤدد والخطر . فإن خطى سلام الله عليه فإلى الشرف ،
وإن قال فعن الهدى والرشاد ، وإن رمق فإلى الحق ، وإن مال فعن
الباطل ، وإن ترفع فعن الضيم ، وإن تهالك فدون الدين .

فكان أبو الفضل جامع الفضل والمثل الأعلى للعبقريّة ؛ لأنّه
كان يستفيد بلج هاتيك المآثر من شمس فلك الإمامة (حسين العلم
والبأس والصلاح) ، فكان هو وأخوه الشهيد ﷺ من مصاديق قوله
تعالى في التأويل : ﴿ وَالشَّمْسُ وَضُحَاهَا * وَالْقَمَرُ إِذَا تَلَاهَا ﴾ ^(١) ، فلم
يسبقه بقول استفاده منه ، ولا بعمل أتبعه فيه ، ولا بنفسية هي ظلّ

نفسيته ، ولا بمنقبة هي شعاع نوره الأقدس ، المنطبع في مرآة غرائزه الصقيلة .

وقد تابع إمامه في كُلِّ أطواره حتّى في بروز هيكله القدسي إلى عالم الوجود ، فكان مولد الإمام السبط في ثالث شعبان ، وظهور أبي الفضل العباس إلى عالم الشهود في الرابع منه ^(١) سنة ست وعشرين من الهجرة ^(٢) .

وممّا لا شكّ فيه أنّ أمير المؤمنين عليه السلام لمّا أحضر أمامه ولده المحبوب ليقم عليه مراسيم السنّة النبويّة التي تقام عند الولادة ، ونظر إلى هذا الولد الجديد ، الذي كان يتحرّى البناء على أمه أن تكون من أشجع بيوتات العرب ؛ ليكون ولدها رداءً لأخيه السبط الشهيد يوم تحيط به عصب الضلال ، شاهد بوسع علم الإمامة ما يجري عليه من الفادح الجلل ، فكان بطبع الحال يطبق على كُلِّ عضو

(١) أنيس الشيعة للعلامة السيّد محمّد عبد الحسين بن السيّد محمّد عبد الهادي المدارسي الهندي قال شيخنا الحجّة في الذريعة إلى مصنفات الشيعة ٢ : ٤٥ : رأيت الكتاب في النجف عند العالم السيّد اقا التستري من أحفاد السيّد نعمة الله الجزائري ، والكتاب في وقائع الأيام ، من موجبات السرور والأحزان ، من مواليد الأئمة ووفياتهم ومعاجزهم . . . ، رتبه على الأشهر ، بدأ بربيع الأول وختم في شهر صفر ، وله مقدّمه في نسب النّبي ﷺ وسنة جلوس الوصي عليه السلام وخاتمة في أحوال الحجّة المنتظر عليه السلام .

وذكر العلامة ميرزا محمّد علي الأوردبادي أنّه قرأ بخطّ المؤلّف على ظهر الكتاب أنّه أهداه إلى السلطان فتح علي شاه يوم الجمعة أول شعبان سنة ١٢٤٤ هـ ، وللمؤلّف كتب منها : زاد المؤمنين ، وتذكرة الطريق ، وعناية الرضا .

(٢) المجدي والأنوار النعمانية : ١٢٤ ، وحكاة في كتاب قمر بني هاشم : ٢٢ عن وقائع الأيام لشيخ محمّد باقر البيرجندي .

يشاهده مصيبة سوف تجري عليه ، يقلّب كفيه اللذين سيقطعان في
نصرة حجة وقته ، فتهمل عيونه .

ويبصر صدره عيبة العلم واليقين فيشاهده منبتاً لسهام الأعداء ،
فتتصاعد زفرته ، وينظر إلى رأسه المطهر فلا يعزب عنه أنّه سوف
يقرع بعمد الحديد ، فتثور عاطفته ، وترتفع عقيرته ، كما لا يبارح
فاكرته حينما يراه يسقي أخاه الماء ما يكون غداً من تفانيه في سقاية
كريمات النبوة ، ويحمل إليهنّ الماء على عطشه المرمض ، وينفض
الماء حيث يذكر عطش أخيه ، تهالكاً في المواساة ، ومبالغة في
المفادات ، وإخلاصاً في الأخوة ، فيتنفس الصعداء ، ويكثر من قول :
« مالي وليزيد »^(١) ، وعلى هذا فقس كلّ كارثة يقدر سوف تلمّ به
وتجري عليه .

فكان هذا الولد العزيز على أبويه وحامته كلّما سرّ أبوه اعتدال
خلقته ، أو ملامح الخير فيه ، أو سمة البسالة عليه ، أو شارة السعادة
منه ؛ ساءه ما يشاهده هنالك من مصائب يتحمّلها ، أو فادح ينوء
به ، من جرح دام ، وعطش مجهد ، وبلاء مكرب .

وهذه قضايا طبيعية تشتدّ عليها الحالة في مثل هاتيك
الموارد ، ممّن يحمل أقلّ شيء من الرقة على أقلّ إنسان ، فكيف
بأمير المؤمنين عليه السلام الذي هو أعطف الناس على البشر عامّة من الأب
الرؤوف ، وأرقّ عليهم من الأمّ الحنون .

إذن فكيف به في مثل هذا الإنسان الكامل (أبي الفضل) الذي

(١) مثير الأحزان لابن نما الحلّي : ١٢ .

لا يقف أحد على مدى فضله ، كما ينحسر البيان عن تحديد مظلوميته واضطهاده .

وذكر صاحب كتاب «قمر بني هاشم» ص ٢١ أنّ أمّ البنين رأت أمير المؤمنين عليه السلام في بعض الأيام أجلس أبا الفضل عليه السلام على فخذه ، وشمر عن ساعديه ، وقبلهما وبكى ، فأدهشها الحال ؛ لأنها لم تكن تعهد صبيّاً بتلك الشمائل العلوية ينظر إليه أبوه ويبكي ، من دون سبب ظاهر ، ولمّا أوقفها أمير المؤمنين عليه السلام على غامض القضاء ، وما يجري على يديه من القطع في نصرة الحسين عليه السلام ؛ بكت وأعولت وشاركها من في الدار في الزفرة والحسرة ، غير أنّ سيّد الأوصياء بشرها بمكانة ولدها العزيز عند الله جلّ شأنه ، وما حباه عن يديه بجناحين يطير بهما مع الملائكة في الجنّة ، كما جعل ذلك لجعفر بن أبي طالب ، فقامت تحمل بشرى الأبد ، والسعادة الخالدة .

صفاته

لقد كان من عطف المولى سبحانه وتعالى على وليه المقدّس ،
سلالة الخلافة الكبرى ، سيّد الأوصياء ، أن جمع فيه صفات الجلالة
من بأس وشجاعة وإباء ونجدة ، وخلال الجمال من سؤدد وكرم
ودمائه في الخلق ، وعطف على الضعيف ، كلّ ذلك من البهجة في
المنظر ووضاءة في المحيا من ثغر باسم ووجه طلق تتموّج عليه
أمواه الحسن ، ويطفح عليه رواء الجمال ، وعلى أسرة جبهته أنوار
الإيمان ، كما كانت تعبق من أعراقه فوائح المجد ، متأرجة من طيب
العنصر .

ولمّا تطابق فيه الجمالان الصوري والمعنوي قيل له : « قمر
بني هاشم »^(١) ، حيث كان يشوئ بجماله كلّ جميل ، ويند بطلاوة
منظره كلّ أحد ، حتّى كأنّه الفدّ في عالم البهاء ، والوحيد في دنياه ،
كالقمر الفائق بنوره أشعة النجوم ، وهذا هو حديث الرواة :
« كان العباس رجلاً وسيماً جميلاً ، يركب الفرس المطهّم

(١) كان يقال لعبد مناف : (قمر البطحاء) ، ولعبد الله والد النبي ﷺ : (قمر
الحرم) .

ورجله تخطان في الأرض ، وكان يقال له : قمر بني هاشم»^(١) .
وقد وصفته الرواية المحكية في مقاتل الطالبين بان « بين عينيه
أثر السجود » ، ونصّها :

« قال المدائني : حدّثني أبو غسان هارون بن سعد ، عن القاسم
بن الأصبع ابن نباتة ، قال : رأيت رجلاً من بني أبان بن دارم أسود
الوجه ، وكنت أعرفه جميلاً شديد البياض ، فقلت له : ما كدت
أعرفك؟ قال : إنني قتلت شاباً أمرد مع الحسين ، بين عينيه أثر
السجود ، فما نمت ليلة منذ قتلته إلّا أتاني ، فيأخذ بتلابيبي حتّى
يأتي جهنم ، فيدفعني فيها ، فأصبح فما يبقى في الحي إلّا سمع
صياحي . قال : والمقتول هو العباس بن علي عليه السلام »^(٢) .

وروى سبط ابن الجوزي عن هشام بن محمّد ، عن القاسم بن
الأصبع المجاشعي قال : « لما أتني بالرؤوس إلى الكوفة ، وإذا بفارس
أحسن الناس وجهاً قد علق في لب فرسه رأس غلام أمرد ، كأنّه
القمر ليلة تمّه ، والفارس يمرح ، فإذا طأطأ رأسه لحق الرأس
بالأرض ، فقلت : رأس من هذا؟ قال : رأس العباس بن علي ، قلت :
ومن أنت؟ قال : حرمة بن الكاهل الأسدي »^(٣) .

قال : فلبثت أياماً وإذا بحرمة وجهه أشدّ سواداً من القار ،
فقلت : رأيتك يوم حملت الرأس وما في العرب أنظر وجهاً منك ،

(١) مقاتل الطالبين : ٥٥ .

(٢) مقاتل الطالبين : ٧٩ . الأصبع هنا ابن نباتة ؛ لأنّ بني مجاشع بطن من
حنظلة من تميم كما في نهاية الإرب للقلقشندي : ٣٣٤ ، والأصبع ابن نباتة
حنظلي تميمي كما نصّ عليه ابن حجر في تهذيب التهذيب ١ : ٣٦٢ .

(٣) في تاريخ الطبري ٤ : ٣٥٩ : حرمة بن الكاهن ، وفي الفصول المهمة لابن
الصباغ : ٨٤٥ : حرمة بن الكاهل . والأمر سهل .

وما أرى اليوم أقبح ولا أسود وجهاً منك؟ فبكى وقال : والله منذ حملت الرأس وإلى اليوم ما تمرّ عليّ ليلة إلّا واثنان يأخذان بضبعي ، ثمّ ينتهيان بي إلى نار تؤجّج ، فيدفعاني فيها وأنا أنكص ، فتسفعني كما ترى ، ثمّ مات على أقبح حال»^(١).

ويمنع الإذعان بما في الروایتين من تعريف المقتول بأنّه العباس بن علي عليه السلام ، عدم الالتئام مع كونه شاباً أمرد ، فإنّ للعباس يوم قتله أربعاً وثلاثين سنة ، والعادة قاضية بعدم كون مثله أمرد ، ولم ينصّ التاريخ على كونه كقيس بن سعد ابن عباد لا طاقة شعر في وجهه . وفي دار السلام للعلامة النوري ج ١ ص ١١٤ والكبرى الأحمري ج ٣ ص ٥٢ ما يشهد للاستبعاد ، واصلاحه كما في كتاب «قمر بني هاشم» ص ١٢٦ بأنّه رأس العباس الأصغر بلا قرينة ، مع الشكّ في حضوره الطّف وشهادته ، وهذا كاصلاحه بتقدير المقتول : «أخ العباس» المنطبق على عثمان الذي له يوم قتله إحدى وعشرين سنة ، أو محمّد بن العباس المستشهد على رواية ابن شهر آشوب ، فإنّ كلّ ذلك من الاجتهاد البحث .

ولعلّ النظرة الصادقة فيما رواه الصدوق منضمّاً إلى رواية ابن جرير الطبري تساعد على كون المقتول حبيب بن مظاهر .

قال الصدوق : «وبهذا الاسناد عن عمرو بن سعيد ، عن القاسم بن الأصبغ ابن نباتة ، قال : قدم علينا رجل من بني أبان بن دارم ممّن شهد قتل الحسين ، وكان رجلاً جميلاً شديد البياض ، فقلت له : ما كدت أعرفك لتغير لونك؟ قال : قتلت رجلاً من أصحاب الحسين ،

يبصر بين عينيه أثر السجود وجئت برأسه .

فقال القاسم : لقد رأيته على فرس له مرحاً ، وقد علّق الرأس بلبانها ، وهو يصيبه بركبتيه ، قال : فقلت لأبي : لو أنّه رفع الرأس قليلاً ، أما ترى ما تصنع به الفرس بيديها؟ فقال : يا بني ما يصنع به أشد ، لقد حدّثني قال : ما نمت ليلة منذ قتلته إلا أتاني في منامي حتّى يأخذ بكتفي فيقودني ويقول : انطلق ، فينطلق بي إلى جهنم ، فيقذف بي ، فأصيح ، قال : فسمعت جارة له قالت : ما يدعنا ننام شيئاً من الليل من صياحه ، قال : فقمّت في شباب من الحي فأتينا امرأته فسألناها فقالت : قد أبدى على نفسه قد صدقكم^(١) .

وقد اتفقت هذه الروايات الثلاث في الحكاية عن القاسم بن الأصبغ بن نباتة بما فعل بالرأس الطاهر .

وتفيدنا رواية الصدوق أنّ المقتول رجل لا شاب ، وأنّه من أصحاب الحسين عليه السلام ، ولا إشكال فيها ، وإذا وافقنا ابن جرير على أنّ الرأس المعلق هو رأس حبيب بن مظاهر - في حين أنّ المؤرّخين لم يذكروا هذه الفعلة بغيره من الرؤوس الطاهرة - أمكننا أن ننسب الاشتباه إلى الروایتين السابقتين ، خصوصاً بعد ملاحظة ذلك الاستبعاد بالنسبة إلى العباس ، وتوقّف التصحيح فيهما على الاجتهاد بلا قرينة واضحة .

قال ابن جرير في ج ٦ ص ٢٥٢ من التاريخ : «وقاتل قتالاً شديداً ، فحمل عليه رجل من بني تميم فضربه بالسيف على رأسه فقتله ، وكان يقال له : بديل بن صريم من بني عقفان ، وحمل عليه

(١) ثواب الأعمال للشيخ الصدوق : ٢١٩ .

آخر من بني تميم قطعنه ، فوقع ، فذهب ليقوم ، فضربه الحصين بن تميم على رأسه بالسيف ، فوقع ، ونزل إليه التميمي فاحتز رأسه ، فقال له الحصين : إني لشريكك في قتله ! فقال الآخر : والله ما قتله غيري ! فقال الحصين : أعطنيه أعقله في عنق فرسي كيما يرى الناس ويعلموا أنني شركت في قتله ، ثمّ خذه أنت بعد فامض به إلى عبيد الله بن زياد ، فلا حاجة لي فيما تعطاه على قتلك إياه ، فأبى عليه ، فأصلح قومه فيما بينهما على هذا ، فرفع إليه رأس حبيب بن مظاهر ، فجال به في العسكر ، قد علّقه في عنق فرسه ، ثمّ دفعه بعد ذلك إليه ، فلمّا رجعوا إلى الكوفة أخذ الآخر رأس حبيباً فعلقه في لبان فرسه ، ثمّ أقبل به إلى ابن زياد في القصر ، فبصر به ابنه القاسم بن حبيب ، وهو يومئذٍ قد راهق ، فأقبل مع الفارس ، لا يفارقه كُلمّا دخل القصر دخل معه ، وإذا خرج خرج معه ، فارتاب به ، فقال : ما لك يا بني تتبعني ؟ قال : لا شيء ! قال : بلى يا بني أخبرني ؟ قال له : إنّ هذا الرأس الذي معك رأس أبي أفتعطينيه حتّى أدفنه ؟

قال : يا بني لا يرضى الأمير أن يدفن ، وأنا أريد أن يثبني الأمير على قتله ثواباً حسناً !

قال له الغلام : لكن الله لا يثيبك على ذلك إلاّ أسوأ الثواب ، أما والله لقد قتلت خيراً منك وبكى .

فمكث الغلام حتّى إذا أدرك لم يكن له همة إلاّ اتباع أثر قاتل أبيه ليجد منه غرة فيقتله بأبيه ، فلمّا كان زمان مصعب بن الزبير ، وغزا مصعب باجمير ادخل عسكر مصعب فإذا قاتل أبيه في فسطاطه ، فأقبل يختلف في طلبه والتماس غرته ، فدخل عليه وهو

قائل نصف النهار فضربه بسيفه حتّى برد...»^(١).

نعم ، في رواية الصدوق أنّ القاسم يسأل أباه عمّا يفعله الفرس بالرأس فيقول : «قلت لأبي : لو أنّه رفع الرأس .. إلى آخره» .

وهو يدلّ على حياة الأصبغ ذلك اليوم ، وعليه فلم يعرف الوجه في تأخّره عن حضور المشهد الكريم ، مع مقامه العالي في التشييع ، وإخلاصه في الموالاتة لأمير المؤمنين وولده المعصومين عليه السلام ، ومشاهدته هذا الفعل من الطاغي يدلّ على عدم حبسه عند ابن زياد كباقي الشيعة الخلّص ، ولا مخرج عنه إلّا بالوفاة قبل تلك الفاجعة العظمى كما هو الظاهر ممّا ذكره أصحابنا عند ترجمته ، من الثناء عليه ، والمبالغة في مدحه ، وعدم الغمز فيه .

فتلك الجملة : «قلت لأبي» ، لا يعرف من أين جاءت . ولا غرابة في زيادتها بعد طعن أهل السنّة فيه كما في اللأئي المصنوعة ج ١ ص ٢١٣ ، فإنّه بعد أن ذكر حديث الأصبغ بن نباتة عن أبي أيوب الأنصاري «أنّهم أمروا بقتال الناكثين والقاسطين والمارقين مع علي» ، قال : «لا يصحّ الحديث ، لأنّ الأصبغ متروك ، لا يساوي فلساً»^(٢).

وفيه ص ١٩٥ ذكر عن ابن عباس حديث الركبان يوم القيامة رسول الله وصالح وحمزة وعلي قال : «رجال الحديث بين مجهول

(١) تاريخ الطبري ٤ : ٣٣٥ .

(٢) اللأئي المصنوعة في الأحاديث الموضوعة للسيوطي ١ : ٣٧٤ ، ونصّ العبارة : «لا يصحّ ، وأصبغ متروك لا يساوي فلساً» .

وبين معروف بعدم الثقة»^(١).

ولقد طعنوا في أمثاله من خواص الشيعة بكُلِّ ما يتسنى لهم ، وما ذكر في تراجمهم يشهد لهذه الدعوى ، ولا يتحمل هذا المختصر التبسط في ذكرها ، ومراجعة ما كتبه السيّد العلامة محمّد بن أبي عقيل في «العتب الجميل على أهل الجرح والتعديل» ص ٤٠ في الباب الثاني فيه كفاية ، فإنّه ذكر جملة من أتباع أهل البيت طعنوا فيهم بلا سبب إلّا لموالاة أمير المؤمنين وولده عليه السلام .

(١) اللأئي المصنوعة في الأحاديث الموضوعة للسيوطي ٤ : ٣٤٤ ، ونصّ العبارة : «رجاله فيهم غير واحد مجهول وآخرون معروفون بغير الثقة» .

كنيته

اشتهر أبو الفضل العباس عليه السلام بكنى وألقاب ، وُصف ببعضها في يوم الطفّ ، والبعض الآخر كان ثابتاً له من قبل ، فمن كناه : أبو قربة^(١) ؛ لحمله الماء في مشهد الطفّ غير مرّة ، وقد سدّت الشرائع ، ومنع الورود على ابن المصطفى وعياله ، وتناصرت على ذلك أجلاف الكوفة ، وأخذوا الاحتياط اللازم ، ولكن أبا الفضل لم يرعه جمعهم المتكاثف ، ولا أوقفه عن الإقدام تلك الرماح المشرعة ، ولا السيوف المجرّدة ، فجاء بالماء وسقى عيال أخيه وصحبه .

ولم ينصّ المؤرّخون وأهل النسب على كنيته بأبي القاسم ؛ إذ لم يذكر أحد أنّ له ولداً اسمه القاسم .

نعم ، خاطبه جابر الأنصاري في زيارة الأربعين بها قال :
«السلام عليك يا أبا القاسم ، السلام عليك يا عباس بن علي»^(٢) ،

(١) تهذيب الكمال للمزي ٢٠ : ٤٧٩ ، شرح إحقاق الحق ٣٢ : ٦٧٩ .

(٢) بحار الأنوار ٩٨ : ٣٣٠ .

وبما أنّ هذا الصحابي الكبير المتربّي في بيت النبوة والإمامة خير بالسبب الموجب لهذا الخطاب ، فهو أدري بما يقول .

وقد اشتهر بكنيته الثالثة «أبي الفضل» من جهة أنّ له ولداً اسمه الفضل^(١) ، وكان حرياً بها فإنّ فضله لا يخفى ، ونوره لا يطفى . ومن فضائله الجسام نعرف أنّه ممّن حبس الفضل عليه ، ووقف لديه ، فهو رضيع لبانه ، وركن من أركانه ، وإليه يشير شارح ميمية أبي فراس :

بذلت أيا عباس نفساً نفيسة

لنصر حسين عزّ بالنصر من مثل

أبيت التذاذ الماء قبل التذاذه

فحسن فعال المرء فرع عن الأصل

فأنت أخو السبطين في يوم مفخر

وفي يوم بذل الماء أنت أبو الفضل^(٢)

(١) الجريدة في أصول أنساب العلويين : ٣١٨ .

(٢) أعيان الشيعة ٩ : ٢٥٩ .

اللقب

اشتهر بين العامة والخاصة بأنه سلام الله عليه باب الحوائج ؛
لكثرة ما صدر منه من الكرامات وقضاء الحاجات ومن هنا قيل
فيه ^(١) :

لشوس عباس يريهم وجهه والوفد ينظرُ باسمًا محتاجها
باب الحوائج ما دَعته مروعة في حاجةٍ إلا ويُقضي حاجها
بأبي أبي الفضل الذي مِنْ فضله السامي تعلّم الورى منهاجها

وقيل له : « قمر بني هاشم » ^(٢) ؛ لوضاءته وجمال هيئته وإنَّ
اسرة وجهه تشرق كالبدور المنير ، فكان لا يحتاج في الليلة الظلماء إلى
ضياء .

وأما « الشهيد » فلم ينص عليه أحد إلا أنه الظاهر من عبارات
أهل النسب ، ففي المجدي لأبي الحسن العمري قال - بعد ذكر

(١) من قصيدة لسيد الذاكرين السيّد صالح الحلّي رحمه الله .

(٢) مقاتل الطالبين : ٥٦ ، مناقب آل أبي طالب ٣ : ٢٥٦ ، بحار الأنوار ٤٥ :

أولاده - : « هذا آخر نسب بني العباس الشهيد السقا ابن علي بن أبي طالب عليه السلام » ^(١) .

وفي سرّ السلسلة لأبي نصر البخاري : « والشهيد أبو الفضل العباس بن علي أمه أمّ البنين » ^(٢) .

ثمّ روى عن معاوية بن عمّار الزيدي قال : « قلت للصادق عليه السلام : كيف قسمتم نحلة فذك بعد ما رجعت عليكم؟ قال : « أعطينا ولد عبيد الله بن العباس الشهيد الربع والباقي لولد فاطمة ، فأصاب بني العباس بن علي أربعة أسهم ، الحصة أربعة نفر ، ورثوا علياً عليه السلام » ^(٣) .

وكان الحرّيّ بأرباب المقاتل والنسب أن يدوّنوا له هذا اللقب المعرب عن أسمى منزلة له ، وهو « العبد الصالح » كما خاطبه الإمام الصادق في الزيارة المخصوصة به التي رواها أبو حمزة الثمالي حيث يقول : « السلام عليك أيّها العبد الصالح » ^(٤) .

فلأنك جدّ عليم بأنّ هذه الصفة أرقى مراتب الإنسان الكامل ؛ لأنها حلقة الوصل بين المولّى والعبد ، وأفضل حالات أيّ فاضل ، حيث يجد نفسه الطرف الرابط لموجد كيانه جلّ وعلا ، وإن من أكمل مراتب الوجود فيما إذا التأم المنتهى مع المبدأ بنحو الصلة ،

(١) المجدي في أنساب الطالبيين : ٢٤٣ .

(٢) سرّ السلسلة العلوية : ٨٨ .

(٣) سرّ السلسلة العلوية : ٨٩ .

(٤) كامل الزيارات : ٤٤٠ .

ولم يلقبوه بذلك ؛ لأنّ هذا المعنى صفة وليست اسماً ليُجعل لقباً لشخص ، وأهل السير غرضهم من ذكر الألقاب التمييز لا إطلاق الأوصاف ، فتدبر .

وهذا لا يكون إلا إذا بلغ العبد أرقى مراتب الإنسانية التي تلحقه بعالم البساطة ، وتنتهي به إلى صقع التجرد ، فتؤهله لأن يتصل بالمبدأ الأعلى ، فلو فقد الإنسان تلك الملاءمة دحره عن حضيرة القداسة انقطاع النسبة ، وبعد المرمى ، وشسوع المسافة .

ولا نعني بهذه المرتبة أن يكون العبد مواظباً على العبادات البسيطة المسقطة للخطاب والرافعة للتعزير فحسب ، وإنما نقصد منه ما إذا عبد الله سبحانه حقّ عبادته ، الناشئة عن فقه وبصيرة ومعرفة بالمعبود الذي يجب أن يعبد ، من دون لحاظ مثوبة أو عقوبة ، حتّى يكون المولى هو الذي يسمّيه عبداً له ، ويصافقه على تصديق دعواه بالعبودية له .

وما أسعد العبد حيث يبصر ما بيده من سلك الطاعة ، ويعرف أنّ مولاه قابض على طرفه الآخر ، تزلفه إليه جاذبة الصلة ، وأشعة القرب .

وعلى ما قلناه كانت هذه المرتبة عند الأنبياء ﷺ أرقى مراتبهم ، وأرفع منصاتهم ؛ لأنّ طرف عبوديتهم أُمِنَ وأشرف من طرف رسالتهم ، فالطرف الأعلى في العبودية «مبدأ الحقّ سبحانه وتعالى» ، والطرف الأسفل منتهى إلى شخص النبي ﷺ ، وأمّا النبوة فمبدؤها الرسول ومنتهاها الأمة^(١) .

ولولا أنّ هذه الصفة أسمى الصفات التي يتصف بها العبد لما

(١) لكن حقيقة الرسالة راجعة إلى العبودية وداخله في ضمنها ، فهي منه وبه وإليه .

نعم ، مانعية الرسالة من جهة اشتغال الرسول بتبليغ الرسالة والدخول في عالم الكثرة ، وهذا فيه نوع حجب على النور الصافي فيما لو انقطع مع الله ، ولكنه بالتالي عبادة أقلّ من غيرها ، فتدبّر .

خَصَّ اللَّهُ تَعَالَى أَنْبِيَاءَهُ ، بِهَا فَقَالَ سُبْحَانَهُ : ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ﴾ ^(١) .

وقال تعالى : ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى﴾ ^(٢) .

وقال عزّ شأنه : ﴿وَمَا أَنزَلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ التَّقَىٰ الْجَمْعَانِ﴾ ^(٣) .

وقال جلّ وعلا : ﴿وَإِذْ نُنَزِّلُ الْإِنشَادَ دَاوُدَ ذَا الْأَيْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾ ^(٤) .

وقال تعالت أسماؤه : ﴿وَوَهَبْنَا لِذَاوُودَ سُلَيْمَانَ نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾ ^(٥) .

وقال عزّ سبحانه : ﴿وَإِذْ نُنَزِّلُ الْإِنشَادَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ أُولِي الْأَيْدِي وَالْأَبْصَارِ﴾ ^(٦) .

وقال عظم ذكره : ﴿وَإِذْ نُنَزِّلُ الْإِنشَادَ أَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ﴾ ^(٧) .

وقد كان في وسع المولى تعالت أسماؤه أن يقول في خطاب نبيه الكريم : «وإن كنتم في ريب مما نزلنا على رسولنا . . .» ونحوه مما يدل على النبوة والرسالة ، ولكن حيث كان حبيب الله وصفيه

(١) البقرة : ٢٣ .

(٢) الإسراء : ١

(٣) الأنفال : ٤١ .

(٤) ص : ١٧ .

(٥) ص : ٣٠ .

(٦) ص : ٤٥ .

(٧) ص : ٤١ .

متجرّداً عمّا يحجبه عن مشاهدة المهيمن سبحانه ، فانياً في سبيل خدمة المولى ، لا يرى في الوجود غير منشئ الأكوان ؛ استحق أن يهبه البارئ تعالى أرقى صفة تليق بهذا المقام .

ومن هنا نرى الرسول المسيح قدّم عبوديته على رسالته فقال :
«إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا» ^(١) .

وأنت لا تفتأ في جميع الفرائض والنوافل في اليوم والليل تشهد بأنّ محمّداً عبده ورسوله ، ولم تقل : خاتم الأنبياء ، أو علّة الكائنات ، أو سرّ الموجدات ، أو حبيب الله وصفيه ، مع أنّها صفات لا تليق إلّا بذات اشتقت من نور القدس ، ولكنك عرفت أن أسمى هذه الصفات وأجلّ ما يليق بالعبد حال اتصاله بالمبدأ الأعلى هو وصفه بالعبودية لمولاه .

ومن هنا ظهر لنا أنّ من أجلى الحقائق وأرقى مراتب الفضل الذي لا يُخلّق إليه طائر الفكر ، ولا يدرك مداه أي تصوّر ، غير أنّ من الواجب التصديق به على الجملة ، هو وصف سيّدنا العباس عليه السلام بهذه الصفة الكاملة «العبد الصالح» التي أضافها الله تعالى إلى أنبيائه ، ومبلّغي شريعته ، وأمنائه على وحيه ، ومنحه بها الإمام الصادق عليه السلام .

السقا

الماء حياة العالم ، وليست حاجة أي جزء من أجزائه أمس من الآخر ، فلا جزء ولا جزيء في الكون إلا وهو خاضع له ، في وجوده ، وفي نشوئه وبقائه ، وقد أعرب عنه سبحانه بقوله : **﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ﴾** ^(١) .

وإليه استند ابن عباس في حلّ لغز ملك الروم ، فإنه وجّه إلى معاوية قارورة يطلب منه أن يضع فيها من كلّ شيء ، فتحير معاوية واستعان بابن عباس في كشف الرمز ، لعلمه بأنه يستقي من بحر أمير المؤمنين عليه السلام المتموّج بالحكم والأسرار ، فقال ابن عباس : « لتملاً له ماء ، فإنّ الله يقول **﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ﴾** ، فأدهش ملك الروم وتعجّب وقال : لله أبوه ما أدهاه » ^(٢) .

فلا يخالج اليقين بأهمّيته الكبرى في دور الحياة أي شك . وإن من يكون معروفه الذي تندى به أنامله ، وتسوقه إليه جبلته ، هذه المادة الحيوية ، لعلّ جانب ممنع من الفضل ، وقد عرقت فيه شائج الرقة ، وتحلّى بغريزة العطف ، ونبض فيه عرق الحنان ، ولا يكون إسداء مثله إلا عن لين ورأفة على الوجود ، وإن

(١) الأنبياء : ٣٠ .

(٢) الكامل للمبرد ١ : ٣٠٨ ، والعبارة فيها تقديم وتأخير .

تفاوتت المراتب بالنسبة إلى الموجودات الشريفة وما دونها ، ولا يعدو الشرف والشهامة هذا المتفضل بسر الحياة ، فهو شريف يحب الإبقاء على مثله ، أو عطوف لا يجد على الإغاثة منه ، ولا على قدرته في الإعانة لسائر الموجودات جهداً ولا عطياً .

وإذا كانت الشريعة المطهرة حثت على السقاية ذلك الحث المتأكد ، فإنما تلت على الناس أسطراً نورية ، مما جبلوا عليه ، وعرفت الأمة بأن الدين يطابق تلك النفسات البشرية والغرائز الطبيعية ، وأرشدتهم إلى ما يكون من الثواب المترتب على سقي الماء في الدار الآخرة ، ليكونوا على يقين من أن عملهم هذا موافق لرضوان الله وزلفى للمولى سبحانه ، يستتبع الأجر الجزيل ، وليس هو طبيعي محض .

وهذا ما جاء عن النبي ﷺ وأهل بيته المعصومين عليه السلام ، من فضل بذل الماء في محل الحاجة إليه وعدمها ، كان المحتاج إليه حيواناً ، أو بشراً ، مؤمناً كان ، أو كافراً .

ففي حديث النبي ﷺ : أفضل الأعمال عند الله أبرد الكبد الحرى من بهيمة وغيرها^(١) ، ولو كان على الماء ، فإنه يوجب تناثر الذنوب كما تنتثر الورق من الشجر^(٢) ، وأعطاه الله بكل قطرة يبذلها قنطاراً في الجنة ، وسقاه من الرحيق المختوم ، وإن كان في فلاة من الأرض ورد حياض القدس مع النبيين^(٣) .

وسأله رجل عن عمل يقربه من الجنة فقال : « اشتر سقاء جديداً

(١) بحار الأنوار ٧١ : ٣٦٩ .

(٢) تذكرة الموضوعات للفتني : ١٤٧ .

(٣) مستدرک الوسائل للنوري ٧ : ٢٥٣ .

ثُمَّ اسْق فِيهِ حَتَّى تَخْرُقَهُ ، فَإِنَّكَ لَا تَخْرُقُهُ حَتَّى تَبْلُغَ بِهِ عَمَلُ
الْجَنَّةِ»^(١) .

وقال الصادق عليه السلام : « من سقى الماء في موضع يوجد فيه الماء
كان كمن أعتق رقبة ، ومن سقى الماء في موضع لا يوجد فيه الماء
كان كمن أحيى نفساً ، ومن أحيى نفساً فكأنما أحيى الناس
أجمعين»^(٢) .

وقد دلت هذه الآثار على فائدة السقي بما هو حياة العالم
ونظام الوجود ، ومن هنا كان الناس فيه شرع سواء كالكلأ والنار ،
فلا يختص اللطف منه جلّ وعلا بطائفة دون طائفة .

وقد كشف الإمام الصادق عليه السلام السرّ في جواب من قال له : ما
طعم الماء؟ فقال عليه السلام : « طعم الحياة»^(٣) .

فالسقاية أشرف شيء في الشريعة المطهرة ، تلك أهميتها عند
الحقيقة ، ومكانتها من النفوس ، ولهذه الأهمية ضرب المثل « بكعب
بن مامة الأيادي»^(٤) .

وأوضحت السقاية العامة لا ينوء بعثها إلا من حلّ وسطاً من
السؤدد والشرف وأعالي الأمم لاساقتها ، ولذا أذعنت قريش لقصي
بسقاية الحاج ، فكان يطرح الزبيب في الماء ويسقيهم الماء المَحْلَى
كما كان يسقيهم اللبن^(٥) .

(١) الأمالي للشيخ الطوسي : ٣١٠ ، الكافي للكليني ٤ : ٥٧ ، ح ٣ ، من لا
يحضره الفقيه للشيخ الصدوق ٢ : ٦٤ .

(٢) المعجم الكبير للطبراني ١٢ : ٨٢ ، مجمع الزوائد للهيثمي ٣ : ١٣٢ .

(٣) الكافي ٦ : ٣٨١ ، ح ٧ ، مناقب آل أبي طالب ٢ : ٢٠٣ .

(٤) الأعلام للزركلي ٥ : ٢٢٩ ، معجم البلدان للحموي ٣ : ٢٦٦ .

(٥) السيرة الحلبية ١ : ٢١ .

وكان ينقل الماء إلى مكة من آبار خارجها ، ثم حفر بئراً اسمها (العجول) في الموضع الذي كانت دار أم هاني فيه ، وهي أول سقاية حفرت بمكة ، وكانت العرب إذا استقوا منها ارتجزوا :

نروي على العجول ثم نَنطلق إن قصياً قد وفى وقد صدق^(١)

ثم حفر قصي بئراً سمّاها (سجلة) وقال فيها^(٢) :

أنا قُصّي وحَفَرْتُ سِجْلَةَ تروي الحبيج زغلة فرغلة

وكان هاشم أيام الموسم يجعل حياضاً من آدم في موضع زمزم لسقاية الحاج ويحمل الماء إلى منى لسقايتهم ، وهو يومئذ قليل^(٣) . ثم إنّه حفر بئراً سمّاها (البندر)^(٤) وقال : «إنّها بلاغ للناس فلا يمنع منها أحداً»^(٥) .

وأما عبد المطلب فقد قام بما كان آباؤه يفعلونه من سقاية الحاج ، وزاد على ذلك أنّه لمّا حفر زمزم وكثر ماؤها أباحها للناس ، فتركوا الآبار التي كانت خارج مكة ، لمكانها من المسجد الحرام ، وفضلها على من سواها لأنها بئر إسماعيل^(٦) ، وبني عليها حوضاً ، فكان هو وابنه الحرث ينزعان الماء ويملآن الحوض ، فحسدته

(١) معجم البلدان ٤ : ٨٨ ، فتوح البلدان للبلاذري ١ : ٥٦ ، سبل الهدى والرشاد ١ : ٢٧٥ .

(٢) معجم ما استعجم للأندلسي ٣ : ٧٢٤ .

(٣) السيرة الحلبية ١ : ٢٢ .

(٤) معجم البلدان ١ : ٣٦١ ، تاج العروس ٦ : ٦٨ وقال : «قالوا : هو من التبذير وهو التفريق ، فلعل ماءها كان يخرج متفرقاً من غير مكان واحد ..» .

(٥) في معجم البلدان ١ : ٣٦١ ، ومعجم ما استعجم ١ : ٢٣٥ : «وقال حين حفرها : انبطت بذراً بماء قلاس جعلت ماءها بلاغاً للناس .

(٦) تاريخ الطبري ٢ : ١٢ ، تاريخ ابن الأثير ٢ : ١٢ ، سيرة ابن إسحاق : ٥ ، السيرة الحلبية ١ : ٥١ .

قريش على ذلك ، وعمدوا إلى الحوض بالليل فكسروه ، فكان عبد المطلب يصلحه بالنهار وهم يكسرونه بالليل ، فلمّا أكثروا عليه إفساده دعا عبد المطلب ربّه سبحانه وتعالى ، فرأى في المنام قائلاً يقول : « قل لقريش إنّني لا أحلّها لمغتسل ، وهي لشارب حلّ وبل » ، فنادى في المسجد بما رأى ، فلم يفسد أحد من قريش حوضه إلّا رمي بداء بجسده حتّى تركوا حوضه وسقايته^(١) ، وفي ذلك يقول خويلد بن أسد^(٢) :

أَقُولُ وَمَا قَوْلِي عَلَيْهِمْ بِسَبَّةٍ إِلَيْكَ ابْنُ سَلَمَى أَنْتَ حَافِرُ زَمَرَمُ

حَفِيرَةُ إِبْرَاهِيمَ يَوْمَ ابْنِ هَاجِرٍ وَرَكْضَةُ جَبْرِيلَ عَلَى عَهْدِ آدَمِ

ولمّا وافق قريشاً على المحاكمة عند كاهنة بني سعد بن هذيم ، وكان بمشارف الشام ، وسار عبد المطلب بمن معه من قومه ، حيث إذا كانوا بمفازة لا ماء فيها ونفد مأوهم استسقوا ممّن كان معهم من قريش ، فأبوا أن يسقوهم ، حفظاً على الماء ، فأمر عبد المطلب أصحابه أن يحفروا قبوراً لهم ويدفن من يموت منهم عطشاً في حفرة ويبقى واحد ، فضيعة واحد أيسر من ضيعة جماعة ، وبعد أن فرغوا من الحفر قال عبد المطلب : « إنّ هذا منّا لعجز ، لنضربنّ في الأرض عسى الله أن يرزقنا ماءً ، فركب راحلته ، فلمّا انبعث نبع من تحت خفها ماء عذب ، فكبر عبد المطلب ، وشرب أصحابه وملؤوا أسقيتهم ، ودعا قريشاً أن يستقوا من الماء ، فأكثروا منه ، ثمّ قالوا :

(١) المصنّف للصنعاني ٥ : ١١٤ ، تاريخ يعقوبي ١ : ٢٤٧ ، تاريخ ابن خلدون

٢ : ٣٣٨ ، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١٥ : ٢١٦ ، السيرة النبوية لابن

كثير ١ : ١٧٣ ، السيرة الحلبية ١ : ٥٧ .

(٢) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١٥ : ٢١٧ ، معجم البلدان للحموي ٣ :

١٤٩ ، سبل الهدى والرشاد للصالحى الشامي ١ : ١٩١ .

إِنَّ اللَّهَ قَدْ قَضَىٰ لَكَ عَلَيْنَا وَلَا نَخَاصِمُكَ فِي زَمَزَمَ ، إِنَّ الَّذِي سَقَاكَ فِي هَذِهِ الْفَلَاةِ هُوَ الَّذِي سَقَاكَ زَمَزَمَ ، فَارْجِعْ رَاشِدًا .

وزاد عبد المطلب في سقاية الحاج بالماء أن طرح الزبيب فيه ، وكان يحلب الإبل ، فيضع اللبن مع العسل في حوض من آدم عند زمزم ، لسقاية الحاج»^(١) .

ثُمَّ قَامَ أَبُو طَالِبٍ مَقَامَهُ بِسُقْيِ الْحَاجِّ^(٢) ، وَكَانَ يَجْعَلُ عِنْدَ رَأْسِ كُلِّ جَادَةٍ حَوْضًا فِيهِ الْمَاءُ لِيَسْتَقِيَ مِنْهُ الْحَاجُّ ، وَأَكْثَرَ مِنْ حَمْلِ الْمَاءِ أَيَّامَ الْمَوْسَمِ ، وَوَفَّرَهُ فِي الْمَشَاعِرِ فَقِيلَ لَهُ : (سَاقِي الْحَجَّاجِ) .

أَمَّا أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ فَقَدْ حَوَىٰ أَكْثَرَ مِمَّا حَوَاهُ وَالِدُهُ الْكَرِيمُ مِنْ هَذِهِ الْمَكْرَمَةِ ، وَكَمْ لَهُ مِنْ مَوَارِدٍ لِلْسُقَايَةِ لَا يَسْتَطِيعُ أَحَدٌ عَلَىٰ مِثْلِهَا ، وَذَلِكَ يَوْمَ بَدْرَ ، وَقَدْ أَجْهَدَ الْمُسْلِمِينَ الْعَطَشَ ، وَأَحْجَمُوا عَنْ امْتِثَالِ أَمْرِ الرَّسُولِ ﷺ فِي طَلَبِ الْمَاءِ ، فَرَقًا مِنْ قَرِيشَ ، لَكِنْ نَهَضَتْ بِأَبِي الرِّيحَانَتَيْنِ غَيْرَتَهُ الشَّمَاءُ ، وَثَارَ بِهِ كَرَمُهُ الْمَتَدَفِّقُ ، فَلَبَّىٰ دَعَاءَ الرَّسُولِ ، وَانْحَدَرَ نَحْوَ الْقَلِيبِ ، وَجَاءَ بِالْمَاءِ حَتَّىٰ أَرَوَى الْمُسْلِمِينَ^(٣) .

وَلَا يَنْسَىٰ يَوْمَ صَفِينٍ وَقَدْ شَاهَدَ مِنْ عَدُوهِ مَا تَنْدَىٰ مِنْهُ جَبْهَةُ كُلِّ غَيُورٍ ، فَإِنَّ مَعَاوِيَةَ لَمَّا نَزَلَ بِجَيْشِهِ عَلَى الْفَرَاتِ مَنَعَ أَهْلَ الْعِرَاقِ مِنَ الْمَاءِ ، حَتَّىٰ كَضَهُمُ الضَّمَامَ ، فَأَنْفَذَ إِلَيْهِ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ صَعْصَعَةَ بَنِ صُوحَانَ وَشَبَثَ بَنِ رَبْعِي ، يَسْأَلَانِهِ أَنْ لَا يَمْنَعَ الْمَاءَ الَّذِي أَبَاحَهُ اللَّهُ

(١) السيرة الحلبية ١ : ٥٥ ، السيرة النبوية لابن هشام ١ : ٩٤ ، السيرة النبوية

لابن كثير ١ : ١٦٩ ، سبل الهدى والرشاد للصالحى الشامي ١ : ١٨٩ ، الكامل

في التاريخ ٢ : ١٣ ، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١٥ : ٢٢٩ .

(٢) السيرة الحلبية ٣ : ٥٢ .

(٣) مناقب آل أبي طالب لابن شهر آشوب ٢ : ٨٠ .

تعالى لجميع المخلوقات ، وكلّهم فيه شرع سواء ، فأبى معاوية إلّا التردي في الغواية والجهل ، فعندها قال أمير المؤمنين : «ارووا السيوف من الدماء ترووا من الماء»^(١) ، ثمّ أمر أصحابه أن يحملوا على أهل الشام حملة واحدة ، فحمل الأشر والأشعث في سبعة عشر ألفاً والأشعث يقول :

مِيعَادُنَا الْيَوْمَ بَيَاضُ الصُّبْحِ هَلْ يَصْلُحُ الزَّادُ بِغَيْرِ مِلْحٍ؟
والأشعث يقول :

لَأُورِدَنَّ خَيْلِي الْفُرَاتَا شِبَعْتُ النِّوَاصِي أَوْ يُقَالَ مَاتَا
فلمّا أجلوهم أهل العراق عن الفرات ونزلوا عليه وملكوه ، أبى صاحب النفسية المقدّسة التي لا تعدوها أي مآثرة ، أن يسير على نهج عدوه ، حتّى أباح الماء لأعدائه ، ونادى بذلك في أصحابه^(٢) ، ولم يدعه كرم النفس أن يرتكب ما هو من سياسة الحرب من التضيق على العدو بأيّ صورة .

هذه جملة من موارد السقاية الصادرة من شرفاء سادة ، متبوّئين على منصّات المجد والخطر ، متكئين على أرائك العزّ والمنعة ، وما كانت تدعهم دماثة أخلاقهم ، وطهارة أعراقهم ، أن يكونوا أخلوا من هذه المكرمة ، وقد افتخر بذلك عبد مناف على غيرهم .
وأنت إذا استشففت الخصوصيات المكتنفة بكُلّ منها ، فإنّ الصراحة لا تدعك إلّا أن تقول بتفاوت المراتب فيها من ناحية الفضيلة .

كما لا تجد منتدحاً عن تفضيل الحسين على غيره يوم سقى

(١) مناقب آل أبي طالب ٢ : ٣٥١ .

(٢) المعيار والموازنة للاسكافي : ١٤٦ ، الفتوح لابن أعثم الكوفي ٣ : ٥ .

الحر وأصحابه في «شراف»^(١) ، وهو عالم بحراجة الموقف ، ونفاذ الماء بسقي كتيبة فيها ألف رجل مع خيولهم ، ووخامة المستقبل ، وإنّ الماء غداً دونه تسيل النفوس ، وتشق المرائر ، لكن العنصر النبوي ، والأصرة العلوية لم يتركا صاحبهما إلا أن يحوز الفضل .
 وأناي أحسب أنّ ما ناء به أبو الفضل عليه السلام في أمر السقاية لا يوازنه شيء من ذلك ، يوم ناطح جبلاً من الحديد ببأسه الشديد ، حتّى اخترق الصفوف ، وزعزع هاتيك الألوف ، وليس له همّ في ذلك المأزق الحرج إلا إغاثة شخصيّة الرسالة ، المنتشرة في تلك الأمثال القدسية من الذرية الطيبة ، ولم تقثعه هذه الفضيلة حتّى أبت نفسيته الكريمة أن يلتدّ بشيء من الماء قبل أن يلتدّ به أخوه الإمام وصبيته الأذكىاء .

هنالك حداه إيمانه المشفوع باليقين ، وحنانه المرتبط بالكرم إلى أن ينكفيء إلى المخيم ولا يحمل إلا مزادة من ماء ، يدافع عنها بصارمه الذكر ، ويزينه المثقف ولواء الحمد يرفّ على رأسه ، غير أنّ ما يحمله هو أنفس عنده من نفسه الكريمة ، بلحاظ ما يريده من المحافظة على تلك المزادة الملأى .

وراقه أن تكون هي الذخيرة الثمينة ، مشفوعة بما هو أعظم عند الله تعالى ، فسمح بيمينه وشماله - وكلتاها يمن - أن تقطعا بعين الله ، في كلاءة ما يتهالك دونه ، لينال الأمنيّة قبل المنية ، وما خارت عزيمة العباس عليه السلام إلا حين أحبّ أن لو كانت المراقبة نفسه لا

(١) موضع ، وقيل : ماء لبني أسد . راجع لسان العرب ٩ : ١٧٤ ، ويذكر المؤرخون - كالطبري ٤ : ٣٠٢ ، وابن الأثير في الكامل ٤ : ٤٦ وغيرها - أنه التقى مع جيش الحرّ بعد الخروج من (شراف) .

القربة . فيا أبعد الله سهماً أسال ماءها ، ولم يكن « سعد العشيرة » طالباً للحياة بعده لو لم يأته العمود الطائش ، ألا لعنة الله على الظالمين .

ومن أجل مجيئه بالماء إلى عيال أخيه وصحبه في الأيام العشرة سُمِّي « السقا » ، نصّ عليه أبو الحسن في المجدي ، والداودي في عمدة الطالب ، وابن إدريس في مزار السرائر ، وأبو الحسن الديار البكري في تاريخ الخميس ج ٢ ص ٣١٧ ، والنويري في نهاية الأرب ج ٢ ص ٣٤١ ، والشبلنجي في نور الأبصار ص ٩٣ ، والعلامة الحجة محمد باقر القائني في الكبريت الأحمر ج ٢ ص ٣٤^(١) .

ولصاحب هذا اللقب فيوضات على الأمة لا تحد ، وبركات لا تحصر :

هو البحرُ من أيّ النواحي أتيتُهُ فلجتهُ المعرُوفِ والجُودِ ساجله
ومن ذلك ما ذكره العلامة السند السيّد محمد بن آية الله السيّد مهدي القزويني رحمته الله في كتاب « طروس الإنشاء » قال :
« في سنة ١٣٠٦ هـ انقطع نهر الحسينية ، وعاد أهل كربلاء يقاسون شحّة الماء ، وكضّة الظمأ ، فأمرت الحكومة العثمانية بحفر نهر في أراضي السيّد النقيب السيّد سلمان ، فمنع النقيب ذلك ، واتفق أن زرت كربلاء ، فطلب أهلها أن أكتب إلى النقيب ، فكتبت إليه ما يشجيه ، وعلى حالهم يبكيه :

(١) عمدة الطالب لابن عنبه : ٣٥٦ ، مقاتل الطالبين : ٥٥ ، الأنوار العلوية للنقدي : ٤٤١ ، السرائر ١ : ٦٥٦ .

فِي كَرْبَلَا لَكَ عُصْبَةٌ تَشْكُوا الظَّمَأَ

مِنْ فَيْضِ كَفِّكَ تَسْتَمِدُّ رِوَاءَهَا

وَأَرَاكَ يَا سَاقِي عَطَاشِي كَرْبَلَا

وَأَبُوكَ سَاقِي الْحَوْضِ تَمْنَعُ مَاءَهَا^(١)

فأجاز النقيب حفر النهر ، وانتفع أهل كربلاء ببركة هذا اللقب الشريف (السقا) .

(١) نقل جزء من القصة السيّد محسن الأمين في أعيان الشيعة ١٠ : ٧٢ .

نشأته

مما لا شك فيه أنّ لنفسيات الآباء ونزعاتهم وكمياتهم من العلم والخطر أو الانحطاط والضعفة دخلاً تاماً في نشأة الأولاد وتربيتهم ، إنّ لم نقل إنّ مقتضاهما هو العامل الوحيد في تكيّف نفسيات الناشئة ، بكيفيات فاضلة أو رذيلة ، فلا يكاد يرتأي صاحب أي خطة إلا أن يكون خلفه على خطته ، ولا أن الخلف يتحرّى غير ما وجد عليه سلفه ، ولذلك تجد في الغالب مشاكلة بين الجيل الأول والثاني في العادات والأهواء والمعارف والعلوم ، اللهمّ إلا أن يوسد هناك تطوّر يكبح ذلك الاقتضاء .

وعلى هذا الناموس يسعنا أن نعرف مقدار ما عليه أبو الفضل عليه السلام من العلم والمعرفة وحسن التربية بنشوءه في البيت العلوي ، منبثق أنوار العلم ، ومحط أسرار اللاهوت ، ومختبأ نواميس الغيب ، فهو بيت العلم والعمل ، بيت الجهاد والورع ، بيت المعرفة والإيمان :

بَيَّتْ عَلَا سَمَكِ الضِّيرَاحُ رِفْعَةً	فَكَانَ أَعْلَى شَرْفًا وَأَمْنًا
أَعَزَّهُ اللَّهُ فَمَا تَهَبُّطُ فِي	كَعْبَتِهِ الْأَمْلَاكُ إِلَّا خَضَعًا
بَيَّتْ مِنَ الْقُدْسِ وَنَاهِيكَ بِهِ	مَحَطُّ أَسْرَارِ الْهُدَى وَمَوْضِعًا
وَكَانَ مَأْوَى الْمُرْتَجِي وَالْمُلْتَجِي	فَمَا أَعَزَّ شَأْنُهُ وَأَرْفَعًا ^(١)

وبسيف صاحب هذا البيت المنيع انجلت غواشي الإلحاد ،

وببيانه تقشّعت غيوم الشبه والأوهام .

إذن ، فطبع الحال يدلّنا على أنّ سيّد الأوصياء لم يبع بابنه بدلاً في حسن التربية الإلهية ، ولا أنّ شطية الخلافة يروقه غير اقتصاص أثر أبيه الأقدس ، فلك هاهنا أن تحدّث عن بقيّة أمير المؤمنين في أيّ ناحية من نواحي الفضيلة ، ولا حرج .

لم تكن كلّ البصائر في أبي الفضل عليه السلام اكتسابية ، بل كان مجتبلاً من طينة القداسة التي مزيجها النور الإلهي ، حتّى تكونت في صلب من هو مثال الحقّ ، ذلك الذي لو كشف عنه الغطاء ما ازداد يقيناً ، فلم يصل أبو الفضل عليه السلام إلى عالم الوجود إلّا وهو معدن الذكاء والفتنة ، وأذن واعية للمعارف الإلهية ، ومادة قابلة لصور الفضائل كلّها ، فاحتضنه حجر العلم والعمل ، حجر اليقين والإيمان ، وعادت أرومته الطيبة هيكلًا للتوحيد ، يغذّيه أبوه بالمعرفة ، فتشرق عليه أنوار الملكوت ، وأسرار اللاهوت ، وتهب عليه نسيمات الغيب ، فيستنشق منها الحقائق .

دعاه أبوه عليه السلام في عهد الصبا وأجلسه في حجره وقال له :
« قل واحداً فقال : واحد ، فقال له : قل إثنتين ! قال : استحي أن أقول إثنتين باللسان قلت واحداً إثنان »^(١) .

وإذا أمعنا النظر في هذه الكلمة - وهو على عهد نعومة من أظفاره في حين أنّ نظراءه في ألسن لا يبلغون إلى ما هو دون ذلك الشأو البعيد - فلا نجد بداً من البخوع بأنّها من أشعة تلك الإشراقات الإلهية ، فما ظنك إذن حينما يلتقي مع المبادئ الفيّاضة من أبيه سيّد الوصيين ، وأخويه الإمامين سيّدي شباب أهل الجنّة ، فلا يقتني من

(١) مستدرک الوسائل ١٥ : ٢١٥ ، مقتل الحسين للخوارزمي ١ : ١٧٩ .

خزائن معارفهم إلا كُلُّ دُرٍّ ثمين، ودرّي لامع .
 وغير خفيّ ما أَراده سيّدنا العباس ، فإنّه أشار إلى أنّ الوجدانية
 لا تليق إلاّ بفاطر السموات والأرضين ، ويجلّ مثله المتفرّع من دوح
 الإمامة أن يجري على لسانه الناطق بالوجدانية لباري الأشياء صفة
 تنزّه عنها سبحانه وتعالى وعنّها ينطق كتابه المجيد : ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا
 آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾^(١) .

وممّا زاد في سرور أبيه أمير المؤمنين أنّ زينب العقيلة كانت
 حاضرة حينذاك وهي صغيرة فقالت لأبيها أتحبّنا؟ قال : بلى ،
 فقالت : لا يجتمع حبّان في قلب مؤمن : حبّ الله ، وحبّ الأولاد ،
 وإن كان ولا بدّ فالحبّ لله تعالى والشفقة للأولاد ، فأعجبه كلامها
 وزاد في حبّه وعطفه عليهما^(٢) .

أمّا العلم ؛ فهو رضيع لبانه ، وناهيك في حجر أبيه مدرسة
 يتخرّج منها مثل أبي الفضل عليه السلام ! وما ظنّك بهذا التلميذ المصاغ من
 جوهر الاستعداد ، وذلك الأستاذ الذي هو عيّبة العلم الإلهي ، وعلبة
 أسرار النبوة ، وهو المقيّض لنشر المعارف الربوبية ، وتعلم الأخلاق
 الفاضلة ، ونشر أحكام الإسلام ، ودحض الأوهام والوساوس .

وإذا كان الإمام عليه السلام يُربّي البعداء الأجانب بتلك التربية الصحيحة
 المأثورة ، حتّى استفادوا منه أسرار التكوين ، ووقفوا على غامض ما
 في النشاطين ، وكان عندهم بواسطة تلك التربية علم المنايا والبلايا ،
 كحبيب بن مظاهر ، وميثم التمار ، ورشيد الهجري ، وكميل بن زياد ،
 وأمثالهم ؛ فهل من المعقول أن يذر قرّة عينّه ، وفلذة كبده خلواً من

(١) الأنبياء : ٢٢ .

(٢) مقتل الحسين للخوارزمي ١ : ١٧٩ ؛ باختلاف الألفاظ ، وفي مستدرک
 الوسائل ١٥ : ٢١٥ قال : « وقيل : بل القائل الحسين عليه السلام » .

أي علم؟!

أو أن قابلية المحلّ تربى بأولئك الأفراد دون سيّدنا
العبّاس عليه السلام؟

لا والله ، ما كان سيّد الأوصياء يضمن بشيء من علومه ، لا سيّما
على قطعة فؤاده ، ولا أنّ غيره ممّن انضوى إلى أبيه علم الهداية
يشقّ له غباراً في القابلية والاستعداد .

فهناك التقى مبدأ قياض ، ومحلّ قابل للإفاضة ، وقد ارتفعت
عامّة الموانع ، فذلك برهان على أنّ «عباس اليقين» من أوعيّة العلم ،
ومن الراسخين فيه .

ثمّ هلمّ معي إلى جامعتين للعلوم الإلهية ، ملازمتين للجامعة
الأولى في نشر المعارف ، وتقيضهما لإفاضة التعاليم الحقّة لكلّ
تلميذ ، والرقى به إلى أوج العظمة في العلم والعمل ، ألا وهما
«كليّتا» السبطين الحسن والحسين عليه السلام . وانظر إلى ملازمته لأخويه
بعد أبيه سيّد الأوصياء ، ملازمة الظلّ لديه ، فهناك يتجلّى لك أنّ
سماء علمهما لم تهطل وبالاً إلّا وعاد لؤلؤاً رطباً في نفسه ، ولا أنفقا
شيئاً من ذلك الكنز الخالد إلّا واتخذة ثروة علميّة لا تنفذ .

أضف إلى ذلك ما كان يرويه عن عقيلة بيت الوحي ، زينب
الكبرى ، وهي العالمّة غير المعلّمة بنصّ الإمام زين العابدين^(١) .

وبعد هذا كلّّه ، فقد حوى أبو الفضل من صفاء النفس ، والجبلة
الطيّبة ، والعنصر الزاكي ، والإخلاص في العمل ، والدؤوب على
العبادة ؛ ما يفتح له أبواباً من العلم ، ويوقفه على كنوز المعرفة ،
فيتفرّع من كلّ أصل فرع ، وتنحلّ عنده المشكلات .

وإذا كان الحديث ينصّ على أنّ مَنْ أخلص لله أربعين صباحاً انفجرت ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه ، إذن فما ظنك بمن أخلص لله سبحانه طيلة عمره ، وهو متخلّ عن كلّ رذيلة ، ومتحلّ بكلّ فضيلة ، فهل يبقى إلّا أن تكون ذاته المقدّسة متجلّية بأنوار العلوم والفضائل ، وإلّا أن يكون علمه تحقّقاً لا تعلّقاً؟!

وبعد ذلك فما أوشك أن يكون علمه وجدانياً ، وإن برع في البرهنة وتنسيق القياس ، ومن هنا جاء المأثور عن المعصومين عليهم السلام : «إنّ العباس بن علي زُقّ العلم زقاً»^(١) .

وهذا من أبداع التشبيه والاستعارة ، فإنّ الزقّ يستعمل في تغذية الطائر فرخه حين لم يقو على الغذاء بنفسه ، وحيث استعمل الإمام عليه السلام - وهو العارف بأساليب الكلام - هذه اللفظة هنا ، نعرف أنّ أبا الفضل عليه السلام كان محلّ القابلية لتلقي العلوم والمعارف ، منذ كان طفلاً ورضيعاً ، كما هو كذلك بلا ريب .

فلم يكن أبو الفضل بدعاً من أهل هذا البيت الطاهر الذي حوى العلم المتدفّق منذ الصغر ، كما شهد بذلك أعداؤهم ، ففي الحديث عن الصادق عليه السلام :

أنّ رجلاً مرّ بعثمان بن عفان وهو قاعد على باب المسجد ، فسأله ، فأمر له بخمسة دراهم ، فقال له الرجل : أرشدني ، قال عثمان : دونك الفتية الذين تراهم ، وأوماً بيده إلى ناحية من المسجد فيها الحسن والحسين وعبد الله بن جعفر ، فمضى الرجل نحوهم وسألهم ، فقال له الحسن : يا هذا ، المسألة لا تحلّ إلّا في ثلاث : دم مفعج ، أو دين مقرح ، أو فقر مدقع ، أيتها تسأل؟ فقال : في واحدة

من هذه الثلاث ، فأمر له الحسن بخمسين ديناراً ، والحسين بتسعة وأربعين ديناراً ، وعبد الله بن جعفر بثمانية وأربعين ، فانصرف الرجل ومراً بعثمان ، فحكى له القصة وما أعطوه ، فقال له : ومن لك بمثل هؤلاء الفتية ، أولئك فطموا العلم فطمأ ، وحازوا الخير والحكمة .
قال الصدوق بعد الخبر : « معني (فطموا العلم) : أي قطعوه عن غيرهم وجمعوه لأنفسهم »^(١) .

وجاء في الأثر : أن يزيد بن معاوية قال في حق السجاد : « إنه من أهل بيت زقوا العلم زقاً » .

ومن أجل ذلك قال العلامة المحقق الفقيه المولى محمد باقر ابن المولى محمد حسن ابن المولى أسد الله ابن الحاج عبد الله ابن الحاج علي محمد القائي ، نزيل برجند ، في كتاب الكبريت الأحمر ج ٣ ص ٤٥ : « إن العباس من أكابر وأفاضل فقهاء أهل البيت ، بل إنه عالم غير متعلم ، وليس في ذلك منافاة ، لتعليم أبيه عليه السلام إياه » .

وكان هذا الشيخ الجليل ثبناً في النقل ، منقّباً في الحديث ، يشهد بذلك كبريته ، تتلمذ له في العراق على الفاضل الإيرواني ، وميرزا حبيب الله الرشتي ، والسيّد الشيرازي ، وفي خراسان على السيّد مرتضى القائي ، والعلامة محمد تقي البجنردي ، وكان له أربعة وثلاثون مؤلفاً .

ومن مستطرف الأحاديث ما حدّثني به الشيخ العلامة ميرزا محمد علي الأردبادي ، عن حجة الإسلام السيّد ميرزا عبد الهادي آل سيّد الأمة الميرزا الشيرازي رحمه الله ، عن العالم البارع السيّد ميرزا عبد الحميد البجنردي ، أنه شاهد في كربلاء المشرفة رجلاً من الأفاضل

(١) الخصال : ١٣٥ باختلاف في بعض الألفاظ .

قد اغترّ بعلمه ، وبلغ من غلوائه في ذلك أنّه كان في منتدى من أصحابه وجرى ذكر أبي الفضل ، وما حمله من المعارف ، الإلهية التي امتاز بها على سائر الشهداء ، فصارح الرجل بأفضليته على العباس ! واستغرب من حضر هذه الجرأة ، وانكروا عليه ، ولا موه على هذه البادرة ، فطفق الرجل يبرهن على تهيئته بتعداد مآثره وعلومه ، وما ينوء به من تهجد وتنفل وزهادة ، وقال : إن كان أبو الفضل العباس يفضل بأمثال هذه فعنده مثلها ، والشهادة يوم الطف لا تقابل ما تحمله من العلوم الدينية وأصولها ونواميسها .

فقام الجماعة من المجلس والرجل على ذلك الغرور والغلواء ، غير نادم ولا متهيب .

ولمّا أصبحوا لم يكن لهم همّ إلا معرفة خبر الرجل ، وأنّه هل بقي على غيّه أو أنّ الهداية الإلهية شملته؟ فقصدوا داره وطرقوا الباب ، فقبل لهم : إنّ الرجل في حرم العباس ، فتوجّهوا إليه ليستبروا خبره ، فإذا الرجل قد ربط نفسه في الضريح الأقدس بحبل شدّ طرفه بعنقه والآخر بالضريح ، وهو تائب نادم ممّا فرط .

فسألوه عن شأنه وخبره؟ فقال : لمّا نمت البارحة ، وأنا على الحال الذي فارقتكم عليه ، رأيت نفسي في مجتمع من أهل الفضل ، وإذا رجل دخل النادي وهو يقول : إنّ أبا الفضل قادم عليكم ، فأخذ ذكره من القلوب مأخذاً حتّى دخل ﷺ والنور الإلهي يسطع من أسارير جبهته ، والجمال العلوي يزهر في محيّا ، فاستقرّ على كرسي في صدر النادي ، والحضور كلّهم خاضعون لجلالته ، وخصتني من بينهم رهبة عظيمة ، وفرق مقلق ، لما أتدكره من تفريطي في جنب ولي الله ، فطفق ﷺ يحيي أهل النادي واحداً

واحدًا حتّى وصلت النوبة إليّ .

ثمّ قال لي : ماذا تقول أنت؟ فكاد أن يرتجّ عليّ القول ، ثمّ راجعت نفسي وقلت : في المصارحة منتدحاً عن الارتباك وفوزاً بالحقيقة ، فأنهيت إليه ما ذكرته لكم بالأمس من البرهنة .

فقال عليه السلام : أمّا أنا فقد درست عند أبي أمير المؤمنين وأخوي الإمامين الحسن والحسين عليه السلام ، وأنا على يقينٍ من ديني بما تلقّيته من مشيختي من الحقائق ونواميس الإسلام ، وأنت شاكّ في دينك ، شاكّ في إمامك ، أليس الأمر هكذا؟ فلم يسعني إنكار ما يقوله .

ثمّ قال عليه السلام : وأمّا شيخك الذي قرأت عليه ، وأخذت منه فهو أتعس منك حالاً ، وما عسى أن يكون عندك من أصول وقواعد مضروبة للجاهل بالأحكام ، يعمل بها إذا أعوزه الوصول إلى الواقع ، وإنّي غير محتاج إليها ، لمعرفتي بواقع الأحكام من مصدر الوحي الإلهي .

ثمّ قال عليه السلام : وفيّ نفسيات كريمة ، وأخذ يعددها : من كرم ، وصبر ، ومواساة ، وجهاد إلى غيرها ، ولو قسّمت على جميعكم لما أمكنك حمل شيء منها .

على أنّ فيك ملكات رذيلة من حسد ، ومراء ، ورياء ، ثمّ ضرب بيده الشريفة على فمّ الرجل ، فانتبه فزعاً نادماً ، معترفاً بالتقصير ، ولم يجد منتدحاً إلّا بالتوسل به ، والإنابة إليه ، صلوات الله عليه وعلى آبائه .

اليقين

لقد كان أبو الفضل عليه السلام أحد الأفذاذ العلويين الذين لم تكن
المفاخر مزايا زائدة على ذاتياتهم وإن مدحوا بآثارها ؛ لأنهم زبد
المخض ، حازوا شرف النبوة ، وفضيلة الخلافة ، تتنضد بهم حمل
العلم ، وتعتدل موازين العمل ، وترنح بهم صهوات المنابر .
فكان سلام الله عليه متربعا على منصّة المجد ، ومِلءُ الندي
هيبة ، ومِلءُ العيون بهجة ، ومِلءُ المسامع ذكره الجميل ، ومِلءُ
القلوب محبة ، وحشو اهابه علم وعمل ، وحشو الردى سؤدد
وشرف .

وإن الإحاطة بما حواه من اليقين الثابت والبصيرة النافذة بأحد
طريقين!

الأول : سبر أحواله ، ومواقع إقدامه وإحجامه ، ومواضع بطشه
وإناته ، وموارد صفحه وانتقامه . ولا بدّ أن يكون المنقّب عند ذلك
مميزاً بين مدرّاج الرأي ومساقط الخطل ، بصيراً بمراقبي الحلم
ومهاوي البطش .

والثاني : إخبار مَنْ وقف على ذلك ، بمباشرة وافية ، وعلم
متسع ، تم شكله وظهر إنتاجه ، أو تعليم إلهي ، أو أخذ عمّن له صلة
بذلك التعليم .

وغير خفي أنّ قمر بني هاشم ملتقى ذينك الطرفين ، في البصيرة واليقين ، في دينه وعقله ، في معارفه وأخلاقه ، في حله وارتحاله ، وكان ينظر إلى جملة الأحوال بين البصيرة التي تخرق الحجب وتبصر ما وراءها من أسرار وخبايا ، لا بناظر البصر الذي تحجبه الحواجز ، وتمنعه السدول ، فيرد عن الإدراك خاسئاً ، فلا يكون أمر تهالك دونه إلاّ بعلم ثابت ، ويقين راسخ ، وإيمان لا يشوبه شك ، فإنّه :

سِرّ أبيه وهُو سِرّ الباري	مَلِكُ عَرْشِ عَالِمِ الْأَسْرَارِ
وَارِثُ مَنْ حَازَ مَوَارِثَ الرُّسُلِ	أَبُو الْعُقُولِ وَالنَّفُوسِ وَالْمُثُلِ
وَكَيْفَ لَا وَدَائِهِ الْقُدْسِيَّةُ	مَجْمُوعَةُ الْقَضَائِلِ النَّفْسِيَّةِ

لقد كان أبو الفضل يعرف العراقيين ونزعات أهل الكوفة ، منذ عهد أبيه وأخيه السبط المجتبي ، بالتجارب الصحيحة ، وإنهم تجمعهم الأماني ، وتفرّقهم الرضائخ ، ويشاهد الأمويين وقوة سلطانهم ، وتوغّلهم في إراقة الدماء ، وبطشهم في الناس ، وطيشهم في الأمور ، ويرى ضعف جانب (أبي الضيم عليه السلام) ، وقلة أنصاره ، وطبع الحال يحدو مثله إلى التحييز إلى فئة أخرى ، والأقل من التقاعد عن أيّ الفريقين ، وما كان مثله لو سالم الأمويين لعدم ولاية أو قيادة لجيوشهم ، أو عيشة راضية يقضي بها أيامه .

لكنّ «عباس اليقين» لم يكن له طمع في شيء من حطام الدنيا ، فلم يرقه إلاّ الالتحاق بأخيه سيّد الشهداء ، موطناً نفسه الكريمة لأيّ كارثة أو شدة مؤلمة .

هذا والتكهّن بمصير أمر الحسين عليه السلام في مسيره نصب عينه ، والمغيبات الماثورة عن رسول الله وأمير المؤمنين والمسموعات من

أخويه الإمامين ملء أذنه ، فلم يبرح مع « أخيه الشهيد » يفترع ربوة ويسف إلى واد ، لا يرى في هاتيك الثنايا والعقبات إلا تصديقاً لما عرفه ، ويقيناً بمنتهى أمره وغايته ، حتى بلغهم نبأ فاجعة مسلم بن عقيل ، فعرف القوم انشال الكوفيين عن الحق ورضوخهم إلى حكم الطاغية ، هنالك خارت العزائم ، وأخفقت الظنون ، وطفق أهل المطاعم والشره يتفرقون عن السبط المقدس ، يميناً وشمالاً^(١) ، إلا من حداهم إلى المسير حق اليقين ، وفي الطليعة منهم سيّدنا العباس ، فإنه لم يزد إلا بصيرة في النهضة الكريمة ، وسروراً بأزوف الغاية المتوخاة .

فسار به وبهم « شهيد العظمة » ، وهو لا يشاهد ، كما أنهم لا يرون كلما قربوا من الكوفة إلا تدبّر الناس وتألبّهم عليهم ، وتتوارد عليهم الأنباء بما هو أشدّ ، لكن لم يثن ذلك من عزائمهم شيئاً ولا يكدي أملاً ، بل كانوا يخفّفون الخطأ ، ويسرعون السير ، لينتهوا إلى معانقة الرماح ، ومصافحة الصفاح ، أكثر ممّا يسرع الصب إلى الخود الرдах ، ومرشدهم إلى ذلك بعد إمام الهدى (أبو الفضل) .

رَكْبٌ حِجَازِيُونَ بَيْنَ رِحَالِهِمْ تَسْرِي الْمَنَآيَا انْجَدُوا أَوْ اتَهَمُوا
يَحْدُونَ فِي هَزَجِ الْقِلَاوَةِ عَيْسِهِمْ وَالْكُلُّ فِي تَسْبِيحِهِ يَتَرَنَّمُ

الأصحاب

هبط موكب العظمة عراض الغاضريات ، وهو يضمّ الفتية من آل عبد المطلب ، والأبوة الصفوة من الأصحاب ، فكانوا فرحين بما أتاهم المولى من فضله ، واختصّهم به من المنحة الكبرى ، حيث جعل أثر ميّتهم حياة للدين ومدحرة للأضاليل ، فكانوا رضوان الله عليهم بما أودع الله تعالى فيهم من النيات الصادقة لايهابون في سبيل السير إليه تعالى عقبة كأداء ، أو نبأً موحشاً ؛ من تخاذل القوم ، وتدابير النفوس ، وتضائل القوى ، لما عرفوه من أنّها موهبة لا يحظى بها إلاّ الأمثل فالأمثل ، فقابلوا الأخطار بجأش طامن ، وجنان ثابت ، لا تزجره أيّ هائلة ، وكُلّما اشتدّ المأزق الحرج أعقب فيهم انشراحاً وانبساطاً ، بين ابتسامة ومداعبة ، ومن فرح إلى نشاط .

وَمُذْ أَخَذَتْ فِي نَيْنَوَى مِنْهُمُ النَّوَى

وَلَاخَ بِهَا لِلْقَدْرِ بَعْضُ الْعَلَائِمِ

عَدَا ضَاجِحًا هَذَا وَذَا مُتَبَسِّمًا

سُرُورًا وَمَا تَغَرُّ الْعَنُونِ بِبَاسِمٍ^(١)

هازل برير بن خضير عبد الرحمن الأنصاري ، فقال له عبد

(١) من قصيدة للشيخ صالح الكواز الحلبي ، وقيل : للتميمي . راجع أعيان الشيعة

الرحمن: « ما هذه ساعة باطل! فقال برير: واللّه لقد علم قومي أنّي ما أحببت الباطل شاباً ولا كهلاً ، ولكنّي لمستبشر بما نحن لاقون ، واللّه ما بيننا وبين الحور العين إلّا أن يميل علينا هؤلاء بأسيا فهم ، ولوددت أنّهم مالوا علينا الساعة»^(١) .

وخرج حبيب بن مظاهر يضحك ، فقال له يزيد بن الحصين : « ما هذه ساعة ضحك! قال حبيب : وأيّ موضع أحقّ بالسرور من هذا؟! ما هو إلّا أن يميل علينا هؤلاء الطغاة بسيوفهم فنعائق الحور»^(٢) .

وناهيك بعباس بن أبي شبيب الشاكري حينما برز إلى الحرب ، وقد أحجم القوم عنه ؛ لأنّهم عرفوه بالإقدام والبسالة ، فلمّا رأى أنّه لم يبارزه أحد ألقي ما عليه من درع ولامة ، فاغتنمها القوم فرصة ، ومع ذلك لم يبرز إليه أحد ، يكتّهم رموه بالسهم والحجارة ، وأنّه ليطرد أكثر من مائتين ، فرحاً مبتهجاً بما يلاقيه من حبور ونعيم .

وإنّي لأعجب من الرواة حملة التاريخ إذا توسّعوا في النقل وقذفوا أولئك الأبّاء الصفوة ، والغلب المصاليات ، بما تندى منه وجه الإنسانية ، ويأباه الوجدان الصادق ، فقل : « كان القوم بحالة ترتعد فرائصهم ، وتتغيّر ألوانهم ، كلّما اشتدّ الحال ، وضاق المجال ، إلّا الحسين فإنّ أسرّة وجهه تشرق كالبدّر المنير»^(٣) .

وذلك بعد أن أعوزتهم الوقعة في شهيد الإباء ، فلم يجدوا

(١) تاريخ الطبري ٤ : ٣٢١ ، الكامل في التاريخ ٤ : ٦٠ ، مثير الأحزان لابن نما : ٣٩ .

(٢) رجال الكشي ١ : ٢٩٣ ، تفسير جوامع الجامع ١ : ١٣٠ .

(٣) تاريخ الطبري ٤ : ٣١٠ .

للغمز فيه نصيباً ، فمالوا على أصحابه وأهل بيته الذين قال فيهم الإمام عليه السلام : «إني لا أعلم أصحاباً خيراً من أصحابي ، ولا أهل بيت أبرّ وأوفى من أهل بيتي»^(١) ، «وقد استلمتهم فما وجدت فيهم إلّا الأشوس الأقعس ، يستأنسون بالمنيّة دوني ، استيناس الطفل إلى محالب أمه»^(٢) .

وليس ذلك إلّا من الداء الدفين بين أضالع قوم دافوا السمّ في الدّسم ، إلى سذج آخرين حسبوه حقيقة راهنة ، فشوّها وجه التاريخ ، غير أنّ البصير الناقد لا تخفى عليه نفسية القوم ، ولا ما جاؤوا به .

وأعجب من ذلك قول محفر ليزيد : «إنّا أحطنا بهم ، وهم يلودون عنا بالآكام والحفر ، لواذ الحمام من الصقر»^(٣) .

بفك الكثك أيّها القائل ، كأنك لم تشاهد ذلك الموقف الرهيب ، فترى ما للقوم من بسالة وإقدام ومفادات دون الدين الحنيف ، حتّى أغفل يومهم مع ابن المصطفى أيام صفين وما شاكلها من حروب دامية ، ووقائع هائلة ، وحتّى أخذت أندية الكوفة لا تتحدّث إلّا عن شجاعتهم .

أجل ، إنّ تلك الأهوال أدهشتك ، فلم تدري ما تقول ، أو إنّ الشقة بعدت عليك فنسيت ما كان ، ولكن هل غاب عن سمعك صراخ الأيامي ، وعويل الأيتام في دور الكوفة ، حتّى طبق أرجاءها

(١) تاريخ الطبري ٤ : ٣١٧ .

(٢) الدمعة الساكبة : ٣٢٥ .

(٣) تاريخ الطبري ٤ : ٣٥١ ، تاريخ مدينة دمشق ١٨ : ٤٤٥ ، الكامل في التاريخ

٤ : ٨٣ ، الوافي بالوفيات ١٤ : ١٢٧ ، البداية والنهاية ٨ : ٢٠٨ الفتوح لابن

أعثم ٥ : ١٢٧ .

من جراء ما أوقعه أولئك الصفوة بأعداء الله ورسوله ، بسيوفهم الماضية . والعذر لك أنك أدركت ساعة العافية ، فطفقت تشوّه مقامهم المشكور ، طلباً لمرضاة (يزيد الخمرور) .

ولقد صرّح عن صدق نيّاتهم وإخلاصهم في التضحية عدوهم الألدّ عمرو بن الحجاج محرّضاً قومه : « أتدرون من تقاتلون؟! تقاتلون فرسان المصر ، وأهل البصائر ، تقاتلون قوماً مستميتين ، لا يبرز إليهم أحد منكم إلّا قتلوه ، على قلتهم ، والله لو لم ترموهم إلّا بالحجارة لقتلتموهم ، فقال عمر بن سعد : قد صدقت الرأي ، ما رأيت أرسل في الناس من يعزم عليهم أن لا يبارزهم رجل منهم »^(١) ، « ولو خرجتم إليهم وحداناً لاتوا عليكم »^(٢) .

وقيل لرجل شهد يوم الطفّ مع عمر بن سعد : « ويحك أقتلتم ذرية رسول الله؟ »

فقال : عضضت بالجنديل ، إنك لو شهدت ما شهدنا لفعلت ما فعلنا ، ثارت علينا عصاة أيديها في مقابض سيوفها كالأسود الضارية ، تحطّم الفرسان يميناً وشمالاً ، وتلقي أنفسها على الموت ، لا تقبل الأمان ، ولا ترغب في المال ، ولا يحول حائل بينها وبين حياض المنية ، أو الاستيلاء على الملك ، فلو كففنا عنها رويداً لأتت على نفوس العسكر بحذافيرها ، فما كنّا فاعلين لا أم لك؟ »^(٣) .
وأيّ فرد منهم أقلقه الحال حتّى ارتعدت فرائصه؟! أهو زهير بن القين الذي وضع يده على منكب الحسين وقال مستأذناً :

(١) تاريخ الطبري ٤ : ٣٣١ ، الكامل في التاريخ ٤ : ٦٧ .

(٢) بحار الأنوار ٤٥ : ١٩ .

(٣) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٣ : ٣٦٣ .

إِقْدِمْ هُدَيْتَ هَادِيًا مَهْدِيًا فَالْيَوْمَ أَلْقَى جَدَّكَ النَّبِيَّ!

أم ابن عوسجة الذي يوصي حبيب بن مظاهر بنصرة الحسين وهو في آخر رمق من الحياة ، فكأنه لم يقنعه عن المفادات كُلِّ ما لاقاه من جهد وبلاء؟!!

أم أبو ثمامة الصائدي الذي لم يهّمه في سبيل السير إلى ربّه سبحانه ، كُلِّ ما هناك من فواح وآلام إلا الصلاة التي دنا وقتها ، فقال للحسين : « نفسي لك الفداء ، إنّي أرى هؤلاء قد اقتربوا منك ، ولا والله لا تُقتل حتّى أقتل دونك ، وأحب أن ألقى الله وقد صلّيت هذه الصلاة التي دنا وقتها ، فقال الحسين : « ذكرت الصلاة جعلك الله من المصلّين الذاكرين »^(١)؟!!

أم سعيد الحنفي الذي تقدّم أمام الحسين وقت الصلاة واستهدف لهم ، فأخذوا يرمونه بالنبل يميناً وشمالاً ، حتّى سقط لكثرة نزف الدم^(٢) ، فقال للحسين : أوفيت يا بن رسول الله؟! قال : « نعم ، أنت أمامي في الجنّة »؟!!

أم ابن شبيب الشاكري الذي ألقى جميع لامته لتقرب منه الرجال ، فيموت ، في حين نرى الكمأة الأبطال المعروفين بالشجاعة والإقدام يتدرعون للحرب كي لا يخلص إليهم ما يزهد نفوسهم؟!!

أم الغفاريان اللذان استأذنا الحسين في الحملة وهما يبكيان ، فقال عليه السلام لهما : « ما يبكيكما ، فوالله إنّي لأرجو أن تكونا بعد ساعة قريري العين »؟!!

(١) تاريخ الطبري ٤ : ٣٣٤ ، الكامل في التاريخ ٤ : ٧٠ .

(٢) تاريخ الطبري ٤ : ٣٣٦ ، الكامل في التاريخ ٤ : ٧١ إلى قوله : « حتّى سقط » .

فقالا : ما على أنفسنا نبكي ، ولكن نبكي عليك أبا عبد الله ، نراك قد أحيط بك ولا نقدر على الدفع عنك ، والذب عن حرمك»^(١) ، فجزّاهما الحسين خيراً؟!!

وإذا تأملنا قول الإمام أبي جعفر الباقر عليه السلام : «إن أصحاب جدي الحسين لم يجدوا ألم مس الحديد»^(٢) ، وضخ لنا ما عليه أولئك الأطايب من الثبات ، وأنهم غير مكترئين بما لاقوه من ألم الجراح ، ولعاً منهم بالغاية ، شوقاً إلى جوار المصطفى .

ولا يستغرب هذا من يعرف حالة العاشق ، وأنه عند توجهه مشاعره نحو المحبوب لا يشعر بكُل ما يلاقيه من عناء ونكد ، حكى المؤرخون أنّ عزّة دخلت على كثير الشاعر وهو في خبائه يبري سهاماً له ، ولما نظر إليها أدهشه الحال ، وأبهره الجمال ، فأخذ يبري أصابعه ، وسالت الدماء ، وهو لا يحسّ بالألم^(٣) .

وأكبر مثال على ذلك حكاية الكتاب المجيد حالة النسوة حينما شاهدن جمال الصديق يوسف عليه السلام ، فقال تعالى : ﴿ فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ ﴾^(٤) .

وإذا كانت النسوة لم يشعرن بألم قطع المديّة أيديهنّ ، لمحض جمال الصديق ، فليس من الغريب ألا يجد أصحاب الحسين عليه السلام - وهم زبد العالم كلّ - ألم مس الحديد عند نهاية عشقهم لمظاهر

(١) تاريخ الطبري ٤ : ٣٣٧ ، الكامل في التاريخ ٤ : ٧٢ .

(٢) الخرائج والجرائح للراوندي ٢ : ٨٤٨ ، والعبارة بمعناها .

(٣) الأغاني لأبي الفرج الاصفهاني ٩ : ٢٢ .

(٤) يوسف : ٣١ .

الجمال الإلهي ، ونزوع أنفسهم إلى الغاية القصوى من القداسة بعد التكهرب بولاء سيّد الشهداء عليه السلام .

هذا ما عليه الأصحاب من سرّ المفادات ، وقد كان مُرشدهم إلى ذلك ، والمقدّم فيهم (حامل اللواء) ، إذا لم يكن هيباً بما شاهده من لغط ، وصخب ، وضوضاء ، وصهيل ، وجحفل مجر ، يتبعه جيش لجب ، وقد أخذ ابن ميسون عليهم أقطار الأرض وآفاق السماء .

بِجَحَافِلٍ بِالطَّفِّ أُولَهَا وَأَخِيرُهَا بِالشَّامِ مُتَصِلٌ

فلا يرى إلّا وجوهاً عابسة ، كلّ يتحرّى استئصال شأفة الإمامة ، وإزهاق من يجنح إليها ، و« قمر الهاشميين » أسرة وجهه ، تشرق كالبدر المنير ؛ لأنّه عليه السلام يجد ببصيرته الهادية له إلى المفادات قرب الأجل المضروب ، وحصول الضالة المنشودة ، وهذا كلّ بعد العلم بأنّه إذا فارق أخاه في ذلك الموقف يكون في سعة من الخطر . وأنا لكبر موقفه وثباته حينما قال لهم أبو عبد الله عليه السلام : « هذا الليل قد غشيكم فاتخذوه جملاً ، فأنتم في إذن منّي ، فإنّ القوم لم يطلبوا غيري ، ولو ظفروا بي لذهلوا عن طلب غيري ، وليأخذ كلّ رجل منكم بيد رجل من أهل بيتي ، وتفرّقوا في سوادكم هذا »^(١) .

هنا كان لعبّاس الشرف والحفاظ موقفه المشهود الذي أظهر فيه من قوّة الإيمان ، وغزارة العلم ، وعوامل الشهامة ، ما أوقف جواله الفكر ، وحيرة نفاذة الحلم ، حيث ابتدر الجماعة بقوله : « ولم نفعل ذلك لا أبقانا الله بعدك »؟! وتابعه الهاشميون الصفوة والصحب

(١) تاريخ الطبري ٤ : ٣١٧ ، الكامل في التاريخ ٤ : ٥٧ ، البداية والنهاية لابن

الأكارم ، متخذين قوله حقيقة راهنة ، من معلم هذبته المعرفة ، وبصّرتة التجارب ، وإنّه لم يرد بقوله إلّا التضحية الخالصة ، والسعادة الخالدة ، فأجابوا بما انحنت عليه الأضالع من إثثار مودة العزّ دون سبط الرسول على حياة مخدجة بعده ، وإن كانت محفوفة بنعومة من العيش .

فقال آل عقيل : «قبّح الله العيش بعدك ، نفديك بأنفسنا وأهالينا» .

وقال ابن عوسجة : «لو لم يكن معي سلاح لقذفتهم بالحجارة حتّى أموت دونك» .

وقال سعيد الحنفي : «أنحن نخلي عنك؟! لا والله حتّى يعلم الله أنا قد حفظنا وصيّة رسول الله فيك ، ولو علمت أنّي أُقتل ثمّ أُحىي ، ثمّ أُقتل ، ثمّ أُحرق حيّاً ، ثمّ أُذرى يفعل بي سبعين مرّة ما فارقتك حتّى ألقى حمامي دونك . وكيف لا أفعل ذلك وإنّما هي قتلة واحدة ، ثمّ هي الكرامة التي لا انقضاء لها أبداً» .
وتكلم الجماعة بما يشبه ذلك ^(١) .

فأَجَادُوا الْجَوَابَ وَاخْتَرَطُوا الْبِيدَ ضَ اهْتِيَا جَا إِلَى جِلَادِ الْأَعَادِي
وَانْثَنُوا لِلْوَعَى غِضَابَ أُسُودٍ عَصِفَتْ فِي الْعَدِي بِصِرْصِرِ عَادٍ
حَرَسُوهُ حَتَّى احْتَسُوا جُرْعَ الْمَوْتِ تِ بَبِيضِ الضَّبَا وَسُمِرِ الصِّعَادِ
سَمَحُوا بِالنُّفُوسِ فِي نُصْرَةِ الدِّينِ يَنْ وَأَدَّوْا فِي اللَّهِ حَقَّ الْجِهَادِ
وبعد أن عرف الحسين منهم صدق النية والإخلاص في المفادات أوقفهم على غامض القضاء ، وقال : «إنّي أُقتل وكلّكم

(١) تاريخ الطبري ٤ : ٣١٧ - ٣١٨ ، الكامل في التاريخ ٤ : ٥٨ ، البداية والنهاية لابن كثير ٨ : ١٩١ .

تقتلون ، حتى القاسم وعبد الله الرضيع ، إلا السجّاد ، فإنه أبو الأئمة » ، ثم كشف عن أبصارهم ، فرأوا ما حباهم الله من نعيم الجنّان ، وعرفهم منازلهم فيها^(١) .

وليس ذلك في القدرة الإلهية بعزيز ، ولا في تصرّفات الإمام بغريب ، ولقد حكى المؤرّخون وقوع نظير هذا لسحرة فرعون لما آمنوا بموسى عليه السلام وأراد فرعون قتلهم ، فإنهم شاهدوا منازلهم في الجنة^(٢) .

(١) الخرائج والجرائح ١ : ٢٥٥ ، بحار الأنوار ٤٥ : ٨٩ ، علل الشرائع ١ : ٢٢٩ ، والنص منقول بالمعنى .

(٢) تفسير ابن أبي حاتم ٥ : ١٥٣٦ ، تفسير ابن كثير ٣ : ١٦٦ ، الدر المنثور للسيوطي ٣ : ١٠٧ ، تفسير الألوسي ٩ : ٢٨ ، البداية والنهاية لابن كثير ١ : ٢٩٦ .

الأمان

لم تزل هذه الفضيلة نفسية أبي الفضل في جميع مواقفه عند ذلك المشهد الرهيب ، لاسيما حين بلغه كتاب عبيد الله بن زياد بالأمان له وإخوته الذي أخذه عبد الله بن أبي المحل بن حزام ، وكانت أم البنين عمته ، وبعثه مع مولاه كزمان ، فلما قدم كربلاء قال للعباس وإخوته : « هذا أمان من ابن زياد ، بعثه إليكم خالكم عبد الله ! فقالوا له : أبلغ خالنا السلام وقل له : لا حاجة لنا في أمانكم ، أمان الله خير من أمان ابن سميّة »^(١) .

كيف يتنازل أبو الفضل للدنية وهو ينظر بعين غير أعين الناس ، ويسمع بأذنه الواعية غير ما يسمعونه ، يشاهد نصب عينه الرضوان الأكبر مع « خلف النبي المرسل » ، ويسمع هتاف الملكوت من شتى جوانبه بالبشرى له بذلك كُله عند استمراره مع أخيه الإمام . نعم ، وجد « عباس المعرفة » نفسه المكهربة بعالم الغيب ، المجذوبة بجاذب مركز القداسة إلى التضحية دون حجة الوقت لا محالة ، فرفض ذلك الأمان الخائب إلى أمان الرسول الأعظم .

وهناك طمع الشمر فيه وفي إخوته أن يفصلهم عن مستوى

(١) تاريخ الطبري ٤ : ٣١٤ ، الكامل في التاريخ ٤ : ٥٦ .

الفضيلة ، فناداهم : أين بنو أختنا؟ أين العباس وإخوته؟ فاعرضوا عنه ، فقال الحسين : « أجيبوه ولو كان فاسقاً » .

قالوا : ما شأنك؟ وما تريد؟

قال : يا بني أختي ، أنتم آمنون ، لا تقتلوا أنفسكم مع الحسين ، والزموا طاعة أمير المؤمنين يزيد .

فقال له العباس : لعنك الله ولعن أمانك ، تؤمننا وابن رسول الله لا أمان له^(١)؟! وتأمرنا أن ندخل في طاعة اللعناء وأولاد اللعناء ، فرجع الشمر مغضباً^(٢) .

إنّ هذا الجلف الجافي قد أساء الظنّ بهؤلاء الفتية نجوم الأرض من آل عبد المطلب ، فحسب أنّهم ممّن يستهويهم الأمن والدعة ، أو تروقهم الحياة مع أبناء البغايا ، هيهات! خاب الرّجس ففشل ، واخفق ظنّه ، وأكدّى أمله ، ولم يسمع في الجواب منهم إلّا لعنك الله ، وتبّت يداك ، ولعن ما جئت به .

وحيث إنّ ابن ذي الجوشن يفقد البصيرة التي وجدها أبو الفضل ، والنفسية التي يحملها ، والسؤدد المتحلّي به ، والحفاظ اللائح على وجناته ؛ طمع أن يستهوي رجل الغيرة ويجرّه إلى الخسف والهوان والحياة مع الظالمين .

أيظنّ أنّ أبا الفضل ممّن يستبدل النور بالظلمة، ويستعيض عن الحقّ بالباطل، ويدع علم النبوة ، وينضوي إلى راية ابن مرجانة؟!!

(١) الإرشاد للشيخ المفيد ٢ : ٨٩ ، بحار الأنوار ٤٤ : ٣٩١ ، تاريخ الطبري ٤ : ٣١٥ ، الكامل في التاريخ ٤ : ٥٦ .

(٢) مثير الأحزان لابن نما الحلّي : ٤١ ، اللهوف في قتلى الطفوف : ٥٤ ، لواعج الأشجان : ١١٦ .

كَلَّا

ولمّا رجع العباس وإخوته إلى الحسين واعلموه بما أرادهم
الماجن منهم ، قام زهير بن القين إلى العباس حدّثه بحديث ، قال
فيه :

إنّ أباك أمير المؤمنين عليه السلام طلب من أخيه عقيل - وكان عارفاً
بأنساب العرب وأخبارها - أن يختار له امرأة ولدتها الفحولة من
العرب ، وذوو الشجاعة منهم ، ليتزوّجها ، فتلد غلاماً فارساً شجاعاً ،
ينصر الحسين بطّف كربلا ، وقد ادّخرك أبوك لمثل هذا اليوم ، فلا
تقصر عن نصرة أخيك وحماية إخوتك .

فغضب العباس وقال : « يا زهير ، تشجّعني هذا اليوم ، فوالله
لأرينك شيئاً ما رأيته »^(١) .

فجدل أبطالاً ، ونكّس رايات في حالة لم يكن همّه من القتال ،
ولا منازلة الأبطال ، بل كان همّه إيصال الماء إلى أطفال أخيه ، ولكن
لا مردّ للقضاء ، ولا دافع للأجل المحتوم .

وَلَا يَهْمُهُ السَّهَامُ حَاشَا	مَنْ هَمَّهُ سِقَايَةُ الْعُطَاشَا
فَجَادَ بِالْيَمِينِ وَالشِّمَالِ	لِنُصْرَةِ الدِّينِ وَحِفْظِ الْآلِ

(١) الأنوار العلوية للنقدي : ٤٤٤ ، أسرار الشهادة للدربندي ٢ : ٤٩٧ .

المواساة

لا يسع الباحث في حديث مشهد الطفّ المقدّر فيه (قمر بني هاشم) حقّ قدره إلّا البخوع له بتحقيق هذه الغريزة الكريمة ، أعني المواساة بأجلى مظاهرها ، وأنت إذا أعرت لما أفضنا القول في البصيرة أذنّاً واعية عرفت كيف كان مقامه مع أخيه سيّد شباب أهل الجنّة ، وإيثاره التفاني معه على الحياة الرغيدة ، وتهالكه في المفادات ، منذ مغادرته الحجاز إلى هبوطه أرض كربلا ، وحتى لفظ نفسه الأخير تحت مشتبك النصول ، فلا تجد مناصاً عن الإذعان بأنّه عليه السلام كان على أعلا ذروة من المواساة لأخيه الإمام ، يربوا على المواسين معه جميعاً ؛ لأنّ مواساته كانت عن بصيرة ، هي أنفذ البصائر يومئذ ، بشهادة الإمام الصادق عليه السلام : « كان عمّن العباس نافذ البصيرة ، صلب الإيمان »^(١).

وقد شهد له بهذه المواساة إمامان معصومان ، واقفان على الضمائر ، ويعرفان مقادير الرجال ، فيقول الحجة عجل الله فرجه في زيارة الناحية : « السلام على أبي الفضل العباس ، المواسي أخاه بنفسه ، الآخذ لغده من أمسّه ، الواقى له ، الساعي إليه بمائه ، المقطوعة يداه . لعن الله قاتله يزيد بن الرقاد الجهني ، وحكيم بن

(١) سرّ السلسلة العلوية لأبي نصر البخاري : ٨٩ .

الطفيل السننسي الطائي .

ويقول الصادق عليه السلام في الزيارة المتلوة عند ضريحه الأقدس :
 « أشهد لقد نصحت لله ولرسوله ولأخيك ، فنعم الأخ المواسي »
 فجعل عليه السلام الشهادة له بالمواساة المنعم بها نتيجة نصحه لله
 الذي هو مقتضى دينه و يقينه ، ونصحه لرسول الله الذي هو تمام
 التوحيد ، والنصح لأخيه الإمام الذي هو الجزء الأخير للعلّة ، وبه
 كمال الدين وتمام النعمة ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ
 نِعْمَتِي ﴾ ^(١) ، وبه قبول الأعمال .

« لو أنّ عبداً صام وصلى وزكى ولم يأت بالولاية ما قبل الله له
 عملاً أبداً » ، فرضى الربّ والرسول وطاعتها منوطان بطاعة ولي
 الأمر ﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ
 وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ ﴾ ^(٢) .

فأراد الإمام الصادق بذلك الخطاب أنّ نصح «عباس الهداية»
 لأخيه المظلوم على حدّ نصحه لله ولرسوله ، مع حفظ المرتبة في
 كلّ منهما ، فالطاعة شرع سواء في الثلاثة ، تحت جامع واحد ، هو
 وجوب الخضوع لهم ، والتسليم لأمرهم ، غاية الأمر تختلف
 المراتب ، فإنّه تجب الطاعة أولاً وبالذات بالنسبة إليه سبحانه
 وتعالى ، وبما أنّ الرسول مبعوث من قبله وجبت بالنسبة إلى
 الرسول ، وبما أنّ الإمام خليفة لهذا المبعوث المرسل لعدم بقاءه إلى
 الأبد ، وعدم إهمال العباد كالبهائم ، وعدم وضوح الكتاب المجيد ،
 لوجود المخصص والمقيد ، والناسخ والمتشابه ، وعدم وفائه

(١) المائدة : ٣ .

(٢) المائدة : ٥٥ .

بالأحكام الشرعية بالبداهة ؛ وجب على الأمة إطاعة هذا الإمام ، فالمراد من المؤمنين في هذه الآية ومن أولي الأمر في قوله تعالى : **﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ ﴾** ^(١) ، شيء واحد ، وقد انحصر مصداقه في سيّد الوصيين وأبنائه المعصومين الأحد عشر بالتواتر عن الرسول ﷺ .

فالنصح الذي أشار إليه الإمام في الزيارة هو لازم تلك الطاعة ومقتضى الولاية ، تحت جامع واحد ، وهو لزوم مناصرة الدين والصادع به ، المنبسط على ذات الباري تعالى والرسول والإمام كلّ في مرتبته .

وقد أفادنا هذا الخطاب أنّ مفادات أبي الفضل ومواساته لم تكن لمحض الرحم الماسة والإخاء الواشج ، ولا لأنّ الحسين عليه السلام سيّد أسرته ، وكبير قومه ، وإن كان في كلّ منها يمدح عليه هذا الناهض ، لكنّها جمعاء كانت مندكة في جنب ما أثاره « عباس البصيرة » من لزوم مواساة صاحب الدين ، والتهالك دون دعوته ، سواء كانت المفادات بعين المشرع سبحانه ، أو تحت راية الرسول ﷺ ، أو إمام الوقت ، وكلّ بعين الله وعن مرضاته جلّ شأنه ، وقد اجتمعت في مشهد الطّف تحت راية الحسين عليه السلام .

إنّ من الواجب إمعان النظر في عمله الناصع حين ملك الشريعة فاغترف غرفة من الماء ليشرب ، ولكن الزمه حقّ اليقين ، وقوّة الإيمان أن ينفذ الماء من يده ، حيث لم ير له مساغاً في التأخير عن سقاية حجة الوقت الإمام المعصوم ، وحرّم النبوة ، ولو بمقدار التروي من الماء هنيئة ، بل عرف أنّ الواجب عليه الإبقاء على مهجة

خليفة الرسول بسقايته ولو في أن يسير ، إذ الحالة شرع سواء بين قليل الزمان وكثيره ، ولذلك نسب فعله هذا إلى الدين حيث يقول : « تالله ما هذا فعال ديني » .

على أن شيخنا العلامة الشيخ عبد الحسين الحلّي يحدث في النقد النزيه ج ١ ص ١٠٠ عن فخر الذاكرين الثقة الثبت الشيخ ميرزا هادي الخراساني النجفي نقلاً عن « عدّة الشهور » أن أمير المؤمنين عليه السلام دعا العباس وضمّه إليه ، وقبّل عينيه ، وأخذ عليه العهد إذا ملك الماء يوم الطّف أن لا يذوق منه قطرة وأخوه الحسين عطشان . فقول أرباب المقاتل : نفّض الماء من يده ولم يشرب إنما هو لأجل الوصيّة من أبيه المرتضى .

لَمْ يَذُقِ الْفُرَاتِ أَسْوَةً بِهِ	مَيِّمًا بِمَائِهِ نَحْوُ الْخَبَا
لَمْ يَرَفِ فِي الدِّينِ يَبْلُ غُلَّةٍ	وَصُنُّوهُ فِيهِ الظَّمَا قَدْ الْهَبَا
وَالْمُرْتَضَى أَوْصَى إِلَيْهِ فِي ابْنِهِ	وَصِيَّةً صَدَّقَتْهُ عَنْ أَنْ يَشْرَبَا
لِذَاكَ قَدْ أَسْنَدَهُ: لِـدِينِهِ	وَعَنْ يَقِينٍ فِيهِ لَنْ يَضْطَرَّبَا
هَذَا مِنَ الشَّرْعِ يَرَى فِعْلَتُهُ	وَمِنْ صِرَاطٍ أَحْمَدَ مَا ارْتَكَبَا
وَمِثْلُهُ الْحُسَيْنُ لَمَّا مَلَكَ الْمَاءَ	فَقِيلَ رَحْلُهُ قَدْ نُهِبَا
أَمْ الْخِيَامَ نَافِضًا لِمِضَاهِهِ	إِنْ عَظُمَ الْأَمْرُ بِهِ وَاعْصُوصَبَا
فَكَانَ لِلْعَبَّاسِ فِيهِ أَسْوَةٌ	إِنْ قَاضَ شَهْمًا غَيْرَ مَقُولِ الشُّبَا

عشرة التاريخ

لقد كان من نفوذ بصيرة العباس أنه لم تقنعه هاتيك التضحية المشهودة منه ، والجهد البالغ حدّه ، حتّى راقه أن يفوز بتجهيز المجاهدين في ذلك المأزق الحرج ، والدعوة إلى السعادة الخالدة في رضوان الله الأكبر ، وأن يحظى بأجور الصابرين ، على ما يلمّ به من المصاب بفقد الأحبة ، فدعا أخوته من أمه وأبيه وهم « عبد الله ، وجعفر ، وعثمان » وقال لهم : « تقدّموا حتّى أراكم قد نصحتم لله ولرسوله ، فإنّه لا ولد لكم »^(١) .

فإنّه أراد بذلك تعريف أخوته حقّ المقام ، وأنّ مثولهم بهذا الموقف لم يكن مصروفاً إلّا إلى جهة واحدة وهي : المفادات والتضحية في سبيل الدين ، إذ لم يكن لهم أي شائبة أو شاغلة تلهيهم عن القصد الأسنى من عوارض الدنيا ، من مراقبة أمر الأولاد بعدهم ، ومن يرأف بهم ويربّهم ، فاللازم حينئذٍ السير إلى الغاية الوحيدة وهي : الموت دون حياة الشريعة المقدّسة ، فكانوا كما شاء ظنّه الحسن بهم ، حيث لم يألوا جهداً في الذب عن قدس الدين ، حتّى قضوا كراماً متلفعين بدم الشهادة .

(١) الارشاد للشيخ المفيد ٢ : ٢٠٩ ، مثير الأحزان لابن نما : ٥٠ ، لواعج الأشجان : ١٧٨ .

لكن هلمّ واقراً العجيب الغريب فيما ذكر ابن جرير الطبري في التاريخ ج ٦ ص ٢٥٧ قال : « وزعموا أنّ العباس بن علي قال لأخوته من أمّه وأبيه عبد الله وجعفر وعثمان : يا بني أمي تقدّموا حتّى أرثكم ، فإنّه لا ولد لكم ، ففعلوا وقتلوا »^(١) .

وقال أبو الفرج في مقاتل الطالبين : « قدّم أخاه جعفر بين يديه ، لأنّه لم يكن له ولد ليحوز ميراثه العباس ، فشدّ عليه هاني بن ثابت فقتله »^(٢) .

وفي مقتل العباس قال : « قدّم أخوته لأمه وأبيه ، فقتلوا جميعاً ، فحاز مواريتهم ، ثمّ تقدّم وقتل فورثهم وإياه عبيد الله ، ونازعه في ذلك عمّه عمر بن علي ، فصولح على شيء رضي به »^(٣) . هذا غاية ما عندهما ، وقد تفرّدا به من بين المؤرّخين وأرباب المقاتل ، ولا يخفى على من له بصيرة وتأمل بعده عن الصواب . وما أدري كيف خفي عليهما حيازة العباس ميراث أخوته مع وجود أمهم أم البنين ، وهي من الطبقة المتقدّمة على الأخ ، ولم يجهل العباس شريعة تربّي في خلالها ؟!

على أنّ هذه الكلمة لا تصدر من أدنى الناس ، سيّما في ذلك الموقف الذي يذهل الواقف عن نفسه وماله ، فأيّ شخص كان يدور في خُلدِه ذلك اليوم حيازة المواريت بتعريض ذويه وأخوته للقتل ؟! وعلى الأخصّ يصدر ذلك من رجل يعلم أنّه لا يبقى بعدهم ولا يتهنأ بمالهم ، بل يكون فعله لمحض أن تتمتع به أولاده .

(١) تاريخ الطبري ٤ : ٣٤٢ ، الكامل في التاريخ ٤ : ٧٦ .

(٢) مقاتل الطالبين لأبي الفرج : ٥٤ .

(٣) مقاتل الطالبين لأبي الفرج : ٥٥ .

بئست الكلمة القبيحة التي راموا أن يلوثوا بها ساحة ذلك السيد الكريم .

فهل ترغب أنت أن يقال لك : عرضت أخوتك وبني أمك لحومة الوغى لتحوز مواريثهم؟! أم أن هذا من الدناءة والخسة ، فلا ترضاه لنفسك ، كما لا يرغب به سوقة الناس وأدناهم ، فكيف ترضى أيها المنصف ذلك لمن علّم الناس الشهامة وكرم الأخلاق ، وواسى حجة وقته بنفسه الزاكية؟!

وكيف ينسب هذا لخرّيج تلك الجامعة العظمى ، والمدرسة الكبرى ، جامعة النبوة ، ومدرسة الإمامة ، وتربى بحجر أبيه ، وأخذ المعارف منه ومن أخويه الامامين؟!

ولو تأملنا جيداً في تقديمه إياهم للقتل لعرفنا كبر نفسه ، وغاية مفاداته عن أخيه السبط ، فلذة كبد النبي ﷺ ، ومهجة البتول ، فإنّ من الواضح البيّن أنّ غرضه من تقديمهم للقتل :

١ - إمّا لأجل أن يشتدّ حزنه ، ويعظم صبره ، ويرزأ بهم ، ويكون هو المطالب بهم يوم القيامة ، إذ لا ولد لهم يطالبون بهم .

٢ - وإمّا لأجل حصول الاطمئنان والثقة من المفادات دون الدين ، أمام سيّد الشهداء ، ويشهد له مذكّره الشيخ المفيد في الإرشاد ، وابن نما في مثير الأحزان من قوله لهم : « تقدّموا حتّى أراكم قد نصحتم لله ولرسوله ، فإنّه لا ولد لكم » ، ولم يقصد بهم المخايل ، وإنّما رام أبو الفضل أن يتعرّف مقدار ولائهم لقتيل العبرة . وهذا منه ﷺ إرفاق بهم ، وحنان عليهم ، وأداء لحقّ الأخوة بإرشادهم إلى ما هو الأصلح لهم .

٣ - وإمّا لأجل أن يكون غرضه الفوز بأجر الشهادة بنفسه ،
والتجهيز للجهاد بتقديم أخوته ليثاب أيضاً بأجر الصابرين ، ويحوز
كلتا السعادتين ، وربما يدلّ عليه ما ذكره أبو الفرج في مقتل عبدالله
من قول العباس له : « تقدّم بين يدي حتّى أراك قتيلاً واحتسبك ،
فكان أول من قتل من أخوته » .

وذكر أبو حنيفة الدينوري أنّ العباس قال لأخوته : « تقدّموا
بنفسي أنتم وحاموا عن سيّدكم حتّى تموتوا دونه ، فتقدّموا جميعاً
وقتلوا » .

ولو أراد أبو الفضل من تقديمهم للقتل حيازة مواريتهم -
وحاشاه - لم يكن لاحتساب أخيه عبدالله معنى ، كما لا معنى
لتفديتهم بنفسه الكريمة كما في الأخبار الطوال^(١) .

وهناك مانع آخر من ميراث العباس لهم وحده ، حتّى لو قلنا
على بعد ومنع بوفاة أم البنين يوم الطف ، فإنّ ولد العباس لم يكن
هو الحائز لمواريتهم ، لوجود الأطراف وعبيد الله بن النهشلية ،
فإنهما يشتركان مع العباس في الميراث ، كما يشاركهم سيّد شباب
أهل الجنّة ، وزينب العقيلة ، وأم كلثوم ، ورقية ، وغيرهنّ من بنات
أمير المؤمنين ، فكيف والحال هذا يختصّ العباس بالميراث
وحده؟! !

هذا كلّه إن قلنا بوفاة أم البنين يوم الطف ، ولكن التاريخ يثبت
حياتها يومئذٍ وأنها بقيت بالمدينة ، وهي التي كانت ترثي أولادها
الأربعة .

(١) الأخبار الطوال : ٢٥٧ .

والذي أظنه أن منشأ ذلك التقول على العباس أنه أوقفهم السير على قوله لأخوته : « لا ولد لكم » ، من غير روية وتفكير في غرضه ومراده ، فحسبوه أنه يريد الميراث ، فتوه به واحد باجتهاده أو احتمالاً ، وحسبه الآخرون رواية ، فشوهوا به وجه التاريخ ، ولم يفهموا المراد ، ولا أصابوا شاكلة الغرض ، فإن غرضه من قوله : « لا ولد لكم » تراقبون حاله بعدكم ، فاسرعوا في نيل الشهادة والفوز بنعيم الجنان .

على أن شيخنا العلامة الشيخ عبد الحسين الحلّي في النقد النزيه ج ١ ص ٩٩ احتمل تصحيف (إرثكم) من (أرزا بكم) أو (أرزاكم) ، وليس هذا ببعيد .

وأقرب منه احتمال شيخنا الحجة الشيخ آغا بزرك مؤلف كتاب (الذريعة إلى تصانيف الشيعة) تصحيف (إرثكم) من (أرثيكم) ، فكأنه عليه السلام أراد أولاً : أن يفوز بالإرشاد إلى ناحية الحق ، وثانياً : تجهيز المجاهدين ، وثالثاً : البكاء عليهم ورثائهم ، فإنه محبوب للمولى تعالى .

ويشبه قول العباس لأخوته قول عابس بن أبي شبيب الشاكري لشوذب مولى شاكرك : « يا شوذب ما في نفسك أن تصنع ؟ قال : أقاتل معك دون ابن بنت رسول الله حتى أقتل ! فقال : ذلك الظن بك ، فتقدم بين يدي أبي عبد الله حتى يحتسبك كما احتسب غيرك من أصحابه ، وحتى احتسبك أنا ، فإنه لو كان معي الساعة أحد أنا أولى به منك لسرّني أن يتقدم بين يدي حتى أحتسبه ، فإن هذا يوم ينبغي لنا أن نطلب الأجر فيه بكل ما قدرنا عليه ، فإنه لا عمل بعد اليوم ، وإنما هو الحساب »^(١) (الطبري ج ٦ ص ٢٥٤) .

حديث الصادق عليه السلام

إنّ ما يتعرّف منه منزلة أبي الفضل العالية وإثبات الخصال الحميدة له ، إخبار أئمة الدين العارفين بضمائر العباد وسرائرهم ، الواقفين على نفسيّات الأمة على كثب بتحقيقها فيه ، وقد عبثت أيدي التلف في أكثرها ، فإنّ الصدوق يحدث في الخصال ج ١ ص ٣٥ بعد ذكره حديث السجّاد في فضل العباس أنّه أخرج الخبر بتمامه ، مع أخبار في فضائل العباس في كتاب مقتل الحسين عليه السلام .
وظاهره أن هناك أخباراً كثيرة في فضل أبي الفضل رويت عنّا ككتابه المقتل ، ولا غرو فلقد اندثر بتعاقب الحوادث الكثير من المؤلّفات .

وكيف كان ، فلعلّ من تلك الأخبار ما رواه في عمدة الطالب ، عن الشيخ الجليل أبي نصر البخاري النسابة ، عن المفضّل بن عمر أنّه قال : « قال الصادق جعفر بن محمّد عليه السلام : كان عمّنا العباس بن علي نافذ البصيرة ، صلب الإيمان ، جاهد مع أبي عبد الله وأبلى بلاءً حسناً ، ومضى شهيداً »^(١) .

وكذلك قوله عليه السلام فيما علّم شيعته أن يخاطبوه به من لفظ

(١) عمدة الطالب لابن عتبة : ٣٥٦ ، مقتل الحسين لأبي مخنف : ١٧٦ . الأنوار العلوية للنقدي : ٤٤٢ .

الزيارة ، المروية بسند صحيح متفق عليه ، فإنه عند التأمل فيما خاطبه به الإمام العارف بأساليب الكلام ومقتضيات الأحوال ، تظهر لنا الحقيقة ، ونعرف منزلة للعباس سامية لاتعد ومنزلة المعصومين ، فقال عليه السلام في صدر سلام الإذن :

« سلام الله ، وسلام ملائكته المقرّبين ، وأنبيائه المرسلين ، وعباده الصالحين ، وجميع الشهداء والصدّيقين ، الزاكيات الطيّبات ، فيما تغتدي وتروح عليك يا بن أمير المؤمنين » .

فإنه أشار بهذا إلى مصبّ سلام الله الذي هو رحمته المتواصلة والعطف الغير محدود الذين لا انقطاع لهما .

وسلام الملائكة المشاهدين لمقادير الرجال في ملأ القدس وحظيرة الجلال .

وسلام الأنبياء الذين لا يعدون مرضات الله ووحيه في أفعالهم وتروكهم .

وسلام الصالحين والشهداء الذين أدركوا بفضل الاتصال بالرسل وأوصيائهم أو بالتجرّد ومشاهدة الحقائق الثابتة في عالم الغيوب ، زيادة على ما عرفوه من مقام أبي الفضل وفضله .

فكلّ هؤلاء يتقرّبون إلى الله تعالى بالدعاء له ، واستنزال الرحمة منه سبحانه ، وإهداء التسليمات إليه ، لمّا عرفوا أنّه من أقرب الوسائل إليه ، وحيث كانت خالصة للزلفة ، ماحضة في التقرب إليه جلّ ذكره ، عادت زاكية طيّبة بنصّ الزيارة : « الزاكيات الطيّبات » .

وأما على رواية ابن قولويه في كامل الزيارة من زيادة (واو العطف) قبل الزاكيات الطيّبات ، فيراد بهما العناية الخاصة التي

ليست بدعاء من أحد ، ولا بأسباب عادية ، ولا يعدم هذه الأنبياء والأوصياء والأقلون ممّن اقتفوا أثرهم ، وليست هي شرعة لكُلّ وارد ، وإنّما يحظى بها الأفذاذ ممّن كهربتهم القداسة الإلهية ، وجذبتهم جاذبة الصقع الربوبي ، وهكذا المقرّبون والأفذاذ عند صعودهم .

وإذا قرأنا زيارة الصادق عليه السلام لجده الحسين : « سلام الله وسلام ملائكته فيما تروح وتغدو ، والزاكيات الطاهرات لك وعليك ، سلام الملائكة المقرّبين والمسلمين لك بقلوبهم والناطقين بفضلك ... »^(١) وضح لنا أنّ منزلة أبي الفضل تضاهي منزلة الحسين ، حيث أثبت له مثل هذا السلام .

ثمّ قال عليه السلام : « أشهد لك بالتسليم والتصديق والوفاء والنصيحة لخلف النّبي المرسل »^(٢) .

هاهنا أثبت لأبي الفضل منزلة التسليم التي هي من أقدس منازل السالّكين ، وفوق مرتبة الرضا والتوكّل ، فإنّ أقصى مرتبة الرضا أن يكون محبوب المولى سبحانه محبوباً له ، موافقاً لطبعه ، فالطبع ملحوظ فيه .

وأقصى مراتب التوكّل أن ينزل نفسه بين يدي المولى سبحانه وتعالى منزلة الميت بين يدي الغاسل ، بحيث لا إرادة له إلّا ما يفعله الغاسل به ، فصاحب التوكّل مسلوب الإرادة ، وأمّا صاحب التسليم فلا يرى لغير الله وجوداً مع الله فضلاً عن نفسه ، ولا يكون له طبع يوافق أو يخالف في الإرادة ، أو نفساً قد تنفّست بالإرادة ، فهو

(١) كامل الزيارات : ٣٥٨ ، بحار الأنوار ٩٨ : ١٤٨ .

(٢) كامل الزيارات : ٤٤٠ .

قريب من عالم الفناء .

وهذه المرتبة فوق مرتبة التوكل التي هي فوق مرتبة الرضا لا تحصل إلا بالبصيرة النافذة ، والوصول إلى أعلى مراتب اليقين ، تلك المرتبة التي أخبر عنها أمير المؤمنين عليه السلام : « لو كُشِفَ الغطاء ما ازددت يقيناً » .

أمّا العناوين الثلاثة وهي : « التصديق ، والوفاء ، والنصيحة » فلا شك أنّ الإمام يريد أن أبا الفضل في أرقى مراتبها ، لانبعائها عن التسليم ، وهو حقّ اليقين ، فإنّه المناسب لتصديقه بأخيه الحجّة ، وبنهضته في ذلك الموقف الحرج ، وهكذا وفاؤه ونصيحته ، فإنّ وفاء شخص لآخر كما يمكن أن يكون لأجل الأخوة والرحم والصحبة ويمكن أن يكون لأجل المعرفة التامة ، بما أوجب الله له من الحرمة والحقّ على الأمة .

وحيث إنّ الإمام أثبت لأبي الفضل أرقى مرتبة السالكين ، وهي التسليم اللازم لحقّ اليقين ، فلا بدّ أن يكون ما صدر منه من التصديق بنهضة أخيه والوفاء لحقه والمناصحة في العمل ، منبعثاً عن حقّ اليقين بذلك الأمر الواجب ، لا لأجل أنّ الحسين أخوه أو رحمه أو ابن رسول الله ، فإنّ هذه المرتبة وإن مُدح عليها الشخص إلا أنّ المرتبة الأولى أرقى وأرفع ، ولا ينالها إلا ذوو النفوس القدسيّة ممّن وجبت لهم العصمة .

ويؤيد ذلك تعقيب العناوين الثلاثة بقوله عليه السلام : « لخلف النبي المرسل » ، فإنّه لو لم يرد هذا لقال في الخطاب : (لأخيك) أو (للحسين) أو (لابن أمير المؤمنين) ، فالتعبير بخلف النبي لا يُراد منه إلا أنّ الدافع لأبي الفضل على التسليم والتصديق والوفاء

والنصيحة بالمفادات إلا كون الحسين إماماً مفروض الطاعة ، وهذا مغزى لا يبعث إليه إلا البصيرة المميّزة لشرف الغايات المتحرّية لكرائمها .

ثم إن من تخصيص الإمام الخطاب له دون غيره من الشهداء بقوله : « لعن الله من جهل حقك واستخف بحرماتك » نعرف أن غيره من الشهداء لم يدرك هذا المدى ، وإن كان لكلّ منهم حقاً وحرمة ، إلا أن شبل أمير المؤمنين كانت معارفه أوسع ، وإيمانه أثبت ، فكان له حق في الدين ، وحق على الأمة لا ينكر ، فاستحقّ بكُلّ منهما اللعن على جاهله والمستخف به ، فالشهداء وإن أخلصوا في التضحية والمفادات ، وكان منبعثاً عن طهارة الضمائر والمعرفة بحق الإمام ، فلهم حقوق وحرّمات ، لكن لحق العباس منعة بين هاتيك الحقوق ، ولحرّمته بذخ بين تلك الحرّمات ، بعد ما ثبت منهما لأخيه الإمام المظلوم ، لنفوذ بصيرته ، وصلابة إيمانه بنص الصادق .

ثم قال الصادق عليه السلام في الزيارة المتلوة داخل الحرم : « أشهد وأشهد الله أنك مضيت على ما مضى به البدريون »^(١) .

لقد جرى التشبيه بالبدرين مجرى التقريب إلى الأذهان ، في الإشادة بموقف أبي الفضل من البصيرة ، فإن أهل بدر أظهر أفراد أهل البصائر ؛ لأنهم قابلوا طواغيت قريش على حين ضعف في المسلمين ، وقلة في العدة والعتاد ، فلم يملكوا إلا فرسين أحدهما : لمرثد بن أبي مرثد الغنوي ، والآخر : للمقداد بن الأسود الكندي ،

(١) المزار للشيخ المفيد : ١٢٢ ، المزار للمشهدي : ١٦٦ ، بحار الأنوار ٩٧ :

وكانوا يتعاقبون على سبعين بعير ، الاثنان والثلاثة ^(١) .

لكنهم خاضوا غمرات الموت تحت راية النبوة ، بقوة الإيمان ،
وعتاد البصيرة ، إلا من استولى الرين على قلبه ، فردّوا سيوف قريش
مفلولة ، ورماحهم محطّمة ، وجموعهم بين قتلى وأسرى ومشرّدين ،
فحظوا بأول فتح إسلامي ، قويت به دعائمه وشيّدت معالمه من
الإمداد ﴿بِخَمْسَةِ آلَافٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ﴾ ^(٢) .

وأعظم من ذلك مشهد الطفّ الذي التطمت فيه أمواج
الموت ، وكشفت الحرب عن ساقها ، وكشفت عن نابها .

وَلَاخْطَارَ وَجْهٍ مُّكْفَرٍ يُشِيبُ لِهَوْلِهِ الْمُرْدِي الْغَلَامَ

تَرَى الْأَبْطَالَ مِنْ فَرَقٍ سُكَارَى يُدَارُّ مِنَ الرَّدَى فِيهِمْ مُدَامَ

فقابلهم عصبة الحقّ من غير مدد يأملونه ، أو نصرة يرقبونها ،
والعطش معتلج بصدورهم ، ونشيج الفواطم من ورائهم ، فتلقّوا جبال
الحديد بكُلّ صدر رحيب ، وجنان طامن ، فلم تسل تلك النفوس
الطاهرة إلا على قتل أميّة المنقوض ، ولا أريق دماؤهم الزاكية إلا
على حبلهم المنتكث ، فلم تبرح آل حرب إلا كلعقة الكلب أنفه ،
حتّى اكتسحت معرتهم من أديم الأرض ، وتفرّقوا أيدي سبا ، فيوم
الطفّ فتح إسلامي بعد الجاهلية المستردة من جراء أعمال
الأمويين ^(٣) .

(١) الطبقات الكبرى لابن سعد ٢ : ١٢ ، تاريخ الطبري ٢ : ١٧٢ ، سبل الهدى
والرشاد للصالحى الشامى ٤ : ٢٤ ، تفسير البغوي ١ : ٢٨٣ .

(٢) آل عمران : ١٢٥ ، قال تعالى : ﴿بَلَى إِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ
هَذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ آلَافٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ﴾ .

(٣) لقد أجاد العلامة السيّد باقر نجل آية الله السيّد محمّد الهندي رحمه الله إذ يقول :

وإليه أشار الإمام الشهيد في كتابه إلى بني هاشم لما حلّ أرض كربلاء : « من لحق بي منكم استشهد ، ومن تخلف عني لم يبلغ الفتح »^(١).

فإنه ﷺ لم يرد بالفتح إلا ما ترتب على نهضته المقدسة وتضحيته الكريمة ، من نقض دعائم الإلحاد ، وكسح أشواك الباطل عن صراط الشريعة المطهرة ، وإحياء دين جدّه الصادع به ، الذي لاقى المتاعب في تأييده وتشييده .

وأنت أيّها البصير إذا استشففت الحادثة من وراء نظارة في التنقيب تجد سيّدنا أبا الفضل سيّد القوم بعد أخيه السبط ، وهو المسدد لهم في النضال .

كما أنّ الباحث إذا أعطى النظر حقّه يجد ضحايا (الطفّ) أشدّ انقطاعاً عن المدد من مجاهدي يوم بدر ، وأبلغ بأساً ، وأقلّ عدداً ، مع اكتناف الكوارث بهم ، واعواز الملجأ أكثر ممّا احتفّ بأهل بدر .

مع أنّ المناوئين لشهداء (الطفّ) أوفر عدداً ، وأقوى عتاداً ، وأوثق مدداً . وإنّ لهم دولة مؤسسة ، تنصّدت جحافلها ، وخفقت بنودها ، وتواصلت قواتها بخلاف الحالة يوم بدر .

فلقد كان المحاربون للمسلمين شتات ، من طواغيت العرب ،

=

لو لم تكن جمعت كلّ العلا فينا
يوم نهضنا كأمثال الأسود به
جأؤوا بسبعين ألفاً سلّ بقيتهم
لكان ما كان يوم الطفّ يكفيننا
وأقبلت كالدّبا زحفاً أعاديننا
هل قابلونا وقد جئنا بسبعينا
(١) بصائر الدرجات للصفار : ٥٠٢ ، دلائل الإمامة للطبري الشيعي : ١٨٨ ،
الخرائج والجرائح للراوندي ٢ : ٧٧١ ، مثير الأحزان لابن نما : ٢٧ .

حداهم إلى الحرب بواعث الحقد والنخوة ، ومن المحتمل القريب انحلال جامعتهم إذا ضربت الحرب عليهم بجرانها لأنهم كانوا يفقدون أيّ مدد من القبائل ، ولم يخرجوا متأهبين للاستمداد ، حيث ظنّوا خوراً في المسلمين ، وحسبوا استئصال شأفتهم وأنّهم كشرية ماء (ولكن لا مبدل لحكم الله تعالى) .

فالموقف يوم الطّف أخرج ، والكرب أكثر ، والمقاسات أصعب ، وبقدر المشقّة تجري الأجور ، وتقسم الفضائل ، فشهداء كربلاء أولى بالفضيلة .

وَضَرَبَ الإمام عليه السلام المثل لهم بأهل بدر إذ يقول : «إِنَّكَ مَضِيتَ عَلَى مَا مَضَى بِهِ الْبَدْرِيُّونَ» لا يوجب فضيلة أهل بدر عليهم ، كما هي قاعدة التشبيه ، وإنّما ذلك من باب التقريب إلى الأفهام ، كما في قوله تعالى : «مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ ...»^(١) .

وَأَيْنَ مِنَ النُّورِ الإلهي المشكاة ومصباحها ، ولكن لما لم تدرك الأبصار ذلك النور الأقدس ، وإنّما تُدركه البصائر ، ضرب الله تعالى المثل بما يدركونه ؛ تقريباً للأذهان ، وهكذا الحال فيما نحن فيه .

وإلى هذه الدقيقة وقع الإيعاز منه عليه السلام فيما بعد هذه الفقرة من الزيارة بقوله عليه السلام : «فجزاك الله أفضل الجزاء ، وأكثر الجزاء ، وأوفر الجزاء ، وأوفى جزاء أحد ممّن وفى ببيعته ، واستجاب له دعوته ، وأطاع ولاة أمره»^(٢) .

فلو كان في المجاهدين من هو أوفر فضلاً من أبي الفضل

(١) النور : ٣٥ .

(٢) كامل الزيارات : ٤٤١ ، تهذيب الأحكام للشيخ الطوسي ٦ : ٦٦ ، المزار للمفيد : ١٢٢ ، المزار للمشهدي : ١٧٨ .

العبّاس لكان هذا الدعاء ، أو الإخبار عن أمره شططاً من القول ، خارجاً عن ميزان العدل ، تعالى عنه كلام المعصوم ، فلماذا لم يكن غيره من المجاهدين مطلقاً أوفر فضلاً ، ولا أكثر جزاءً ، ولا أوفى بيعة إلا من أخرجه الدليل من الأئمة المعصومين .

ثم إنّ هناك مرتبة أخرى ثبتت لأبي الفضل ، خصّه بها الإمام الصادق عليه السلام بقوله : « أشهد أنّك قد بالغت في النصيحة ، وأعطيت غاية المجهود ، فبعثك الله في الشهداء ، وجعل روحك مع أرواح السعداء ، وأعطاك من جنانه أفسحها منزلاً ، وأفضلها غرماً »^(١) .

فإنّ المبالغة في أمثال المقام عبارة عن بلوغ الأمر إلى حدوده اللازمة ، وكم له من نظير في استعمالات العرب ومحاوراتهم . ولا شك أنّ كلّ واحد من شهداء الطّف قد بالغ في النصيحة ، ولم يأل جهداً في أداء ما وجب عليه ، ولكلّ منهم في ذلك المشهد الدامي شواهد من أقواله وأعماله .

ومن المسلّم أنّ المعروف بقدر المعرفة كما وكيفاً ، فصاحب السنام الأرفع في العرفان المتربّع على أعلى منصّة من الإيمان لا بدّ وأن يقاسي أشدّ ضروب الجهاد ، ويتظاهر بأجمل مظاهرها ، من الدؤوب على الحرب والضرب ، وإن طال المدى ، وبعد الأمد ، إن كان الجهاد نضالاً ، كما لا بدّ له من المثابرة على مكافحة النفس الأمارة ، وكسر شوكتها ، وردّ صولتها ، وكبح جماحها ، وترويض النفس بالطاعة ، وإلزامها بلوازمها الشاقة طيلة حياته ، إن كان الجهاد نفسياً .

(١) كامل الزيارات : ٤٤١ ، تهذيب الأحكام للشيخ الطوسي ٦ : ٦٦ ، المزار للمفيد : ١٢٢ ، المزار للمشهدي : ١٧٨ .

وفي هذين الحالتين لا بدّ وأن يكتنف العمل المقارنات المطلوبة ، مثل : نيّة القربّة ، والإخلاص فيها ، المنبعث عن حبّ المولى سبحانه ، الهادي إلى معرفة تؤهله إلى الطاعة ، وعن معرفة نعم الباري عزّ وجلّ الواجب شكرها ، وعن الهيبة الناشئة عن لحاظ عظمتة ، إلى أمثال هذه من الملحوظات .

وقصاريّ القول : كما أنّ مراتب الإيمان والمعرفة متفاوتة مقولة بالتشكيك ، كذلك مراتب العمل متفاوتة حسب تفاوت تلك المراتب ، فصاحب عمل كلّ مرتبة محدود بحدودها .

وحيث إنّ فلا شك أنّ كلّ واحد من شهداء الطّف ، وإن بلغ الغاية في الجهاد ، وأدّى حقّ النصيحة ، لكن (شهيد العلقمي) لمّا كانت بصيرته أنفذ ، وعلمه أوفر ، وإيمانه أثبت ، كان مداه أبعد ، وغايته أسمى ، وحدوده أوسع ، ولذلك خاطبه الصادق عليه السلام بهذا الخطاب ، وخصّه بالمبالغة في التضحية ، فكان هذا كفضيلة مخصوصة به ؛ لأنّ هاتيك المراتب الراقية لم توجد في غيره .

ولعلّ من ناحية هذه المراتب الثلاث ثبت له عليه السلام حقّ في الدين ، وحقّ على الأمة ، وحرمة لا تنكر ، فاستحقّق أن يخاطبه الإمام في سلام الإذن بقوله : «لعن الله من جهل حقك واستخفّ بحرمتك»^(١) . وهناك درجة أربى وأربع أشار إليها الصادق بقوله : «ورفع ذكرك في عليين»^(٢) .

فإنّ «حامى الشريعة» لم يبرح مواصلاً في الخدمات ، حتّى أقبل إلى الله تعالى متلفعاً بدم الشهادة ، شهادة صكّ نبؤها مسامع

(١) المزار للشهيد الأوّل : ١٦٥ .

(٢) كامل الزيارات : ٤٤١ ، المزار للشهيد الأوّل : ١٣٣ .

الملكوت ، حتّى أشرب له هنالك من أنبياء ، ومرسلين ، وحجج معصومين ، وملائكة مقرّبين ، وهور ، وولدان ، وأرواح مقدّسة ، ومقدّسات زاكيات طيّبات ، فلم يلق ﷺ في صعوده إليهم إلّا ثغوراً باسمه ، ووجوهاً مستبشرة ، وايداناً له بالبشرى الخالدة ، ونعيم الأبد ، فطفق يرف بين ذلك الجيل القدسي ، الزاهر بنور العصمة ، ورونق العلم ، وهيبة العظمة ، وسمات الجلالة ، وشارات النزاهة ، وبهجة العطف الإلهي ، وبهاء النظر إلى الجلال السرمدي ، والاتصال بالرضوان الأكبر ، وعليه أبهة الولاء ، وجلالة الطاعة ، وبلج التضحية ، وزلفى المفادات ، وزهو العلم والعمل ، ولذكره في ذلك المنتدى الرهيب رفعة ومنعة ، وإليه يشير الإمام الصادق ﷺ في لفظ الزيارة : «ورفع ذكرك في عليين» .

فإنّ الغرض من هذا التعبير ليس إلّا ما شرحناه ، لا مجرد صعود ذكره الطيّب إلى ذلك الملاء الأرفع ، شأن كلّ صالح في عالم الوجود ، لكن الشأن كلّهُ إن يكون لذكر ما لمجيد هنالك بذخ ، واكبار فيرمقه كلّ طرف بنظر الاجلال ، ويسمع الهتاف به بإذن التقدير ، وتنعقد الضمائر على تقديسه ، ولو أراد الإمام مجرد ذكره إلى ذلك العالم القدسي لقال في الخطاب : «ورفع ذكرك إلى عليين» ، ولكن حيث إنّه أراد رفع الذكر بين أفراد أولئك الذين اختصّ محلّهم فيه جاء بفاء الظرفية فقال : «في عليين» .

وأما قوله ﷺ في الزيارة التي رواها المجلسي في مزار البحار ص ١٦٥ عن مزار الشيخ المفيد وابن المشهدي : «لعن الله أمة استحلّت منك المحارم ، وانتهكت فيك حرمة الإسلام»^(١) ؛ فيرشدنا

(١) بحار الأنوار ٩٨ : ٢١٩ ، المزار للمفيد : ١٢٤ ، المزار للمشهدي : ٣٩١ .

إلى مكانة سامية لأبي الفضل ، تصعد به إلى فوق مرتبة العصمة ، فإننا لم نجد مثل هذا الخطاب في أي واحد من الشهداء ، مع بلوغهم أعلى مرتبة الفضل التي لم يحزها أي شهيد غيرهم ، حتى استحقوا أن يخاطبهم الإمام في زيارة النصف من رجب بقوله : «السلام عليكم يا مهديون ، السلام عليكم يا طاهرون من الدنس»^(١) ، ويقول أيضاً : «طبتم وطابت الأرض التي فيها دفنتم»^(٢) .

بل لم يخاطب بمثل ذلك علياً الأكبر الذي لا شك في عصمته ، ومنه يظهر أنّ للعبّاس منزلة ومقاماً يشارف مقام الحجج المعصومين عليه السلام ، تناط به حرمة الإسلام ، كما تناط بهم صلوات الله عليهم ، وإنّها تنتهك بمثله كما تنتهك بمثلهم عليه السلام ، وهذا مقام فوق العصمة المرجوة له .

(١) بحار الأنوار ٩٨ : ٣٣٠ ، والوارد في الزيارة : «... السلام عليكم يا طاهرون ، السلام عليكم يا مهديون...» ، نعم ورد في زيارات أخرى قوله عليه السلام : «وطهركم من الدنس» كامل الزيارات : ٥٢٧ .
(٢) المزار للشهيد الأول : ١٢٩ ، المزار للمشهدي : ٤٦٥ .

العبّاس في نظر الأئمة عليهم السلام

إنني لا أحسب القارئ في حاجة إلى الإفاضة في هذه الغاية ، بعد ما أوقفناه على مكانة أبي الفضل عليه السلام ، من العلم والتقوى والملكات الفاضلة ، من إباء وشمم وتضحية في سبيل الهدى ، وتهالك في العبادة ، فإنّ أئمة الهدى من أهل البيت عليهم السلام يُقدّرون لمن هو دونه في تلكم الأحوال فضله ، فكيف به وهو من لحمتهم ، وفرع أرومتهم ، وغصن باسق في دوحتهن؟! وقد أثبت له الإمام السجاد عليه السلام منزلة كبرى لم ينلها غيره من الشهداء ساوى بها عمّه الطيار ، فقال عليه السلام : «رحم الله عمّي العبّاس بن علي ، فلقد آثر وأبلى ، وفدى أخاه بنفسه حتّى قطعت يداه ، فأبدله الله عزّ وجلّ جناحين يطير بهما مع الملائكة في الجنّة ، كما جعل لجعفر بن أبي طالب ، إنّ للعبّاس عند الله تبارك وتعالى منزلة يغبطه عليها جميع الشهداء يوم القيامة»^(١) .

ولفظ «الجميع» يشمل مثل حمزة وجعفر الشاهدين للأنبياء بالتبليغ وأداء الرسالة ، وقد نفى البعد عنه العلامة المحقّق المتبحر في الكبريت الأحمر ص ٤٧ ج ٣ .

ولعلّ ما جاء في زيارة الشهداء يشهد له : «السلام عليكم أيّها الرّبّانيون ، أنتم لنا فرط وسلف ونحن لكم أتباع وأنصار ، أنتم سادة

(١) الأُمالي للشيخ الصدوق : ٥٤٨ ، الخصال : ٦٨ .

الشهداء في الدنيا والآخرة»^(١) .

وكذلك قوله عليه السلام فيهم : إنهم لم يسبقهم سابق ، ولا يلحقهم لاحق .

فقد أثبت لهم السيادة على جميع الشهداء ، أنهم لم يسبقهم ولا يلحقهم أي أحد ، وأبو الفضل في جملتهم بهذا التفضيل ، وقد انفرد عنهم بما أثبت له الإمام السجاد عليه السلام من المنزلة التي لم تكن لأي شهيد .

ولهذه الغايات الثمينة ، والمراتب العليا كان أهل البيت عليه السلام يدخلونه في أعالي أمورهم ما لا يتدخل فيه إنسان عادي ، فمن ذلك مشاطرته الحسين عليه السلام في غسل الحسن عليه السلام^(٢) .

وأنت بعد ما علمت مرتبة الإمامة ، وموقف صاحبها من العظمة ، وأنه لا يلي أمره إلا إمام مثله ، فلا ندحة لك إلا الإيمان بأن من له أي تدخل في ذلك بالخدمة من جلب الماء وما يقتضيه الحال أعظم رجل في العالم بعد أئمة الدين ، فإن جثمان المعصوم عند سيره إلى المبدأ الأعلى - تقدست أسماؤه - لا يمكن أن يقرب أو ينظر إليه من تقاعس عن تلك المرتبة ، إذ هو مقام قاب قوسين أو أدنى ، ذلك الذي لم يطق الروح الأمين أن يصل إليه حتى تقهقر ، وغاب النبي الأقدس في سبحات الملكوت والجلال وحده إلى أن وقف الموقف الرهيب .

(١) كامل الزيارات : ٣٧٢ ، تهذيب الأحكام ٦ : ٦٥ ، المزار للمفيد : ١٢٠ ، المزار للمشهدي : ٣٨٨ .

(٢) ورد في ذخائر العقبى : ١٤١ ، الذرية الطاهرة للدولابي : ١٢٠ ، وكشف الغمة ٢ : ١٧١ ، وبحار الأنوار ٤٤ : ١٣٧ : « وولى غسله الحسين ومحمد والعباس أخوته .. » . ولم يرد في مصدر أن المشارك للحسين عليه السلام العباس فقط .

وهكذا خلفاء النبي ﷺ المشاركون له في المآثر كلّها ما خلا النبوة والأزواج^(١)، ومنه حال انقطاعهم عن عالم الوجود بانتهاء أمد الفيض المقدّس .

وممّا يشهد له أنّ الفضل بن العبّاس بن عبد المطلب كان يحمل الماء عند تغسيل النبي ﷺ ، معاوناً لأمر المؤمنين ﷺ على غسله ، ولكنّه عصب عينيه خشية العمى إن وقع نظره على ذلك الجسد الطاهر .

ومثله ما جاء في الأثر عن الإشراف على ضريح رسول الله ، حذراً أن يرى الناظر شيئاً فيعمى^(٢) ، وقد اشتهر ذلك بين أهل المدينة ، فكان إذا سقط في الضريح شيء أنزلوا صبيّاً وشدّوا عينيه بعصابة فيخرجه .

وهذه أسرار لا تصل إليها أفكار البشر ، وليس لنا إلّا التسليم على الجملة ، ولا سبيل لنا إلى الإنكار بمجرد بُعدنا عن إدراك مثلها ، خصوصاً بعد استفاضة النقل في أنّ للنبي والأئمة بعد وفاتهم أحوالاً غريبة ، ليس لسائر الخلق معهم شركة ، كحرمة لحومهم على الأرض ، وصعود أجسادهم إلى السماء ، ورؤية بعضهم بعضاً ، وإحيائهم الأموات منهم بالأجساد الأصلية عند الاقتضاء ، إذ لا يمنع العقل منه مع دلالة النقل الكثير عليه ، واعتراف الأصحاب به^(٣) ،

(١) في الحديث عن الإمام الصادق عليه السلام : «كلّ ما كان للرسول ﷺ فلنا مثله ، إلّا النبوة والأزواج» المحتضر : ٤٧ .

(٢) فقه الإمام الرضا لابن بابويه : ١٨٨ ، مستدرك الوسائل ٢ : ١٩٧ ، المسترشد لابن جرير : ٣٣٦ ، بحار الأنوار ٢٢ : ٤٩٢ .

(٣) قال الشيخ المفيد في أوائل المقالات : ٧٢ : «والأئمة من عترته خاصّة لا

فصار التحصل أنّ الحواس الظاهرة العادية لا تتحمّل مثل تلك الأمثلة القدسية ، وهي في حال صعودها إلى سبحات القدس إلا نفوس المعصومين بعضها مع بعض دون غيرهم ، مهما بلغ من الخشوع والطاعة .

لكنّ (عباس المعرفة) الذي منحه الإمام في الزيارة أسمى صفة حظي بها الأنبياء والمقرّبون وهي : «العبد الصالح» تسنّى له التوصل إلى ذلك المحل الأقدس ، من دون أن يذكر له تعصيب عين أو إغضاء طرف ، فشارك السبط الشهيد ، والرسول الأعظم ، ووصيه المقدّم مع الروح الأمين ، وجملة الملائكة في غسل الإمام المجتبي الحسن السبط صلوات الله عليهم أجمعين^(١) .

= يخفى عليهم بعد الوفاة أحوال شيعتهم في دار الدنيا ، بإعلام الله تعالى لهم ذلك ، حالاً بعد حال ، ويسمعون كلام المناجي لهم في مشاهدتهم المكرمة . وقال العلامة المجلسي في بحار الأنوار ٢٧ : ٣٠١ بعد ما نقل كلام الشيخ المفيد المتقدّم : «وهذا مذهب فقهاء الإمامية كافة وحملة الآثار منهم . ولست أعرف فيه لمتكلمهم من قبل مقالاً...» .

وفي كنز الفوائد للكراچكي ١ : ٢٤٦ ، ومنهج الرشاد لمن أراد السداد : ٥٦٢ ، وبصائر الدرجات للصفار : ٤٤٥ : أنّ لحومهم محرّمة على الأرض ، وأنها ترتفع إلى السماء بعد ثلاثة أيام .

وحكي عن الشيخ الأعظم قدوة السالكين المولى فتح علي بن المولى حسن السلطان آبادي : أنّه لما زار أمير المؤمنين عليه السلام ورجع إلى مشهد الحسين أسف على عدم مذاكرته مع علماء النجف في مسألة بقاء جسد الإمام طرياً أو أنّه يبلى ، فرأى في المنام أنّه داخل إلى الروضة فرأى جسداً موضوعاً على الحصير والدم يجري من أعضائه ، فسأل عنه ؟ قيل : إنّ جسد الحسين ، أما علمت أنّ أجسادهم لا تبلى .

(١) روي الصفار في بصائر الدرجات : ٢٤٥ عن الباقر عليه السلام : أنّ أمير المؤمنين عليه السلام شاهد جبرائيل والملائكة يعينونه على غسل النبي وتكفينه وحفر

وهذه هي المنزلة الكبرى التي لا يحظى بها إلا ذوو النفوس القدسية ، من الحجج المعصومين ، ولا غرو إن غبط أبا الفضل الصديقون والشهداء الصالحون .

وإذا قرأنا قول الحسين للعبّاس ، لمّا زحف القوم على مخيمه ، عشية التاسع من المحرم : « اركب بنفسي أنت يا أخي » حتّى تلقاهم وتسألهم عمّا جاءهم ، فاستقبلهم العبّاس في عشرين فارساً ، فيهم حبيب وزهير ، وسألهم عن ذلك ؟ فقالوا : إنّ الأمير يأمر إمّا النزول على حكمه أو المنازلة ، فأخبر الحسين ، فأرجعه ليرجئهم إلى غد^(١) .

= القبر ونزولهم معه في القبر ، وكذا شاهدتهم مع النبي ﷺ الحسن والحسين يعينونهما على غسل أمير المؤمنين وتكفينه ، وشاهدتهم الحسين مع النبي وأمير المؤمنين يعينونه على غسل الحسن ، وشاهدتهم الباقر مع النبي وأمير المؤمنين والحسن والحسين يعينونه على غسل أبيه السجّاد .

(١) تاريخ الطبري ونصّ العبارة : « قال : وأقبل العبّاس بن علي يركض حتّى انتهى إليهم فقال : يا هؤلاء القوم إن أبا عبد الله يسألكم أن تنصرفوا هذه العشيّة حتّى ينظر في هذا الأمر ، فإنّ هذا أمرٌ لم يجر بينكم وبينه فيه منطلق ، فإذا أصبحنا التقينا إن شاء الله ، فاما رضىنا فأتينا بالامر الذي تسألونه وتسومونه ، أو كرهنا فرددناه .

وإنّما أراد بذلك أن يردّهم عنه تلك العشيّة حتّى يأمر بأمره ، ويوصي أهله ، فلمّا أتاهم العبّاس بن علي بذلك ، قال عمر بن سعد : ما ترى يا شمر ؟ قال : ما ترى أنت ، أنت الأمير والرأي رأيك ! قال : أردت ألا أكون ، ثمّ أقبل على الناس فقال : ماذا ترون ؟ فقال عمرو بن الحجاج بن سلمة الزبيدي : سبحان الله ، والله لو كانوا من الديلم ثمّ سألوكم هذه المنزلة لكان ينبغي لك أن تجيبهم إليها . . وكان العبّاس بن علي حين أتى حسيناً بما عرض عليه عمر بن سعد قال : ارجع إليهم فإن استطعت أن تؤخّرهم إلى غدوة وتدفعهم عند العشيّة ، لعلنا نصلي لربّنا الليلة وندعوه ونستغفره ، فهو يعلم أنّي قد كنت أحب الصلاة له وتلاوة كتابه ، وكثرة الدعاء والاستغفار .

فلأنك ترى الفكر يسف عن مدى هذه الكلمة ، وأننى له أن يحلق إلى ذروة الحقيقة من ذات مطهرة تفتدى بنفس الإمام ، علّة الكائنات ، وهو الصادر الأوّل ، والممكن الأشرف ، والفيض الأقدس للممكنات : « بكم فتح الله وبكم يختم »^(١) .

نعم ، عرفها البصير الناقد بعد أن جرّبها بمحكّ النزاهة ، فوجدها غير مشوبة بغير جنسها ، ثمّ أطلق تلك الكلمة الذهبية الثمينة (ولا يعرف الفضل إلّا أهله) .

ولا يذهب بك الظنّ - أيّها القارئ الفطن - إلى عدم الأهميّة في هذه الكلمة بعد القول في زيارة الشهداء من زيارة وارث : « بأبي أنتم وأمي ، طبتم وطابت الأرض التي فيها دفنتم » .

فإنّ الإمام في هذه الزيارة لم يكن هو المخاطب لهم ، وإنّما هو عليه السلام في مقام تعليم صفوان الجمّال عند زيارتهم أن يخاطبهم بذلك الخطاب ، فإنّ الرواية جاءت كما في مصباح المتهجّد للشيخ الطوسي أنّ صفوان قال : استأذنت الصادق عليه السلام لزيارة الحسين وسألته أن يعرفني ما أعمل عليه .

فقال له : « يا صفوان ، صمّ قبل خروجك ثلاثة أيام » إلى أن قال : « ثمّ إذا أتيت الحائر فقل : الله أكبر كبيراً » ، ثمّ ساق الزيارة إلى أن قال : « ثمّ اخرج من الباب الذي يلي رجلي علي بن الحسين وتوجّه إلى الشهداء وقل : السلام عليكم يا أولياء الله .. » إلى آخرها .

فالصادق عليه السلام في مقام تعليم صفوان أن يقول في السلام على

(١) الكافي ٤ : ٥٧٦ ، ح ٢ ، عيون أخبار الرضا ١ : ٣٠٨ ، تهذيب الأحكام للشيخ الطوسي ٦ : ٥٥ .

الشهداء ذلك ، وليس في الرواية ما يدلّ على أنّ الصادق ماذا يقول لو أراد السلام عليهم .

وهنا ظاهرة أخرى دلّت على منزلة كُبرى للعبّاس عند سيّد الشهداء ، ذلك أنّ الإمام الشهيد لمّا اجتمع بعمر بن سعد ليلاً وسط العسكرين ؛ لإرشاده إلى سبيل الحقّ ، وتعريفه طغيان ابن ميسون ، وتذكيره بقول الرسول في حقّه ؛ أمر عليه السلام من كان معه بالتنحّي إلّا العبّاس وابنه عليّاً ، وهكذا صنع ابن سعد ، فبقي معه ابنه وغلّامه . وأنت تعلم أنّ ميّزة أبي الفضل على الصحب الأكارم ، وسروات المجد من آل الرسول الذي شهد لهم الحسين باليقين والصدق في النية والوفاء^(١) ، غير أنّه عليه السلام أراد أن يوعز إلى الملأ من بعده ما لأبي الفضل وعلي الأكبر من الصفات التي لا تحدها العقول . ومن هذا الباب لمّا خطب يوم العاشر ، وعلا صراخ النساء وعويل الأطفال حتّى كان بمسامع الحسين ، وهو ماثل أمام العسكر ، أمر أخاه العبّاس أن يسكتهنّ ، حذار شماتة القوم إذا سمعوا ذلك العويل ، وغيره على نواميس حرم النبوة أن يسمع أصواتهنّ الأجانب .

ولو رمت تحليلاً لتأخّر شهادة العبّاس عن جميع الشهداء ، وهو حامل تلك النفس النزاعة إلى المفادات والتهلكة دون الدين ، فلا يمكنه حينئذٍ التأخر آنأ ما ، فكيف بطيلة تلك المدة ، وبمرأى منه مصارع آل الله ، ونشيج الفواطم ، وإقبال الشرّ من جميع نواحيه ، واضطهاد حجة الوقت ، بما يراه من المناظر الشبحية ؛ والواحدة من

(١) لعلّ جواب قول المصنّف : « وأنت تعلم . . . » وارد هنا وقد سقط من الطبعة السابقة ، وتقديره : « معلومة » ، أي أنّ منزلة أبي الفضل . . . معلومة .

ذلك لا تترك (لحامل اللواء) مساعاً عن أخذ التراث أنا ما .
 لكن أهميّة موقفه عند أخيه السبط هو الذي أرجأ تأخيرته عن
 الإقدام ، فإنّ سيّد الشهداء يعدّ بقاءه من ذخائر الإمامة ، وأنّ موته
 تفتّ في العضد فيقول له : «إذا مضيت تفرّق عسكري» ، حتّى إنّ في
 الساعة الأخيرة لم يأذن له إلّا بعد أخذ وردّ .

وإنّ حديث (الإيقاد) لسيّدنا المتتبّع الحجة السيّد محمّد علي
 الشاه عبد العظيم عليه السلام يوقفنا على مرتبة تضاهي مرتبة المعصومين ،
 ذلك لما حضر السجّاد عليه السلام لدفن الأجساد الطاهرة ترك مساعاً لبني
 أسد في نقل الجثث الزواكي إلى محلّها الأخير ، عدّى جسد
 الحسين وجثّة عمّه العباس ، فتولّى وحده إنزالهما إلى مقرّهما ، أو
 إصعادهما إلى حضيرة القدس وقال : «إنّ معي من يعينني» .

أما الإمام فالأمر فيه واضح ؛ لأنّه لا يلي أمره إلّا إمام مثله ،
 ولكن الأمر الذي لا نكاد نصل إلى حقيقته وكنهه ، فعله بعمّه
 الصديق الشهيد مثل ما فعل بأبيه الوصي ، وليس ذلك إلّا لأنّ ذلك
 الهيكل المطهّر لا يمسه إلّا ذوات طاهرة ، في ساعة هي أقرب
 حالاته إلى المولى سبحانه ، ولا يدنو منه من ليس من أهل ذلك
 المحلّ الأرفع .

ولم تزل هذه العظمة محفوظة له عند أهل البيت دنيّاً وآخرة ،
 حتّى إنّ الصديقة الزهراء سلام الله عليها لا تبتدأ بالشكاية بأيّ
 ظلامة من ظلمات آل محمّد - وهي لا تُحصى - إلّا بكفّي أبي الفضل
 المقطوعتين ، كما في الأسرار ص ٣٢٥ ، وجواهر الإيقان ص ١٩٤ ،
 وقد ادخرتهما من أهم أسباب الشفاعة يوم يقوم الناس لربّ
 العالمين .

العصمة

إنّ من الممكن جدّاً وليس بمحال . على الله تعالى ، أن ينشئ
كياناً لا تقترب منه العيوب ، أو يخلق إنساناً لا يقترب الذنوب ، ولقد
أوجد جلّ شأنه ذواتاً مقدّسة ، ونفوساً طاهرة ، وجبت فيهم العصمة
من الآثام ، وتنزّهوا عن كلّ رجس : ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ
الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً ﴾^(١) .

وقد اتفق أرباب الحديث والتراجم على حصر هؤلاء المنزّهين
بالخمسة أصحاب الكساء ، وهم : محمّد ، وعلي ، وفاطمة ،
والحسن ، والحسين عليهم السلام .

ثمّ أثبت أصحاب السيرة ما يضحك الثكلى ويلحق
بالخرافات ، فكان للغير مجال الطعن والمناقشة ، ذكروا أنّ
النبي صلّى الله عليه وآله لما بلغ من العمر سنتين ، وكان خلف البيوت عند بني سعد
مع أتراب له ، أتاه رجلان عليهما ثياب بيض ، مع أحدهما طست
من ذهب ، مملوء ثلجاً ، فشقّا بطنه وقلبه ، واستخرجوا منه علقه
سوداء هي مغمز الشيطان .

وطربوا لذلك حيث إنّ الله بلطفه وكرمه قدّس نبيّه الكريم من
هذه العلقه .

ولكن ما أدري لماذا صنع به هذه العملية الدامية وهو طفل صغير لا يقوى على تحمّل الآلام ومعانات الجروح الدامية؟! ألم يكن في وسع القدرة الإلهية إيجاد ذات مقدّسة طاهرة من الأرجاس حتّى عن هذه العلقّة المفسّرة بمغمز الشيطان؟ كيف لا وقد خلقه الله من نور قدسه ، وبرّاه من جلال عظّمته ، واصطفاه من بين رسله ، وفضّله على العالمين ، وفي الحديث عنه ﷺ : إنّ الله خلقني من صفوة نوره ، ودعاني فاطعته . وحينئذٍ فهل يتصور نقص في النور الأقدس؟! تعالى الله عن ذلك علوّاً كبيراً .

بَلْكَ نَفْسٌ عَزَّتْ عَلَى اللَّهِ قَدْرًا فارتضاها لنفسه واصطفاهَا

حَازَ مِنْ جَوْهَرِ التَّقْدِسِ ذَاتًا تاهت الأنبياء في معناها

لَا تَجَلُ فِي صِفَاتِ أَحْمَدَ فِكْرًا فهي الصُّورة التي لَن تَراها

وأغرب من ذلك جواب السبكي عن هذه المشكلة بأنّ الله أراد أن يخلق نبيّه - أولاً - كاملاً لا نقصان فيه عن سائر الناس حتّى في مثل هذه العلقّة ، لكونها من الأجزاء ، ثمّ بعد ذلك طهره منها .

والعجب عدّ هذه العلقّة من أجزاء بدن الإنسان التي يوجب

فقدّها نقصان الخلقة ، وقد تنزّه عنها جلال النبوّة!

على أنّه أثبت ولادة النّبي مختوناً ، وهذا أظهر في النقصان

عمّا وجد عليه البشر من العلقّة ، لكونها غير مرئية .

وجواب الحلبي في السيرة ج ١ ص ١١٥ بأنّه إنّما ولد مختوناً

لئلا يطلع عليه المحرم وتنكشف عورته ، لا يرفع إشكال النقصان

عمّا عليه الناس .

وكيف كان فقد ثبت إمكان أن يخلق الله تعالى ذواتاً مقدّسة ،

مُنزّهة عن الأرجاس ، معصومة عن الخطأ ، وقد يجب ذلك كما في

الهداة المعصومين ، لكي يهدي بهم الناس ^(١) .

وأما في غيرهم من الأطهار فلا يجب ، ولكنه غير ممتنع ، فمن الممكن أن يمنح الباري سبحانه أفذاذاً من البشر فيكونوا قدوة لمن هم دونهم ، وتكون بهم الأسوة في عمل الصالحات ، وإن كان في مرتبة نازلة عن منزلة الأنبياء المعصومين ، فإنهم وإن بلغوا بسبب التفكير والذكر المتواصل والتصفية والرياضة إلى حيث لا يبارحون طريق الطاعة ولا يسلكون إلى المعصية طريقاً ، لكنهم في حاجة إلى مَنْ يسلك بهم السبيل الواضح ، ويميّز لهم موارد الطاعة وموادها عن مساقط العصيان والتهلكة ، بخلاف الحجج المقيضين لإنقاذ البشر ، المعنيون بالعصمة هاهنا .

فمن كانت عصمته واجبة - كما في المعصومين - سُميت عصمته استكفائية ؛ لأنه لا يحتاج في سلوكه إلى الغير ، لكونه في غنى عن أي حجة ، لتوفر ما أفيض عليهم من العلم والبصائر ، ومن لم تكن فيه العصمة واجبة وكان محتاجاً إلى غيره في سلوكه وطاعته سُميت عصمته غير استكفائية ، على تفاوت في مراتبهم من حيث المعرفة والعلم واليقين .

وحيثُ ليس من البدع إذا قلنا : إنّ (قمر بني هاشم) كان

(١) السيرة الحلبية ١ : ٨٧ ، البداية والنهاية ٢ : ٣٢٥ ، امتاع الاسماع للمقريري ٤ : ٥٧ ، مجمع الزوائد للهيتمي ، وهو ليس تعليلاً من النبي ﷺ وإنما حديث مروي عنه ﷺ ورد فيه : «من كرامتي على ربي عزوجل أن ولدت مختوناً ، ولم يرَ أحد سواي» وقد اختلفوا في تصحيح هذا الخبر وتضعيفه ، ففي السيرة الحلبية في نفس المصدر قال : « . . جاءت أحاديث كثيرة في ذلك ، قال الحافظ ابن كثير : فمن الحفاظ من صححها ومنهم من ضعفها . . » .

متحلياً بهذه الحلية ، بعد أن يكون مصاعاً من نور القداسة الذي لا يمازجه أيّ شين ، وعلى هذا كان معتقد شيخ الطائفة وإمامها الحجة الشيخ محمد طه نجف رحمته ، فإنه قال بترجمة العباس من كتاب (إتقان المقال) ص ٧٥ : « هو أجل من أن يذكر في المقام ، بل المناسب أن يذكر عند ذكر أهل بيته المعصومين عليه وعليهم أفضل التحية والسلام » .

فتراه لم يقل عند ذكر رجالات أهل بيته الأعظم ، بل أثبت المعصومين منهم ، وليس هذا العدول إلا لأنه يرتأي أن يجعله في صفهم ، ويعده منهم .

وتابعه على ذلك العلامة ميرزا محمد علي الأوردبادي فقال من قصيدته المتقدمة :

أجل عباس الكتاب والهدى	والعلم والدين وأصحاب العبا
عن أن يطيش سهمه فينثني	والإثم قد أثقل منه منكبا
لم نشتري في ابن النبي عصمة	ولا نقول: إنه قد أذنبنا
ولا أقول غير ما قال به	(طه الإمام) في الرجال النجبا
فالفعل منه حجة كقوله	في الكل يروي عن ذويه النقبنا

وهذه النظرية في أبي الفضل لم ينكرها عالم من علماء الشيعة ، نعرفه بالثقافة العلمية ، والتقدم بالأفكار الناضجة ، وقد استضأنا من أرجوزة آية الله الحجة الشيخ محمد حسين الأصفهاني رحمته التي ستقرأها في فصل المديح حقائق راهنة ، وكرائم نفيسة ، سمت بأبي الفضل إلى أوج العظمة ، وأخذت به إلى حظائر القدس ، وصعدت به إلى أعلى مرتبة من العصمة .

ومما يزيدنا بصيرة في عصمته ما ذكرناه سابقاً في شرح قول الصادق : « لعن الله أمة استحلت منك المحارم وانتهكت في قتلك حرمة الإسلام » .

فإنَّ حُرمة الإسلام لا تنتهك بقتل أي مسلم مهما كان عظيماً ، ومهما كان أثره في الإسلام مشكوراً ، إلا أن يكون هو الإمام المعصوم ، فلو لم يبلغ العباس المراتب السماوية في العلم والعمل لمقام أهل البيت لما استحقَّ هذا الخطاب ، وهذا معنى العصمة . نعم ، هي غير واجبة ، ومما يستأنس منه العصمة له ما تقدّم من قول السجّاد عليه السلام : « وإنَّ لعَمِّي العباس منزلة يغطه عليها جميع الشهداء يوم القيامة »^(١) .

ويدخل في عموم لفظ الشهداء صريحة بيت الوحي « أبو الحسن علي الأكبر » الذي أفضنا القول في عصمته .

وإذا كان العباس غير معصوم كيف يغطه المعصوم علي ما أُعطي من رفعة ومقام عالي ؟ لأنَّ المعصوم لا يغط غيره ، فلا بدّ أن للعبّاس أعلى مرتبة من العصمة كما عرفت ، ومن هنا غبط منزلته التي أعدت له جميع الشهداء ، حتّى من كان معصوماً كعلي الأكبر وأمثاله ، غير الأئمة صلوات الله عليهم أجمعين .

(١) الأمالي للشيخ الصدوق : ٥٤٨ ، الخصال : ٦٨ ، بحار الأنوار ٢٢ : ٢٧٤ ، والنص : « وإنَّ للعبّاس عند الله تبارك وتعالى منزلة عظيمة ، يغطه بها جميع الشهداء يوم القيامة » .

الكرامات

من سنن الله الجارية في أوليائه : ﴿وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَخْوِيلًا﴾^(١) إكرامهم بإظهار ما لهم من الكرامة عليه والزلفى منه ، وذلك غير ما ادّخره لهم من المثوبات الجزيلة في الآجلة ، تقديرًا لعملهم ، وإصحارًا بحقيقة أمرهم ، ومبلغ نفوسهم من القوة ، وحثًا للملأ على اقتفاء آثارهم في الطاعة .

ومهما كان العبد يخفي الصالحات من أعماله فالمولى سبحانه يراغم ذلك الإخفاء بإشهار فضله ، كما يقتضيه لطفه الشامل ورحمته الواسعة وبرّه المتواصل ، وأنه جلّت آلاؤه يظهر الجميل من أفعال العباد ، ويزوي القبيح ، رأفة منه ، وحناناً عليهم .

ومن هذا الباب ما نجده على مشاهد المقرّبين وقباب المستشهدين في سبيل طاعته ، من آثار العظمة ، وآيات الجلالة ، من إنجاح المتوسّل بهم إليه تعالى شأنه ، وإجابة الدعوات تحت قبابهم المقدّسة ، وإزالة المثالات ببركاتهم ، وتتأكّد الحالة إذا كان المشهد لأحد رجالات البيت النبوي ؛ لأنه جلّت حكمته ذرأ العالمين

لأجلهم ، ولأن يعرفوا مكانتهم ، فيحتذوا أمثالهم في الأحكام والأخلاق ، فكان من المحتم في باب لطفه وكرمه - عظمت نعمه أن يصحر الناس بفضلهم الظاهر .

ومن سادات ذلك البيت الطاهر الذي أذن الله أن يرفع فيه اسمه أبو الفضل العباس ، فإنه في الطليعة من أولئك السادات ، وقد بذل في الله ما عزّ لديه وهان ، حتى اتصلت نوبة إلى نفسه الكريمة التي لفظها نصب عينه - عزّ ذكره - ، فأجرى سنته الجارية في الصديقين فيه بأجلى مظاهرها ، ولذلك تجد مشهده المقدس في آناء الليل وأطراف النهار مزدلف أرباب الحوائج : من عاف يستمنحه برّه ، إلى عليل يتطلّب عافيته ، إلى مضطهد يتحرّى كشف ما به من غمّ ، إلى خائف ينضوي إلى حمى أمنه ، إلى أنواع من أهل المقاصد المتنوعة ، فينكفأ ثلج الفؤاد بنجح طلبته قرير العين بكفاية أمره إلى متنجّز بإعطاء سؤله ، كلّ هذا ليس على الله بعزيز ولا من المقرّبين من عباده ببعيد .

ولكثرة كراماته وآيات مرّقه التي لا يأتي عليها الحصر ، نذكر بعضاً منها تيمناً ، ولئلا يخلو الكتاب منها ، وتعريفاً للقراء بما جاد به قطب السخاء على من لاذ به واستجار بتربته .

الأولى : ما يحدث به الشيخ الجليل العلامة المتبحر الشيخ عبد الرحيم التستري المتوفى سنة ١٣١٣ هـ ، من تلامذة الشيخ الأنصاري أعلى الله مقامه ، قال :

زرت الإمام الشهيد أبا عبد الله الحسين ، ثمّ قصدت أبا الفضل العباس ، وبيننا أنا في الحرم الأقدس إذ رأيت زائراً من الأعراب

ومعه غلام مشلول ، وربطه بالشباك ، وتوسّل به وتضرّع ، وإذا الغلام قد نهض وليس به علّة ، وهو يصيح : شافاني العباس ، فاجتمع الناس عليه ، وخرّقوا ثيابه للتبرّك بها .

فلما أبصرت هذا بعيني تقدّمت نحو الشباك وعاتبته عتاباً مقذعاً ، وقلت : يغتنم المعيدي الجاهل منك المُنَى وينكفأ مسروراً ، وأنا مع ما أحمله من العلم والمعرفة فيك ، والتأدّب في المثل أمامك ، أرجع خائباً لا تقضي حاجتي ؟! فلا أزورك بعد هذا أبداً ، ثمّ راجعتني نفسي ، وتنبّهت لجافيّ عتبي ، فاستغفرت ربي سبحانه ممّا أسأت مع (عباس اليقين والهداية) .

ولمّا عُدت إلى النجف الأشرف أتاني الشيخ المرتضى الأنصاري قدّس الله روحه الزاكية ، وأخرج صرّتين وقال : هذا ما طلبته من أبي الفضل العباس ، اشترى داراً ، وحجّ البيت الحرام ، ولأجلهما كان توسّلي بأبي الفضل^(١) .

وَمَا عَجِبْتُ مَنْ أَبِي الْفَضْلِ كَمَا	عَجِبْتُ مِنْ أَسْتَاذِنَا إِذْ عَلِمَا
لَأَنَّ شَيْبَلُ الْمُرْتَضَى لَمْ يَغْرَبْ	إِذَا أَتَى بِمُعْجِزٍ أَوْ مَعْجَبٍ
بِكُلِّ يَوْمٍ بَلْ بِكُلِّ سَاعَةٍ	لَمِنْ أَتَاهُ قَاصِدًا رِبَاعَهُ
وَهُوَ مِنَ الشَّيْخِ عَجِيبٌ بَيِّنٌ	لَكِنْ نُورَ اللَّهِ يَرْنُو الْمُؤْمِنُ ^(٢)

الثانية : ما في أسرار الشهادة ص ٣٢٥ قال : حدّثني السيّد

(١) طبعت هذه الكرامة مع صلاة الشيخ الأنصاري ، وذكرها في الكبريت الأحمر ج ٣ ص ٥٠ قال : وذكرها عنه جماعة من أكابر العلماء والثقات المتديّنين .

(٢) للعلامة الشيخ محمّد السماوي .

الأجل العلامة الخبير السيّد أحمد ابن الحجّة المتتبّع السيّد نصر الله المدرّس الحائري قال : بينا أنا في جمع من الخدّام في صحن أبي الفضل ، إذ رأينا رجلاً خارجاً من الحرم ، مسرعاً ، واضعاً يده على أصل خنصره والدم يسيل منها ، فأوقفناه نتعرّف خبره ، فأعلمنا بأنّ العباس قطعها ، فرجعنا إلى الحرم فإذا الخنصر معلق بالشباك ولم يقطر منه دم ، كأنّه قطع من ميت ، ومات الرجل من الغد ، وذلك لصدور إهانة منه في الحرم المقدّس .

الثالثة : ما حدّثني به العلامة البارع الشيخ حسن دخيل حفظه الله عمّا شاهده بنفسه في حرم أبي الفضل عليه السلام ، قال : زرت الحسين عليه السلام في غير أيّام الزيارة ، وذلك في أواخر أيّام الدولة العثمانية في العراق ، في فصل الصيف ، وبعد أن فرغت من زيارة الحسين عليه السلام توجّهت إلى زيارة العباس عليه السلام ، قرب الزوال ، فلم أجد في الصحن الشريف والحرم المطهر أحداً ، لحرارة الهواء ، غير رجل من الخدمة واقف عند الباب الأوّل ، يقدر عمره بالستين سنة ، كأنّه مراقب للحرم ، وبعد أن زرت صليت الظهر والعصر ، ثمّ جلست عند الرأس المقدّس ، مفكراً في الأبهة والعظمة التي نالها قمر بني هاشم عن تلك التضحية الشريفة .

وبينا أنا في هذا إذ رأيت امرأة محجّبة من القرن إلى القدم ، عليها آثار الجلالة ، وخلفها غلام يقدر بالستّة عشر سنة ، بزي أشرف الأكراد ، جميل الصورة ، فطافت بالقبر والولد تابع .

ثمّ دخل بعدهما رجل طويل القامة ، أبيض اللون مشرباً بحمرة ، ذو لحية ، شعره أشقر ، يخالطه شعرات بيض ، جميل

البزة ، كردي اللباس والزي ، فلم يأت بما تصنعه الشيعة من الزيارة أو السنة من الفاتحة ، فاستدبر القبر المطهر ، وأخذ ينظر إلى السيوف والخناجر والدرق المعلقة في الحضرة ، غير مكترث بعظمة صاحب الحرم المنيع ، فتعجبت منه أشد العجب ، ولم أعرف الملة التي ينتحلها ، غير أنني اعتقدت أنه من متعلقي المرأة والولد .

وظهر لي من المرأة عند وصولها في الطواف إلى جهة الرأس الشريف التعجب مما عليه الرجل من الغواية ، ومن صبر أبي الفضل عليه ، فما رأيت إلا ذلك الرجل الطويل القامة قد ارتفع عن الأرض ، ولم أر من رفعه وضرب به الشباك المطهر ، وأخذ ينبح ويدور حول القبر وهو يقفز ، فلا هو بملتصق بالقبر ولا بمبتعد عنه ، كأنه متكهرب به ، وقد تشنّجت أصابع يديه ، وأحمر وجهه حمرة شديدة ، ثم صار أزرقاً ، وكانت عنده ساعة علقها برقبته بزنجيل فضة ، فكلما يقفز تضرب بالقبر حتى تكسرت ، وحيث إنه أخرج يده من عباءته لم تسقط إلى الأرض . نعم ، سقط الطرف الآخر إلى الأرض ، وبتلك القفزات تخرقت .

أمّا المرأة فحينما شاهدت هذه الكرامة من أبي الفضل عليه قبضت على الولد ، وأسندت ظهرها إلى الجدار ، وهي تتوسل به بهذه اللهجة : (أبو الفضل دخيلك أنا وولدي) .

فأدهشني هذا الحال ، وبقيت واقفاً لا أدري ما أصنع ، والرجل قويّ البدن ، وليس في الحرم أحد يقبض عليه ، فدار حول القبر مرتين ، وهو ينبح ويقفز ، فرأيت ذلك السيّد الخادم الذي كان واقفاً عند الباب الأوّل دخل الروضة الشريفة ، فشهد الحال ، فرجع

وسمعتة ينادي رجلاً اسمه جعفر من السادة الخدام في الروضة ، فجاءاً معاً ، فقال السيّد الكبير لجعفر : اقبض على الطرف الآخر من الحزام ، وكان طول الحزام يبلغ ثلاثة أذرع ، فوقفا عند القبر حتّى إذا وصل إليهم وضعوا الحزام في عنقه وأداراه عليه ، فوقف طبعاً لكنّه ينبج ، فأخرجاه من حرم العبّاس وقالوا للمرأة : اتبعينا إلى (مشهد الحسين) ، فخرجوا جميعاً وأنا معهم ، ولم يكن أحد في الصحن الشريف ، فلمّا صرنا في السوق بين (الحرمين) تبعنا الواحد والإثنان من الناس ؛ لأنّ الرجل كان على حالته من النجح والاضطراب ، مكشوف الرأس ، ثمّ تكاثر الناس .

فأدخلوه (المشهد الحسيني) وربطوه بشباك (علي الأكبر) ، فهدأت حالته ونام ، وقد عرق عرقاً شديداً ، فما مضى إلّا ربع ساعة فإذا به قد انتبه مرعوباً ، وهو يقول : أشهد أن لا إله إلّا الله وأشهد أنّ محمّداً عبده ورسوله ، وأنّ أمير المؤمنين علي بن أبي طالب خليفة رسول الله بلا فصل ، وأنّ الخليفة من بعده ولده الحسن ، ثمّ أخوه الحسين ، ثمّ علي بن الحسين ، وعدّ الأئمة إلى الحجّة المهدي عجل الله فرجه .

فُسئل عن ذلك قال : إنّي رأيت رسول الله الآن وهو يقول لي : اعترف بهؤلاء وعدّهم علي ، وإن لم تفعل يهلكك العبّاس . فأنا أشهد بهم وأتبرأ من غيرهم .

ثمّ سئل عمّا شاهده هناك فقال : بينا أنا في حرم العبّاس إذ رأيت رجلاً طويلاً القامة قبض عليّ وقال لي : يا كلب إلى الآن بعدك على الضلال ، ثمّ ضرب بي القبر ، ولم يزل يضربني بالعصا في قفائي

وأنا أفرّ منه .

ثُمَّ سألت المرأة عن قصّة الرجل فقالت : إنّها شيعية من أهل بغداد ، والرجل سنّي من أهل السليمانية ساكن في بغداد ، متديّن بمذهبه ، لا يعمل الفسوق والمعاصي ، يحب الخصال الحميدة ، ويتنزّه عن الذميمة ، وهو بندرجي تنن ، وللمرأة أخوان حرفتهما بيع التنن ، ومعاملتها مع الرجل ، فبلغ دينه عليهما مائتا (ليرة عثمانية) ، فاستقرّ رأيهما على بيع الدار منه والمهاجرة من بغداد ، فأحضراه في دارهما (ظهراً) ، واطلعاها على رأيهما ، وعرفاه أنّه لم يكن دين عليهما لغيره ، فعندها أبدى من الشهامة شيئاً عجيباً ، فأخرج الأوراق وخرّقها ، ثُمَّ أحرّقها وطمئنهما على الإعانة مهما يحتاجان .

فطارا فرحاً ، وأرادا مجازاته في الحال ، فذاكرا المرأة على التزويج منه ، فوجدا منه الرغبة فيه ، لوقوفها على هذا الفضل مع ما فيه من التمسك بالدين واجتناب الدنيا ، وقد طلب منهما مراراً اختيار المرأة الصالحة له ، فلمّا ذكرا له ذلك زاد سروره ، وانشرح صدره بحصول أمنيته ، فعقدا له من المرأة وتزوّج منها .

ولمّا حصلت عنده طلبت منه زيارة الكاظميين إذ لم تزرهما مدّة كونها بلا زوج ، فلم يجبها ، مدعياً أنّه من الخرافات ، ولمّا ظهر عليها الحمل سألته أن ينذر الزيارة إن رُزق ولداً ، ففعل ، ولمّا جاءت بالولد طالبت بالزيارة فقال : لا أفٍ بالنذر حتّى يبلغ الولد ، فأيست المرأة ، ولمّا بلغ الولد السنّة الخامسة عشر طلب منها اختيار الزوجة ، فأبت ما دام لم يفٍ بالنذر ، فعندها وافقها على

الزيارة مكرهاً ، وطلبت من الجوادين الكرامة الباهرة ليعتقد بإمامتهما ، فلم ترَ منهما ما يسرّها ، بل أساءها سخريته واستهزاؤه .
ثمّ ذهب الرجل بالمرأة والولد إلى العسكريين ، وتوسّلت بهما ، وذكرت قصة الرجل ، فلم تشرق عليه أنوارهما ، وزادت السخرية منه .

ولمّا وصلا كربلاء قالت المرأة : نقدّم زيارة العباس عليه السلام ، وإذا لم تظهر منه الكرامة وهو أبو الفضل وباب الحوائج لا أزور أخاه الشهيد ، ولا أباه أمير المؤمنين ، وارجع إلى بغداد ، وقصّت على أبي الفضل قصّة الرجل ، وعرفته حال الرجل وسخريته بالأئمة الطاهرين ، وأنّها لا تزور أخاه ولا أباه إذا لم يتلطّف عليه بالهداية وينقذه من الغواية ، فانجح سؤلها ، وفاز الرجل بالسعادة .

الرابعة : ما في كتاب «إعلام الناس في فضائل العباس» تأليف الزاكي التقي السيّد سعيد بن الفاضل المهذب الخطيب السيّد إبراهيم^(١) البهبهاني قال :

(١) هو ابن السيّد محمّد ابن السيّد جعفر ابن سيّد محمّد ابن سيّد هاشم ابن سيّد محمّد ابن سيّد عبد الله بن سيّد محمّد الكبير بن سيّد عبد الله البلادي بن سيّد علوي ، عتيق الحسين ، بن سيّد حسين الغريفي بن سيّد حسن بن سيّد أحمد بن سيّد عبد الله بن سيّد عيسى بن سيّد خميس بن سيّد أحمد بن سيّد ناصر بن سيّد علي بن كمال الدّين بن سيّد سلمان بن سيّد جعفر بن أبي العشا موسى بن أبي الحمراء محمّد بن علي الطاهر بن علي الضخم بن أبسي علي محمّد الحسن بن محمّد الحائري بن إبراهيم المجاب بن محمّد العابد بن الإمام الكاظم عليه السلام ، ولهذه الكرامة كتب السيّد سعيد كتاباً في أحوال العباس يزيد على أربعمئة صفحة ، أجهد نفسه ، وسهر الليالي في جمعه وتبويبه ، جزاه الله خير الجزاء .

تزوَّجت في أوائل ذي القعدة سنة ١٣٥١ هـ، وبعد أن مضى أسبوع من أيام الزواج أصابني زكام صاحبه حمى، وباشرني أطباء النجف فلم انتفع بذلك، والمرض يتزايد، ومن جملة الأطباء الطبيب المركزي (محمد زكي أباطة).

وفي أول جماد الأول من سنة ١٣٥٣ هـ خرجت إلى «الكوفة» وبقيت إلى رجب، فلم تنقطع الحمى، وقد استولى الضعف على بدني حتى لم أقدر على القيام، ثم رجعت إلى النجف وبقيت إلى ذي القعدة من هذه السنة بلا مراجعة طبيب، لعجزهم عن العلاج.

وفي ذي الحجة من هذه السنة اجتمع الطبيب المركزي المذكور مع الدكتور محمد تقي جهان وطبيبين آخرين جاؤوا من بغداد وفحصوني، فاتفقوا على عدم نفع كل دواء، وحكموا بالموت إلى شهر.

وفي محرّم من سنة ١٣٥٤ هـ خرج والدي إلى قرية القاسم ابن الإمام الكاظم عليه السلام، للقراءة في المآتم التي تقام لسيد الشهداء، وكانت والدتي تمرّضني، ودأبها البكاء ليلاً ونهاراً.

وفي الليلة السابعة من هذه السنة رأيت في النوم رجلاً مهيباً وسيماً جميلاً، أشبه الناس بالسيد الطاهر الزكي (السيد مهدي الرشتي)، فسألني عن والدي، فأخبرته بخروجه إلى القاسم، فقال: إذن من يقرأ في عادتنا يوم الخميس، وكانت الليلة ليلة خميس، ثم قال: إذن أنت تقرأ.

ثم خرج وعاد إلى وقال: إن ولدي السيد سعيد^(١) مضى إلى

(١) ولد السيد مهدي الرشتي سنة ١٣٠٣ هـ، توفي في النجف يوم ١٤ رجب

كربلاء يعقد مجلساً لذكر مصيبة أبي الفضل العباس ، وفاءً لنذر عليه ، فأمضي إلى كربلاء واقراً مصيبة العباس ، وغاب عني .

فانتبهت من النوم ونظرت إلى والدتي عند رأسي تبكي ، ثم نمت ثانياً ، فأتاني السيّد المذكور وهو يقول : ألم أقل لك : إنّ ولدي سعيد ذهب إلى كربلاء وأنت تقرأ في مأتم أبي الفضل ، فأجبتة إلى ذلك ، فغاب عني ، فانتبهت .

وفي المرّة الثالثة نمت فعاد إلي السيّد المذكور وهو يقول بزجر وشدة : ألم أقل لك امضي إلى كربلاء ، فما هذا التأخير؟! فهبته في هذه المرّة وانتبهت مرعوباً .

وقصصت الرؤيا من أولها على والدتي ، ففرحت وتفاءلت بأنّ هذا السيّد هو أبو الفضل ، وعند الصباح عَزِمَت على الذهاب بي إلى حرم العباس ، ولكن كُِّل من سمع بهذا لم يوافقها ، لما يراه من الضعف البالغ حدّه ، وعدم الاستطاعة على الجلوس حتّى في السيارة ، وبقيت على هذا إلى اليوم الثاني عشر من المحرم ، فأصرت الوالدة على السفر إلى كربلاء بكلّ صورة ، فأشار بعض الأرحام على أن يضعوني في تابوت ، ففعلوا ذلك ، ووصلت ذلك اليوم إلى القبر المقدّس ، ونمت عند الضريح الطاهر .

= سنة ١٣٥٨ هـ ، ودفن في الحجرة الملاصقة لباب الصحن المعروفة بباب القزّازين ، وكان السيّد رحمه الله باذلاً لنفسه ونفيسه في خدمة أجداده الأئمة المعصومين ، وداره العامرة (حسينية) لأهل طرفه (البراق) ، يقيمون فيها مراسيم العزاء والفرح للأئمة عليهم السلام لا يعدلون بها بدلاً ، وفَقَهم الله لما يرضيه .
وأما ولده السيّد سعيد فكانت ولادته في سنة ١٣٢٢ هـ وتوفي في ١٥ ذي القعدة سنة ١٣٥٥ هـ ، ودفن في الحجرة مع أبيه ، وقام السيّد صالح أبيه في إقامة الأفراح والمآتم ، فنعم الخلف لذلك السيّد الطاهر .

وبينا أنا في حالة الإغماء في الليلة الثالثة عشر من المحرم ، إذ جاء ذلك السيّد المذكور وقال لي : لماذا تأخرت عن يوم السابع وقد بقي سعيد بانتظارك ، وحيث لم تحضر يوم السابع فهذا يوم دفن العباس وهو يوم ١٣ ، فقم واقرأ ، ثمّ غاب عني ، وعاد إليّ ثانياً وأمرني بالقراءة وغاب عني ، وعاد في الثالثة ووضع يده على كتفي الأيسر ؛ لأنني كنت مضطجعا على الأيمن ، وهو يقول : إلى متى النوم ؟ قم واذكر (مصيبتني) ، فقامت وأنا مدهوش مذعور من هيّبه وأنواره ، وسقطت لوجهي مغشياً عليّ ، وقد شاهد ذلك من كان حاضراً في الحرم الأطهر .

وانتبهت من غشوتي وأنا أتصبّب عرقاً ، والصحة ظاهرة عليّ ، وكان ذلك في الساعة الخامسة من الليلة الثالثة عشر من المحرم سنة ١٣٥٤ هـ .

فاجتمع عليّ من في الحرم الشريف ، وأقبل من في الصحن والسوق ، وازدحم الناس في الحضرة المنورة ، وكثر التكبير والتهليل ، وخرق الناس ثيابي ، وجاءت الشرطة فأخرجوني إلى البهو الذي هو أمام الحرم ، فبقيت هناك إلى الصباح .
وعند الفجر تطهّرت للصلاة ، وصليت في الحرم بتمام الصحة والعافية ، ثمّ قرأت مصيبة أبي الفضل عليه السلام ، وابتدأت بقصيدة السيّد راضي بن السيّد صالح القزويني وهي :

أبا الفضلِ يَا مَنْ أَسَسَ الْفَضْلَ وَالْإِبَا

أبا الفضلِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ لَهُ أبا

والأمر الأعجب أنّي لمّا خرجت من الحرم قصدت داراً لبعض

أرحامنا بكربلاء، وبعد أن قرأت مصيبة العباس خلوت بزوجتي ،
وببركات أبي الفضل حملت ولداً سمّيته «فاضل» ، وهو حي يرزق ،
كما رُزقت عبدالله وحسناً ومحمّداً وفاطمة كنيتهما أم البنين .

هَذِهِ مِنْ غُلَاهِ إِحْدَى الْمَعَالِي وَعَلَى هَذِهِ فَقِسْ مَا سِوَاهَا

وذكر أنّ السيّد الطاهر الزاكي السيّد مهدي الأعرجي ، وكان
خطيباً نائحاً له مدائح ومراثي لأهل البيت عليهم السلام كثيرة ، ورد النجف
يوم خروجي إلى كربلاء ، فبات مفكراً في الأمر ، وكيف يكون
الحال؟! وفي تلك الليلة الثالثة عشر رأيت في المنام كأنه في كربلاء ،
ودخل حرم العباس ، فرأيت الناس مجتمعين عليّ وأنا أقرأ مصيبة
العباس ، فارتجل في المنام :

لَقَدْ كُنْتُ بِالسِّلِّ الْمُبْرَحِ دَاوَهُ

فشافاني العباس من مرض السِّلِّ

ففضلت بين الناس قدراً وإنّما

لي الفضل إذ أنّي عتيقُ أبي الفضل

وانتبه السيّد من النوم يحفظ البيتين ، فقصد دارنا وعرفهم بما
رأه ، وفي ذلك اليوم وضح لهم الأمر .

وقد نظم هذه الكرامة جماعة من الأدباء الذين رأوا السيّد سعيد
في الحالين الصحة والمرض .

فمنهم السيّد الخطيب العالم السيّد صالح الحلّي رحمته الله .

بِأَبِي الْفَضْلِ اسْتَجَرْنَا فَحَبَانَا مِنْهُ مُنَحَ

وَطَلَبْنَا أَنْ يُدَاوِيَ أَلَمَ الْقَلْبِ وَجُرْحَهُ

فَكَسَا اللَّهَ سَعِيداً بَعْدَ سُقْمِ ثَوْبِ صِحِّهِ

بـدـل الرـحـمـن مـنـه قـرـحـة القـلـب بـفـرـحـه

وقال الخطيب الفاضل الأستاذ الشيخ محمد علي اليعقوبي :

بأبي الفضل زال عني سقامي مُذ كَسَانِي مِنَ الشِّفَاءِ بُرُوداً

وَحَبَانِي مِنَ السَّعَادَةِ حَتَّى صُرْتُ فِي النِّشَاطَيْنِ أَدْعَى سَعِيداً

وقال العلامة الشيخ علي الجشي أيده الله :

سعيدٌ سعدتَ وجزتَ الخطر من السُّلِّ في مثلٍ لمحِ البَصْرِ

غداةَ التَّجَاتِ لمَثَوِي بِهِ أبو الفضلِ حلَّ فردِ القَدْرِ

وقال السيّد حسون السيّد راضي القزويني البغدادي :

سعيدٌ لقد نالَ الشِّفَا من أبي الفضلِ

ولولاه كَانَ السَّقَمُ يَأْذُنُ بِالْقَتْلِ

ولا غرَوْ أن نالَ الشِّفَا مِنْهُ أَنَّهُ

أبو الفضلِ أَهْلٌ لِلْمَكَارِمِ وَالْفَضْلِ

وله أيضاً :

ذَا سَعِيدٍ بِالْبِرِّ أَضْحَى سَعِيداً وَحَبَاهُ إِلَهُ عُفْراً جَدِيداً

مَنْ أَبِي الْفَضْلِ بِالشِّفَا نَالَ فَضْلاً وَامْتَنَاناً وَنَالَ عَيْشاً رَغِيداً

وللأديب الكامل السيّد محمد بن العلامة السيّد رضا

الهندي رحمه الله .

لَمْ أَنْسَ فَضْلَكَ يَا أَبَا الْفَضْلِ الَّذِي

هِيَهَاتَ أَنْ يُحْصَى ثَنَاهُ مُفَضَّلاً

يَكْفِيكَ يَوْمَ الطَّفِّ مَوْقِفُكَ الَّذِي

قَدْ كَانَ أَلَمَ مَا يَكُونُ وَأَفْضَلاً

ولقد نصرت به النبي بسبطه

وغدوت في دنيا الشهادة أولا

وأنا الذي قد كان دائي مهلكاً

وأجزتني لما استجرت مؤملاً

ألبستني ثوب الشفاء وعدت

حيّاً فيك يا ساقى عطاشى كربلا

وللخطيب الذاكر الفاضل الشيخ عبد علي الشيخ حسين .

سعيد التجي من ضرّه وسقامه

بقبر أبي الفضل المقتدى فعافاه

لعمري ترى الأقدار طوعاً يمينه

كوالده الكرار يميناه

فأب وإبراهيم قرّت عيونه

ببرء سعيد الندب يشكر مولاه

سعيد سعيداً عش بظلّ لوائه

بأسعد يوم لا تزال وأهناه

بفضل أبي الفضل الفضيلة حزتها

ولولاه لم تنجو من الضرّ لولاه

وللشيخ جعفر الطريفي :

عجز الطبيب لعلّتي وقلّاني

وعجزت من سقمي وطول زمامي

هجر الصديق زيارتي وكأني

ما زرتّه في سقمه فجفاني

حتّى إذا قالوا فقلّوا خفية

هَجَرُوا الْأَوَانِي خِيفَةَ الْعَدْوَانِ

فَقَصَدْتُ بَاباً لِلْحَوَائِجِ وَالشِّفَا

الْعَبَّاسُ بَاباً لِلشِّفَا فَشَفَانِي

لَوْلَاهُ وَارَانِي التُّرَابُ بِحَفْرَتِي

نِعَمَ الطَّبِيبِ الْأَوْحَدِ الرَّبَّانِي

وللشيخ كاظم السوداني :

فَكَمْ لِأَبِي الْفَضْلِ الْأَبِيِّ كَرَامَات

لَهَا تَقَلَّبَتْ عِنْدَ الْبَرِيَّةِ آيَات

وَشَارَاتِهِ كَالشَّمْسِ فِي الْأَفْقِ شَوَّهَدَتْ

لَهَا مِنْ نَبَاتِ الْمَجْدِ أَوْمَتْ إِشَارَات

سَعِيدٌ سَعِيداً عَادَ مِنْهَا إِلَى الشِّفَا

بِهِ انْسَلَّ عَنْهُ السِّلُّ إِذْ كَمْ بِهِ مَاتُوا

أَبُو الْفَضْلِ كَمْ فَضْلٌ لَهُ وَمَنَاقِبُ

فَيَا جَاهِدِيهِ مِثْلَ بَرَهَانِهِ هَاتُوا

هُوَ الشَّيْبِلُ شَيْبِلٌ مِنْ عَلِيٍّ وَفِي الْوُغَى

لَهُ أَثَرٌ مِنْ بَأْسِهِ وَعَلَامَات

لَقَدْ شَعَّتِ الْأَكْوَانُ مِنْ بَدْرِ فَضْلِهِ

بَأَنْوَارِهِ أَرْخُ (وَفِيهَا مَضِيئَات)

وللخطيب الشيخ حسن سبتي :

ألا عش سعيداً يا سعيداً منعماً

مدى الدهر إذ عوفيت من فتكة السلّ

عتيق حسين كان جدك أولاً

لذا صرتَ ثانیه عتيق أبي الفضل

وللسيد نوري ابن السيد صالح ابن السيد عباس البغدادي :

بُشْرِى لأبراهيم في نجله من مرض السلّ غدا سالما

أبراه العباس من فضله وفضله بين الوري دائماً

الخامسة :

حدّثني الشيخ العالم الثقة الثبت الشيخ حسن ابن العلامة الشيخ محسن ابن العلامة الشيخ شريف آل الشيخ المقدّس ، صاحب الجواهر رحمته ، عن حاج منيشد ابن سلمان آل حاج عبودة ، من أهل الفلاحية ، وكان ثقة في النقل ، عارفاً بصيراً ، شاهد الكرامة بنفسه ، قال :

كان رجل من عشيرة البراجعة يسمّى (مخيلف) مصاباً بمرض في رجله ، وطال ذلك حتّى يبستا وصارتا في رفع الأصبع ، وبقي على هذا ثلاث سنين ، وشاهده الكثير من أهل المحمّرة ، وكان يحضر الأسواق ومجالس عزاء الحسين عليه السلام ، ويستعين بالناس ، وهو يزحف على إتيه ويديه ، وقد عجز عن المباشرة ويئس .

وكان للشيخ خزعل بن جابر الكعبي في المحمّرة (حسينية) يقيم فيها عزاء الحسين عليه السلام في العشرة الأولى من المحرم ، ويحضر هناك خلق كثير ، حتّى النساء يجلسن في الطابق الأعلى من الحسينية ، والعادة المطردة في تلك البلاد ونواحيها أنّ (الخطيب

(النائح) إذا وصل في قراءته إلى الشهادة قام أهل المجلس يلطمون بلهجات مختلفة ، وهكذا النساء في اليوم السابع من المحرم كان المتعارف أن تذكر مصيبة أبي الفضل العباس ، وهذا الرجل أعني (مخيلف) يأتي الحسينية (ويجلس تحت المنبر لأنّ رجليه ممدودتان) ^(١) ، وحينما وصل الخطيب إلى ذكر المصيبة أخذت الحالة المعتادة من في المجلس رجالاً ونساءً ، وبيناهم على هذا الحال إذ يرون ذلك المصاب بالزمانه في رجليه (مخيلف) واقفاً معهم يلطم ، ولهجته : «أنا مخيلف قيمني العباس» .

وبعد أن تبين الناس هذه الفضيلة من أبي الفضل تهافتوا عليه وخرقوا ثيابه للتبرّك بها ، وازدحموا عليه يقبلون رأسه ويديه ، فأمر الشيخ خزعل غلمانه أن يرفعوه إلى إحدى الغرف ويمنعوا الناس عنه ، وصار ذلك اليوم في المحمّرة أعظم من اليوم العاشر من المحرم ، وصار البكاء والعويل والصراخ من الرجال ، وأمّا النساء فمنهنّ من تهلهل ، وأخرى تصرخ ، وغيرها تلطم .

وذكر لي ملا عبد الكريم الخطيب من أهل المحمّرة ، وكان حاضراً وقت الحديث ، أنّ الشيخ خزعل في كلّ يوم يصنع طعاماً لأهل المجلس في الظهر ، وفي ذلك اليوم تأخّر الغداء إلى الساعة التاسعة من النهار لبكاء الناس وعويلهم .

وقال العلامة الشيخ حسن المذكور : ثمّ إنّه سُئل مخيلف عمّا رآه وشاهده؟ فقال : بينا الناس يلطمون على العباس أخذتني سنة

(١) هذه الجملة التي بين قوسين حدّثني بها في دار الشيخ الجليل الشيخ حسن المذكور ملا عبد الكريم ، وقد شاهد الرجل بعينه ذلك اليوم .

وأنا تحت المنبر ، فرأيت رجلاً جميلاً طويل القامة ، على فرس أبيض عال في المجلس وهو يقول : يا مخيلف لِمَ لا تلطم على العباس مع الناس ؟

فقلت له : يا أغاثي لا أقدر وأنا بهذا الحال .

فقال لي : قم والطم على العباس !

قلت له : يا مولاي أنا لا أقدر على القيام .

فقال لي : قم والطم !

قلت له : يا مولاي أعطني يدك لأقوم ؟

فقال : « أنا ما عندي يدين » !

فقلت له : كيف أقوم ؟

قال : الزم ركاب الفرس وقم ، فقبضت على ركاب الفرس وأخرجني من تحت المنبر وغاب عني ، وأنا في حالة الصحة ، وعاش سنتين أو أكثر ومات .

وحدّثني المهذّب الكامل ميرزا عباس الكرمانى أنّه تعرّس عليه حاجة ، فقصد أبا الفضل واستجار بضريحه ، فما أسرع أن فتحت له باب الرحمة وعاد بالمسرّة بعد اليأس مدّة طويلة فأنشأ :

أبا الفضل إنّي جنّتك اليوم سائلاً

لتيسير ما أرجو فأنت أخو السبيل

فلا غرو إن أسعفت مثلي بائساً

لأنّك للحاجات تُدعى أبو الفضل

هذا ما أردنا إثباته من الكرامات ، وهو قطرة من بحر ، فإنّ

الإتيان عليها كُلُّها يحتاج إلى مجلّد كبير ؛ لأنّ الله سبحانه منح
 (حامي الشريعة) جزيل الفضل ، وأجرى عليه من الفيض الأقدس
 ما لم يحوه بشر غير الأنبياء المقرّبين والأئمة المعصومين ، جزاءً
 لذلك الموقف الباهر الذي لم يزل يرنّ رجع صدهاء المؤلم في مسامع
 القرون والأجيال ، مذكّراً بما أبداه أبو الفضل من إباء وشمّ وكر
 وإقدام ، وتضحية دون الشرع القويم .

اللواء

اللواء : ما يُعقد على رمح أو عصا ، ويقال له : (الراية) ، كما يطلق عليهما (العلم) ، هذا عند أهل اللغة .

وعند المؤرخين أنّهما شيئان ، فذكروا أنّ الرسول الأعظم ﷺ عقد لحمزة بن عبد المطلب لواءً أبيض في رمضان أول الهجرة ، وفيه يقول حمزة :

فما برحوا حتّى انتدبت لغارة

لهم حيث حلوا ابتغي راحة الفضل

بأمر رسول الله أول خافق

عليه لواء لم يكن راح من قبل

لواء لديه النصر من ذي كرامة

إله عزيز فضله أفضل الفعل

وأول راية عقدها للمسلمين في سؤال من هذه السنّة^(١) .
والمعقود على رمح أو غيره إن كان واسعاً فهو الراية ، وإلاّ فاللواء ، ويقال للعلم الكبير : البند والعقاب ، إن خُصّ الثاني بما

(١) السيرة النبوية لابن هشام ٢ : ٤٢٨ ، الاستيعاب عبد البر ١ : ٣٧٠ ، تاريخ خليفة بن خياط : ٣٤ ، المعارف لابن قتيبة : ٤٢٢ ، تاريخ الطبري ٢ : ١٢١ . لكن ابن هشام وغيره قال : « وقد زعموا أنّ حمزة قد قال في ذلك شعراً يذكر فيه أنّ رايته أول راية عقدها رسول الله ﷺ ، فإن كان حمزة قد قال ذلك فقد صدق إن شاء الله . . فأما ما سمعنا من أهل العلم عندنا فعبدة بن الحارث أول عن عقد له » .

يعقده للولاية^(١) ، والتسمية بالعقاب اقتبسها العرب من الروم ، فإن العقاب والنسر شارة الرومان يرسمونها على أعلامهم وينقشونها على أبنيتهم^(٢) .

وكان أعلام الروم كباراً تحت كُلِّ علم عشرة آلاف أو أكثر^(٣) . وكانت راية كسرى يوم الجسر سنة ١٣ هجرية من جلود النمر في عرض ثمانية أذرع ، وطول اثني عشر ذراعاً ، وهي المسمّاة «درفش كايان»^(٤) .

وهذه الراية كانت محفوظة في خزائهم ، ولم تكن بهذه السعة وإنما زادوا عليها تبرّكاً ، والأصل فيها أن الضحّاك بيوراسف خرجت من منكبيه سلعتان ، فكان إذا اشتد عليه الألم طلاههما بدماع إنسان يذبحه ، فلاقى الناس منه عناء ونكد وجور ، فأخذ ابنين لرجل من أهل أصبهان اسمه «كابي» فشقّ عليه ، فدعا الناس للخروج على الضحّاك ، وأخذ عصا وعلّق عليها جرّاباً وتبعه الناس ، فتغلّب على الضحّاك وخلعوه عن الملك ، واستراحوا من جوره ، فعظّموا ذلك العلم ، وتغالوا به ، وزادوا فيه حتّى صار عند ملوك العجم العلم الأكبر الذي يتبرّكون به وسمّوه «درفش كايان»^(٥) .

كما احتفظ الأمويون براية ابن زياد التي أخرجها يوم الطّف ، ففي تاريخ (يزد) للآيتي ص ٧٢ : أن أبا العلاء الطوفي كان هو وأبوه

(١) تاج العروس بمادة عقب ٢ : ٢٥٣ ، نقلاً عن لسان العرب لابن منظور ١ : ٦٢١ .

(٢) المصدر غير موجود .

(٣) لسان العرب ٣ : ٩٧ ، تاج العروس ٤ : ٣٦٦ .

(٤) تاريخ الطبري ٢ : ٦٣٩ ، الكامل في التاريخ لابن الأثير ٢ : ٤٣٨ .

(٥) تاريخ الطبري ١ : ١٣٦ ، البداية والنهاية لابن كثير ٧ : ٣٣ .

من عمّال الأمويين ، طاف البلاد لأخذ البيعة لهم فلَقَّب (بالطوفي) ، وكان معلماً لهشام بن عبد الملك ، فلمّا ولي هشام المُلك أراد أن يكافأه على خدمته ، فبعثه عاملاً (على يزيد) ودفع إليه تلك الراية ، فسار أبو العلاء إلى (يزيد) ، ونصب الراية في البستان المشهور باسمه ، ودعا أهل يزيد إلى بيعة الأمويين ، وكانوا على طريقة أهل البيت عليه السلام ، وأخذهم على ذلك أخذاً شديداً ، وعاملهم بالقسوة والجور ، وبقوا يتقلّبون على حسك الظلم إلى أن ظهر أبو مسلم الخراساني أيام مروان الحمار ، وتصرّف في خراسان وفارس سنة ١٣٢ و ١٣٣ هجرية ، فراسله اليزديّون وطلبوا إنقاذهم من مخالف الطوفي ، فبعث أبو مسلم محمّد الزمجي إلى أصفهان ويزد .

وبلغ الطوفي إقباله بجيش جرار ، وأن اليزديّين معه ، فخرج ليلاً من يزيد إلى قرية « ابرند آباد » ، فبعث محمّد الزمجي جماعة فقبضوا عليه وأتوا به إلى يزيد ، وتجمهر اليزديّون رجالاً ونساء عليه ، واستقرّ الرأي على إحراقه والراية معه ، ففعل بهما ذلك وانتهبوا القصر والبستان .

وإنّ المصادر التاريخية لم ترشدنا إلى أوّل من رفع اللواء ، ويقوي في الظن أنّ (كابي) المتقدّم أوّل من اتخذه ، كما أنّ الخليل ابراهيم عليه السلام أوّل من اتخذ الرايات ، وذلك لمّا غلب الروم على لوط وأسروه رفع الخليل راية وسار لمحاربة الروم ، فغلبهم واسترجع لوطاً^(١) .

ولمّا جاء الإسلام ، وانتشر العرب في أنحاء الشام وفارس ومصر ، وتعدّدت دولهم ، كثرت ضروب الألوية عندهم ، وتنوعت

(١) تهذيب الأحكام ٦ : ١٧٠ ، باب النوادر ، مستدرك الوسائل ١١ : ٩ .

أشكالها ، وتعددت ألوانها وأطالوها وسمّوها بأسماء مختلفة ، حتى تفاخروا بتعدادها ، فقد بلغت رايات العزيز بالله الفاطمي لما خرج إلى فتح الشام خمسمائة راية ومثلها البوقات .

وكانوا ينقشون على راياتهم أسماء الخلفاء والسلاطين والقواد ، أرباباً وإعزازاً وتفاؤلاً بالظفر ، فقد كتب ابن بشكم على رايته (الرائقي) نسبة إلى ابن رائق ، وربما كتبوا آيات القرآن عليها ، فقد وجد في دير الظاهر مدينة برغوس في الأندلس راية من الحرير الخالص مطرزة بالنقوش الجميلة وعليها آيات قرآنية^(١) .

وكتب أبو مسلم الخراساني بالحبر على لوائه : «أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتِلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلَمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ»^(٢) ، ثم إنه عقد لواء بعثه إليه إبراهيم الإمام اسمه «الظل» على رمح طوله أربعة عشر ذراعاً ، وعقد آخر بعث به إليه اسمه «السحاب» على رمح طوله ثلاثة عشر ذراعاً^(٣) .

أمّا ألوان الألوية والرايات فلا يُعرف عنها شيء في الجاهلية سوى راية العقاب فلأنها سوداء ، وكذلك راية النبي ﷺ ، ويقال : إن رايات العرب كانت بيضاء^(٤) .

(١) التمدن الإسلامي ١ : ١٩٦ . وفي الصفحة ١٦٨ ذكر اهتمام الفاطميين بالولاية والرايات والدرق ، فمن ذلك أنهم صنعوا بيتاً بمصر يقال له : «خزانة البنود» اختزنوا فيها الأعلام والرايات والأسلحة والسروج واللجم المذهبة والمفضضة ، وكانوا ينفقون عليها في كل سنة ثمانين ألف دينار ، ولما احترقت الدار بما فيها قدرت الخسارة بثمانية ملايين دينار ، وكان في جملة لواء يسمونه : لواء الحمد .

(٢) الحج : ٣٩ .

(٣) تاريخ الطبري ٦ : ٢٥ .

(٤) آثار الدول للقرماني .

أما رايات النبي ﷺ في مغازيه فمختلفة ، ففي بدر كانت راية حمزة حمراء وراية أمير المؤمنين صفراء ، ويوم أحد وخيبر اللواء والراية أبيضان^(١) ، وفي عين الوردة الراية بقاء^(٢) .

وكانت أعلام بني أمية حمر ، وكُل من دعا إلى الدولة العلوية فعلمه أبيض ، ومن دعا إلى الدولة العباسية فعلمه أسود ، ويقرب في الظن أن شعار العلويين الخضر حتى في راياتهم ، فإن المأمون لما عقد ولاية العهد للإمام الرضا عليه السلام ألزم الناس بالخضرة وترك شعار العباسيين .

نعم ، لما عقد المتوكل لبنيه البيعة عقد لكل واحد منهم لوائين ، أحدهما أسود وهو لواء العهد ، والآخر أبيض وهو لواء العمل^(٣) .

وكيف كان ، فالراية : عقد نظام العسكر وآية زحفهم ، فلا يخالون انجفالا ما دامت تسري أمامهم ، فهي بتقدمها شارة الظفر وعلامة الفوز ، فلن تجد جحفاً مثلاً وفيلقاً ملتائاً إلا إذا انكفأت الراية أو أصيب حاملها ، فخرت ، ولذلك لا تُعطى إلا للأكفاء الحماة الغيارى على المبدأ ، ممن لا يجبنه الخور أو يفشله الضعف أو يخذله الطمع .

وفي قول سيّد الوصيّن عليه السلام شاهد عدل على هذا ، فإنه كان يحرض الناس يوم صفين ويقول : « ولا تميلوا براياتكم ولا تزيلوها ، ولا تجعلوها إلا مع شجعانكم ، فإن المانع للذمار والصابر عند نزول

(١) مناقب آل أبي طالب ٣ : ٨٤ .

(٢) تاريخ الطبري ٤ : ٤٦٩ .

(٣) التمدن الإسلامي ١ : ١٦٦ .

الحقايق هم أهل الحفاظ .. واعلموا أنّ أهل الحفاظ هم الذين يحتفون براياتهم ويكتنفونها ، ويصيرون حفافيها وورائها وأمامها ، ولا يضيعونها ، ولا يتأخرون عنها فيسلمونها ، ولا يتقدمون عنها فيفردونها»^(١).

ولقد كان حملة الرايات يتهاكون دون حملها إلى آخر قطرة تسقط من دمائهم ، حذراً من وصمة الجبن ، وشية العار ، وسمّة الخزي ، ولا يدع لهم ثبات الجأش ، وحمى الذمار ، واصرة الشرف أن يلقوها ما دامت أيديهم تقلّها .

لا عيبَ فيهم غيرَ قبضهم اللوا عند اشتباكِ السُمر قبضَ ضنين
من أجل ذلك كانت راية الإسلام مع أمير المؤمنين في جميع مغازي الرسول ولم يفته مشهد إلا «تبوك» حيث لم يقع فيها قتال^(٢) ، وإلا لما تركه النبي ﷺ في المدينة مع ما يعلمه من بلائه وإقدامه .

وفي يوم بدر أعطاه الرسول (راية الإسلام) ، فزحف بها والمسلمون خلفه ولما يبلغ الخامسة والعشرين من عمره ، فأظهر أمير المؤمنين عليه السلام فيها من البسالة والنجدة والبأس ما أطاش الألباب ، وحير العقول ، وجبن الشجعان ، ووضع من قدرها ، فطار (أبو الحسن) بذكرها ، وحاز مجدها ، واستأثر بفضلها .

وإنّ عمله في هذا اليوم الذي كسر الله به شوكة المشركين ، وفلّ خدهم ، لمن خوارق العادة ، وأجلّ الكرامات ، إذ لم يباشر قبله

(١) الكافي للكليني ٥ : ٣٩ ، ونحوه في نهج البلاغة ٢ : ٣ ، تاريخ الطبري ٤ :

(٢) السيرة الحلبية ٣ : ١١٩ ، أمتاع الاسماع للمقريزي ٩ : ٢٦٤ ، وكذلك يظهر من تاريخ الطبري ٢ : ٣٧٣ .

حرباً ولا نازل قرناً ، فعمل في ذلك الجمع من النكاية والقتل الذريع ما لم يشاهد مثله ، مع أنّ أكثر الجمع قد مارس الحرب ، وقاسى الأهوال ، وخاض الغمرات ، وبارز الشجعان .

وأما يوم أحد فكان اللواء مع مصعب بن عمير من بني عبد الدار ، وإنما أعطاه النبي ﷺ جبراً لقلوب من آمن به من بني عبد الدار ، خصوصاً لما كان لواء المشركين مع قومهم من بني عبد الدار ، وبعد أن فعل مصعب ذلك اليوم ما يبهر العقول وأدّى حقّ اللواء حتّى قطعت يده اليمنى ، ثمّ اليسرى ، وإذ قطعت ضمّ اللواء إلى صدره حتّى طعن بالرمح في ظهره فسقط إلى الأرض قتيلاً ، دفع النبي ﷺ اللواء إلى صاحبه (أبي الرياحنتين) ، فكان لأمير المؤمنين عليه السلام من البلاء العظيم والمقامات المحمودّة ما لم يكن لأحد قط ، حتّى عجبت من ثباته وحمالاته الملائكة بقتله أصحاب الألوّة . ولما كانت الدبرة على المسلمين كان له الموقف المشهود ، أبصر النبي ﷺ جماعة فقال لعلي : «فرّقه» ، وفرّقه ، وقتل عمرو بن عبد الله الجمحي ، ثمّ أبصر جماعة أخرى فقال له : «فرّقه» ، فحمل عليهم ، وقتل شيبة بن مالك ، فقال جبرائيل : هذه المواساة . قال النبي ﷺ : «وما يمنعه ، إنه منّي وأنا منه» . فقال جبرائيل : وأنا منكما . وسمعوا صوتاً :

لَا سَيْفَ إِلَّا ذُو الْفِقَارِ وَلَا فَتَى إِلَّا عَلِيٌّ^(١)

وفي يوم خيبر لما شاهد النبي خور المسلمين وضعفهم

(١) تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر ٤٢ : ٧٦ ، تاريخ الطبري ٢ : ١٩٧ ، شرح إحقاق الحقّ للمرعشي ٦ : ١٥٧ ، وقد نقل المصادر التي ذكرت ذلك .

وانتصار اليهود ، لانكسار (الرجلين) في اليوم الأول والثاني ، ساءه ذلك فقال : «لأعطين الراية غداً رجلاً يُحِبُّ الله ورسوله ويحبُّه الله ورسوله» ، فاستطالت لها أعناق الرجال رجاءً أن يُدعوا لها ، فيحظون بالفتح والسعادة الخالدة .

فأتاه الوصيُّ أرمداً عين	فسقداً من ريقه فشفاه
ومضى يطلب الصفوف فولت	عنه علماً بأنَّه أمضاها
وبرئ مرحباً بكف اقتدار	أقوياء الأقدار من ضعفها
ودحى بابها بقوة بأس	لو حمتها الأفلاك منه دحاه

وأما يوم حنين فلم يلق المسلمون أشدَّ منه ، فلقد ضاقت عليهم الأرض بما رحبت ، وبلغت القلوب الحناجر ، وعاتبهم الله على فرارهم عن حبيبه وخاتم رسله ، ولكن ظهرت في هذا اليوم عظمة (صاحب الراية) ، ومكانته من الرسول ﷺ وموقفه من الدين ، ومبلغه من الدفاع ، وثباته في وجه الخطوب حتى تراجع المسلمون . ثم لُفَّت هذه الراية خمساً وعشرين سنة ، ونشرها أمير المؤمنين يوم (الجملة) ، وأعطاه لولده محمد ابن الحنفية وقال له : هذه راية رسول الله لا تردّ قطّ ، فزحف بها ابن حيدرة والجيش خلفه وقيس بن سعد بن عبادة يقول^(١) :

هذا اللواء الذي كنّا نحفّ به	مع النبي وجبريل لنا مددا
ما ضرّ من كانت الأنصار عيبته	أن لا يكون له من غيرها أحدا
قوم إذا حاربوا طالت أكفهم	بالمشرفيّة حتى يفتحوا البلدا

(١) كتاب الجملة للشيخ المفيد : ١٦٥ ، ويظهر من مناقب الخوارزمي : ١٩٥ ، وقد أشار إلى هذه الآيات وأنها قيلت في صفين كلّ من : أسد الغابة ٤ : ٢١٦ ، الوافي بالوفيات ٢٤ : ٢١٣ ، كتاب الفتوح لابن أعثم ٣ : ١٦١

وأدّى شبل علي عليه السلام حقّها حتّى كان الفتح ، كما أنّها كانت معه يوم النهروان .

أمّا يوم صفّين فكانت راية الهمدانين مع سفيان بن يزيد ، فلمّا قُتل أخذاً أخوه عبيد ، ثمّ أخوه كرب ، ثمّ عمير بن بشير ، ثمّ الحرث بن بشير ، ثمّ وهب بن كرب ، وكلّهم قتلوا دونها^(١) .

وفي هذا اليوم الباهر كان لحملة الرايات من أهل العراق المقام المشكور ، حتّى تضعع من أقدامهم عرش معاوية لولا القضاء وإبرام المحتوم .

فكان ذوو ألويات يحرصون على رفعها ، لكونها معقد الجيش ، وبها يتمّ نظامهم ، وتتطامن نفوسهم ، ولم ينكسر الجيش إلّا بقتل صاحب الراية وسقوطها .

ومن هنا نعرف مكانة أبي الفضل من البسالة ، وموقفه من الشهامة ، ومحله من الشرف ، ومبوءه من الدين ، ومنزلته من الغيرة ، ومرتقاه من السؤدد ، يوم عبّأ الحسين أصحابه ، فأعطى رايته أخاه «العبّاس» ، مع أنّ للعبّاس أخوة من أمّه وأبيه ، وهناك من أولاد أبيه من لا يسلم اللواء ، كما أنّ في الأصحاب من هو أكبر سنّاً منه ، مع صدق المفادات ، ولكن سيّد الشهداء وجد أخاه أبا الفضل أكفى ممّن معه لحملها ، وحفظهم لدمامه ، وأرأفهم به ، وإدعاهم ، إلى مبدئه ، وأوصلهم لرحمه ، وأحمأهم لجواره ، وأثبتهم للطعان ،

(١) تاريخ الطبري ٤ : ١٤ ، رجال الطوسي : ٦٧ ، خلاصة الأقوال للحلي : ١٥٩ ، رجال ابن داود : ١٠٤ ، نقد الرجال للتفرشي ٢ : ٣٣٨ ، وقعة صفّين للمنقري : ٢٥٢ ، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٥ : ٢٠١ ، واسم أبي سفيان لم يحدد بيزيد بل اختلف بين كونه زيد أو يزيد كما في المصادر المتقدمة .

وأربطهم جأشاً ، وأشدّهم مراساً .

فكان « صاحب الراية » عند معتقد أخيه الإمام ثابت الجأش في ذلك الموقف الرهيب ثبات الأسد الخادر ، وهذا بيان مطرد تلهج به الألسن ، وإلاّ فما موقف الأسد منه ! ومن أين له طمأنينة هذا البطل المغوار الثابت فيما يفر عنه الضرغام .

ولولا احتقار الأسد شبّهتها به ولكنّها معدودة في البهائم
نعم ، أنسب تشبيه يليق بمقامه أنّه كان يصول ومعه صولة أبيه المرتضى .

وللعبّاس مزيّة على من حمل اللواء ، وبارز الأبطال ، وتقدّم للطعان ، فإنّه عليه السلام قد ألّمت به الكوارث والمحن من نواحي متعدّدة : من جروح ، وعطش ، وفئة صرعى ، وحرائر ولهى ، وأطفال أمّض بها الظما ، والواحدة منها كافية في أن تهدي إلى البطل ضعفاً ، وإلى الباسل فراراً ، لكن صريخة بني هاشم بالرغم من كلّ هاتيك الرزايا كان يزحف بالراية في جحفل من بأسه ، وصارم من عزمه ، وكان في حدّ حسامه الأجل المتاح ، وملك الموت طوع يمينه ، إذاً فليس من الغريب إذا ظهر في غصن الخلافة ما يبهر العقول :

قسماً بصارمه الصقيل وإنّني	في غير صاعقة السما لا أقسم
لولا القضا لمحا الوجود بسيفه	والله يقضي ما يشاء ويحكم

موقفه قبل الطفّ

يسترسل بعض الكتاب عن موقفه قبل الطفّ فيثبت له منازلة الأقران والضرب والطعن ، وبالغوا في ذلك حتّى حكى عن المنتخب أنّه يقول : كان كالجبل العظيم ، وقلبه كالطود الجسيم ؛ لأنّه كان فارساً هُماماً وجسوراً علىّ الضرب والطعن في ميدان الكفّار .

ويحدّث صاحب الكبريت الأحمر ج ٣ ص ٢٤ عن بعض الكتب المعتبرة لتتبع صاحبها : أنّه عليه السلام كان عضداً لأخيه الحسين يوم حمل علىّ الفرات وأزاح عنه جيش معاوية وملك الماء .

قال : وممّا يروى : أنّه في بعض أيّام صفّين خرج من جيش أمير المؤمنين عليه السلام شاب علىّ وجهه نقاب ، تعلوه الهيبة ، وتظهر عليه الشجاعة ، يقدر عمره بالسبع عشر سنة ، يطلب المبارزة ، فهابه الناس ، وندب معاوية إليه أبا الشعثاء ، فقال : إنّ أهل الشام يعدونني بألف فارس ، ولكن أرسل إليه أحد أولادي ، وكانوا سبعة ، وكُلّما خرج أحد منهم قتله حتّى أتى عليهم ، فساء ذلك أبا الشعثاء وأغضبه ، ولما برز إليه ألحقه بهم ، فهابه الجمع ولم يجرأ أحد علىّ مبارزته ، وتعجّب أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام من هذه البسالة التي لاتعدو الهاشميين ، ولم يعرفوه لمكان نقابه ، ولما رجع إلى مقرّه دعا أبوه أمير المؤمنين عليه السلام وأزال النقاب عنه ، فإذا هو « قمر بني هاشم »

ولده العباس عليه السلام .

قال صاحب الكبريت بعد هذه الحكاية : وليس ببعيد صحة الخبر ، لأنَّ عمره يقدر بالسبع عشر سنة ، وقد قال الخوارزمي : كان تاماً كاملاً .

وهذا نصّ الخوارزمي في المناقب ص ١٤٧ : « خرج من عسكر معاوية رجل يقال له : كريب ، كان شجاعاً قوياً يأخذ الدرهم فيغمزه بابهامه فتذهب كتابته ، فنادى ليخرج إليّ علي ، فبرز إليه مرتفع بن وضاح الزبيدي فقتله ، ثمّ برز إليه شرحبيل بن بكر فقتله ، ثمّ برز إليه الحرث بن الحلاج الشيباني فقتله ، فساء أمير المؤمنين عليه السلام ذلك ، فدعا ولده العباس عليه السلام ، وكان تاماً كاملاً من الرجال ، وأمره أن ينزل عن فرسه وينزع ثيابه ، فلبس علي عليه السلام ثياب ولده العباس وركب فرسه ، وألبس ابنه العباس ثيابه وأركبه فرسه ، لئلا يجبن كريب عن مبارزته إذا عرفه ، فلمّا برز إليه أمير المؤمنين عليه السلام ذكره الآخرة ، وحذّره بأس الله وسخطه .

فقال كريب : لقد قتلت بسيفي هذا كثيراً من أمثالك ، ثمّ حمل علي أمير المؤمنين عليه السلام ، فاتقاه بالدرقة وضربه علي على رأسه فشقه نصفين ، ورجع أمير المؤمنين وقال لولده محمّد بن الحنفية : قف عند مصرع كريب ، فإنّ طالب وتره يأتيك ، فامثل محمّد أمر أبيه ، فأتاه أحد بني عمّه وسأله عن قاتل كريب ؟ قال محمّد : أنا مكانه ، فتجاولا ثمّ قتله محمّد ، وخرج إليه آخر فقتله محمّد حتّى أتى على سبعة منهم^(١) .

وفي ص ١٠٥ من المناقب ذكر حديث العباس بن الحارث بن

(١) المناقب للخوارزمي : ٢٢٨ ، والنقل بالمعنى .

عبد المطلب : « وقد برز إليه عثمان بن وائل الحميري فقتله العباس ، فبرز إليه أخوه حمزة ، وكان شجاعاً قوياً ، فنهاه أمير المؤمنين عليه السلام عن مبارزته ، وقال له : انزع ثيابك وناولني سلاحك وقف مكانك ، وأنا أخرج إليه ، فتنكر أمير المؤمنين عليه السلام وبرز إليه وضربه على رأسه ، فقطع نصف رأسه ووجهه وابطه وكتفه ، فتعجب اليمانيون من هذه الضربة وهابوا العباس بن الحارث »^(١) .

هذا ما حدث به في المناقب ، ومنه نعرف أنّ هناك واقعيتين جرتا لأمر المؤمنين عليه السلام مع ولده العباس ومع العباس بن الحارث . فانكار شيخنا الجليل المحدث النوري في حضور العباس في صفين ، مدّعياً اشتباه الأمر على بعض الرواة بالعباس بن الحارث في غير محله ، فإنّ الحجّة على تفنيد الخبر غير تامّة ؛ لأنّ أحاد هذا البيت ورجالاتهم قد فاقوا الكلّ في الفضائل جميعها ، وجاءوا بالخوارق في جميع المراتب ، فليس من البدع إذا صدر من أحدهم ما يمتنع مثله عن الشجعان ، وإن لم يبلغوا مبالغ الرجال .

فهذا القاسم بن الحسن السبط لم يبلغ الحلم يوم الطف ، وقد ملأ ذلك المشهد الرهيب هيبةً وأهدى إلى قلوب المقارعين فرقا ، وإلى الفرائص ارتعاداً ، وإلى النفوس خوراً ، غير مبالٍ بالجحفل الجرّار ، ولا بمكترث بمزدحم الرجال حتّى قتل خمسة وثلاثين فارساً^(٢) ، وبطبع الحال فيهم من هو أقوى منه ، لكن البسالة وراثة بين أشبال (علي) ، على حدّ سواء ، فهم فيها كأسنان المشط صغيرهم

(١) المناقب للخوارزمي : ٢٣١ ، والنقل بالمعنى

(٢) لواعج الأشجان للأمين : ١٧٤ ، بحار الأنوار ٤٥ : ٣٤ ، وفيها : « فقتل على صفر سنة خمسة وثلاثين رجلاً » بدل فارس .

وكبيرهم ، كما أنهم في الأنفة عن الدنية سيان ، فلم يغتالوا الشبل
الباسل حتى وقف يشد شسع نعله ، وهو لا يزن الحرب إلا بمثله ،
وقد أنف (شبل الوصي) أن يحتفي في الميدان .

أهوى يشد حذاءه	والحرب مشرعة لأجله
ليسومها ما إن غلت	هيجاؤها بشراك نعله
متقلداً صمصامه	متفياً بظلال نصله
لا تعجب لفعله	فالفرع مرتهن بأصله
السحب يخلقها الحيا	والليث منظور بشبله
يُردي الطليعة منهم	ويُرِيهم آيات فعله ^(١)

وهذا عبد الله بن مسلم بن عقال بن أبي طالب بارز يوم الطف
الألوف مع صغر سنّه ، حتى قتل منهم على رواية محمد بن أبي
طالب ثلاثة وتسعين رجلاً بثلاث حملات .

وهذا محمد بن الحنفية فإن له مواقفاً محمودة في الجمل
وصفين والنهروان ، وكانت الراية معه ، فأبلى بلاء حسناً سجله له
التاريخ وشكره الإسلام ، وكان صغير السن على ما يظهر من السبط
في تذكرة الخواص وابن كثير في البداية ج ٩ ص ٣٨^(٢) ، فإنهما نصّا
على وفاته سنة ٨١ عن خمس وستين فتكون ولادته سنة ١٦ وله يوم
البصرة الواقع سنة ٣٦ عشرون سنة .

وحينئذٍ فلا غرابة في التحدث عن موقف أبي الفضل وما أبداه
من كر وإقدام خصوصاً بعد ما أوقفنا النص النبوي الآتي على ما
حواه ولد أبي طالب من بسالة وبطولة .

(١) للعلامة السيّد مير علي أبو طيخ رحمه الله .

(٢) البداية والنهاية لابن كثير ٩ : ٣٢ ، تذكرة الخواص ٢ : ٢٩٨ .

وأما يوم شهادة أخيه الإمام المجتبيّ فله أربع وعشرون سنة وقد ذكر صاحب كتاب «قمر بني هاشم» ص ٨٤ أنّه لمّا رأى جنازة سيّد شباب أهل الجنّة ترمى بالسهم عظم عليه الأمر ، ولم يطق صبراً دون أن جرد سيفه وأراد البطش بأصحاب «البغلة» لولا كراهية السبط الشهيد الحرب ، عملاً بوصية أخيه «لا تهرق في أمري محجمة من دم»^(١) ، فصبر أبو الفضل على أحرّ من جمر الغضا ، ينتظر الفرصة ، ويترقّب الوعد الإلهي ، فأجهد النفس ، وبذل النفس في مشهد (النواويس) ، وحاز كلتا الحسنين .

(١) دلائل الإمامة : ١٦٢ ، الإرشاد للشيخ المفيد : ١٧ ، عمدة الطالب لابن عنبه : ٦٧ . باختلاف الألفاظ .

موقفه في الطف

ربما يستعصي البيان عن الإفاضة في القول في هذا الفصل لشدة وضوحه ، وربما أعقب الظهور خفاءً ، فإن من أبرز الصفات الحميدة في الهاشميين الشجاعة وقد جُبلوا عليها ، وبالأخص الطالبين ، وقد أوقفنا على هذه الظاهرة الحديث النبوي : « لو ولد الناس أبو طالب كُلّهم لكانوا شجعاناً »^(١) .

إذا فما ظنك بطالبي أبوه أمير المؤمنين عليه السلام قاتل عمر بن عبد ودّ ، ومزحق مرحب ، وقالع باب خيبر ، وقد عرق في ولده البسالة كُلّها والشهامة بأسرها ، وعلمه قراع الكتائب ، فنشأ بين حروب طاحنة ، وغارات شعواء ، وخؤولته العامريّون الذين شهد لهم عقيل بالفروسية ، وللخؤولة كالعمومة عرق ضارب في الولد ، ومن هنا قالت العرب : (فلان معم مخول) إذا كان كريمهم وحوى المزايا الحميدة عنهما^(٢) ، ولم يعقد أمير المؤمنين عليه السلام على أمّ البنين إلّا لتلد

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١٠ : ٧٨ ، كشف الغمة ٢ : ٢٣٥ باختلاف الفاظ الرواية بلفظ : « لله در أبي طالب لو ولد الناس كُلّهم كانوا شجعاناً » كما في كشف الغمة للأربلي ، أو : « لو ولد أبو طالب الناس كُلّهم لكانوا شجعاناً » كما في شرح النهج .

(٢) لسان العرب ١١ : ٢٢٤ ، تاج العروس ١٤ : ٢١٦ . وقد نظم هذه الخاصة أبو

له هذا الفارس المغوار والبطل المجرب ، فما أخطأت إرادته الغرض ، ولا عدى سهمه المرمى .

فكان أبو الفضل رمز البطولة ، ومثال الصولات ، يلوح البأس على أسارير جبهته ، فإذا يمّم كميّاً قصده الموت معه ، أو التقى بمقبل ولّاه دبره ، ولم يبرح هكذا تشكوه الحرب والضرب ، وتشكوه الهامات ، والأعناق ما خاض ملحمة إلا وكان ليلها المعتكر ، ولم يلف في معركة إلا وقابل ببشره وجهها المكفهر .

يمثل الكرار في كراته بل في المعاني الغرّ من صفاته
ليس يد الله سوى أبيه وقدره الله تجلّت فيه

= بكر محمّد بن العبّاس الخوارزمي المتوفى سنة ٣٧٣ ، ففي معجم البلدان ١ :
٥٧ بمادة (أمل) أنّه قال :

بأمل مولدي وبنو جرير فأخوالي ويحكي المرء خاله
فها أنا رافضي عن تراث وغيري رافضي عن كلاله
عرّض بآبن جرير صاحب التاريخ فإنّه
أخو أمّه ، وكان من أهل السنّة ، وإنّما
نسبه إلى التشيع الحنابلة لتصحّحه
حديث الفدير ، فتشيّعه ادعائي وهو
المعبّر عنه (بالكلالة) ، فإنّها في اللغة
ما لم يكن من النسب لحاً ، فقول
الحموي في المعجم : (كذب
الخوارزمي ؛ لأنّ أبنا جرير من أعلام
السنّة) مبنيّ على عدم فهم الغرض
من البيت ، فالخوارزمي لم يعترف
بتشيّعه .

وقال الذهبي في تاريخه ٢٧ : ٦٨ : « وقال الحاكم في تاريخه : كان واحد عصره
في حفظ اللغة والشعر ، وكان يذاكرني بالاسماء والكنى حتّى يحيرني
حفظه ... » .

فهو يد الله وهذا ساعده تغنيك عن إثباته مشاهده

صولته عند النزال صولته لولا الغلو قلت: جلّت قدرته

وهل في وسع الشاعر أن ينضد خياله ، أو يتسنّى للكاتب أن يسترسل في وصف تلك البسالة الحيدرية ، وجوهر الحقيقة ؟ قائم بنفسه ، ماثل أمام الباحث ، بأجلّ من كُّل هاتيك المعارف في مشهد يوم الطفّ .

ولعمري إنّ حديث كربلاء لم يبق لسابق في الشجاعة سبقاً ولا للاحق طريقاً إلّا الالتحاق به ، فلقد استملينا أخبار الشجعان في الحروب والمغازي يوم شأوا الأقران في الفروسيّة ، فلم يعدهم في الغالب الاستظهار بالعدد ، وتوفّر العتاد وتهيء ممدّات الحياة من المطعم والمشرب ، وفي المغالب أنّ الكفاية بين الجيشين المتقابلين موجودة .

يسترسل المؤرّخون لذكر شجعان الجاهلية والحالة كما وصفناها ، واهتزوا طرباً لقصة ربيعة بن مكرم ، وهي : أنّ ربيعة بن مكرم بن عامر بن حرثان من بني مالك بن كنانة كان أحد فرسان مضر المعدودين ، خرج بالضعينة وفيها أمه أم سنان من بني أشجع بن عامر بن ليس بن بكر بن كنانة ، وأخته أم عزة ، وأخوه أبو القرعة ، ورأى الظعينة دريد بن الصمّة فقال لرجل معه : صح بالرجل أن خلّ الظعينة وانج بنفسك ، وهو لا يعرفه ، فلمّا رأى ربيعة أنّ الرجل قد ألحّ عليه ألقى زمام الناقة وحمل على الرجل فصرعه ، فبعث دريد آخر فصرعه ربيعة ، فبعث الثالث ليعلم خبر الأولين فقتله ربيعة وقد انكسر رمحه ، فلمّا وافاه دريد ورأى الثلاثة صرعى ورمحه مكسوراً قال له : يا فتى مثلك لا يقتل ، وهؤلاء يثأرون ، ولا رمح لك ، ولكن

خذ رمحي وانج بنفسك والظعينة ، ثمّ دفع إليه رمحه ورجع دريد إلى القوم وأعلمهم أنّ الرجل قتل الثلاثة وغلبه على رمحه ، وقد منع بالظعينة ، فلا طمع لكم فيه ^(١) .

هذا الذي حفظته السيرة ماثرة لربيعه بن مكدم بتهالكه دون الضعائن حتّى انكسر رمحه ، ولكن أين هو من (حامى الظعينة) يوم قاتل الألوف ، وزعزع الصفوف عن المشرعة حتّى ملك الماء وملاً القربة ، والكُل يرونه ويحذرونه؟!!

وأنتى لربيعه من بواسل ذلك المشهد الرهيب فضلاً عن سيّدهم أبي الفضل ، فلقد كان جامع رأيهم ، فلم يقدهم إلّا إلى محلّ الشرف ، منكباً بهم عن خطة الخسف والضعة ، على حين أن الأبطال تتقاذف بهم سكرات الموت؟!!

هذا وللسيط المقدّس طرف شاخص إلى صنوه البطل المقدام كيف يرسب ويطفو بين بهم الرجال ، ووجهه متهلّل لكرّاته ، ولحرائر بيت النبوة أمل موطد لحامية الطعائن .

وإليك مثلاً من بسالته الموصوفة في ذلك المشهد الدامي ، وهي لا تدعك إلّا مذعناً بما له من ثبات ممنع عند الهزاهز ، وطمأنينة لدى الأهوال .

الأوّل : في اليوم السابع من المحرّم حوَصر سيّد الشهداء ومن معه ، وسدّ عنهم باب الورود ، ونفذ ما عندهم من الماء ، فعاد كُـلّ منهم يعالج لهب الأوام ^(٢) ، وبطبع الحال كانوا بين أنّة وحنّة ،

(١) الأغاني لأبي فرج الأصفهاني ١٦ : ٣١٢ .

(٢) الأوام : العطش ، راجع : لسان العرب ١٢ : ٣٨ ، القاموس المحيط ٤ : ٧٧ ، مجمع البحرين للطريحي ١ : ١٣٥ ، تاج العروس ١٦ : ٣٨ .

وتضوّر ، ونشيج ، ومتطلب للماء إلى متحرّ ما يبّل غلته ، وكُلّ ذلك بعين « أبي علي » ، والغيارى من آله ، والأكارم من صحبه ، وما عسى أن يجدوا لهم وبينهم وبين الماء رماح مشرعة وبوارق مرهفة ، في جمع كثيف يرأسهم عمرو بن الحجاج ، لكن « ساقى العطاشى » لم يتطامن على تحمّل تلك الحالة .

أَوْتَشْتَكِي العطشَ الفواطمُ عنده	وبصدرٍ صعدتهِ الفراتُ المُفعمُ
ولو استقى نهرَ المحمرة لارتقى	وطويل ذابله إليها سلّمُ
لو سدّ ذو القرنين دونَ وروده	نسفته همتّه بما هو أعظمُ
في كفّه اليسرى السقاء يقلّه	وبكفه اليمنى الحسام المخدم
مثلُ السحابة للفواطمِ صوبه	فيصيبُ حاصبه العدو فيرجمُ

هناك قيض الحسين لهذه المهمة أخاه العباس ، في حين أنّ نفسه الكريمة تنازعه إلى ذلك قبل الطلب ، ويحدوه إليه حفاظه المرّ ، فأمره أن يستقي للحرائر والصبية ، وإن كان دونه شقّ المرائر ، وسفك المهج ، وضمّ إليه ثلاثين فارساً وعشرين راجلاً ، وبعث معهم عشرين قرية ، وتقدّم أمامهم نافع بن هلال الجملي ، فمضوا غير مبالين وكُلّ بحفظ الشريعة ؛ لأنّهم محتفون بشتيم من آل محمّد ، فتقدّم نافع باللواء وصاح به عمرو بن الحجاج : من الرجل ؟ وما جاء بك ؟

قال : جئنا نشرب من هذا الماء الذي حلأتمونا عنه .

فقال له : أشرب هنيئاً .

قال نافع : لا والله لا أشرب منه قطرة والحسين ومن ترى من

آله وصحبه عطاشا .

فقال : لا سبيل إلى سقي هؤلاء ، وإنّما وضعنا هاهنا لنمنعهم

الماء ، ثمّ صاح نافع بأصحابه : إملأوا قربكم ، وشدّ عليهم أصحاب ابن الحجاج ، فكان بعض القوم يملأ القرب وبعض يقاتل ، وحاميتهم «ابن بجدها» مسدّد الكماة ، المتربي في حجر البسالة الحيدرية ، والمرتضع من لبنها «أبو الفضل» ، فجاءوا بالماء وليس في القوم المناوئين من تحدّثه نفسه بالدنوّ منهم ، فرقاً من ذلك البطل المغوار ، فبلت غلّة الحرائر والصبيّة الطيبة من ذلك الماء ، وابتهجت به النفوس^(١) .

ولكن لا يفوت القارئ ، معرفة أنّ تلك الكميّة القليلة من الماء ما عسى أن تجدي أولئك الجمع الذي هو أكثر من مائة وخمسين رجلاً ونساء وأطفالاً ، أو أنّهم ينيفون على المائتين على بعض الروايات ، ومن المقطوع به أنّه لم ترو أكبادهم إلّا مرّة واحدة ، أو أنّها كمصّة الوشل ، فسرعان أن عاد إليهم الظما ، وإلى الله سبحانه المشتكى .

الثاني : كان أصحاب الحسين عليه السلام بعد الحملة الأولى التي استشهد فيها خمسون ، يخرج الاثنان والثلاثة والأربعة ، وكلّ يحمي الآخر من كيد عدوّه ، فخرج الجابريان وقاتلا حتّى قتلا ، وخرج الغفاريان فقاتلا معاً حتّى قتلا ، وقاتل الحرّ الرياحي ومعه زهير بن القين يحمي ظهره حتّى فعلا ذلك ساعة ، فكان إذا شدّ أحدهما واستلحم شدّ الآخر واستنقذه حتّى قتل الحر^(٢) .

وفي تاريخ الطبري ج ٦ ص ٢٥٥ : «إنّ عمرو بن خالد الصيداوي ، وسعد موله ، وجابر بن الحارث السلماني ، ومجمع ابن

(١) تاريخ الطبري ٤ : ٣١٢ ، مقتل الحسين لأبي مخنف : ٩٨ .

(٢) تاريخ الطبري ٤ : ٣٤٠ ، مقتل الحسين لأبي مخنف : ١٦٠ .

عبد الله العائذي شدّوا جميعاً على أهل الكوفة ، فلمّا أوغلوا فيهم عطف عليهم الناس من كلّ جانب ، وقطعوهم عن أصحابهم ، فندب إليهم الحسين أخاه العباس ، فاستنقذهم بسيفه ، وقد جرحوا بأجمعهم ، وفي أثناء الطريق اقترب منهم العدو ، فشدّوا بأسيافهم مع ما بهم من الجراح وقاتلوا حتّى قتلوا في مكان واحد ، وفازوا بالسعادة الخالدة .

الشهادة

لم يفتأ قمر بني هاشم دؤوب على مناصرة الحق في شمم وإباء عن النزول على حكم الدنيّة ، منذ كان يرتضع لبان البسالة ، وتربّى في حجر الإمامة ، فترعرع ونصب عينه أمثلة الشجاعة والتضحية دون النواميس الإلهية ، لمطاردة الرجال ، ومجالدة الأبطال ، فإمّا فوز بالظفر أو ظفر بالشهادة ، فمن الصعب عنده النزول على الضيم ، وهو يرى الموت تحت مشبك الأسنة أسعد من حياة تحت الأضطهاد ، فكان لا يرى للبقاء قيمة « وإمام الحق » مكذور ، وعقائل بيت الوحي قد بلغ منهمنّ الكرب كلّ مبلغ .

ولكن لما كان سلام الله عليه أنفس الذخائر عند السبط الشهيد ، وأعزّ حامته لديه ، وطمأنينة الحرم بوجوده وبسيفه الشاهر ، ولوائه الخفاق ، وبطولته المعلومّة ؛ لم يأذن له إلى النفس الأخير من النهضة المقدّسة ، فلا الحسين يسمح به ، ولا العائلة الكريمة تألف بغيره ، ولا الحالة تدعه لأن يغادر حرائر أبيه بين الوحوش الكواسر .

هكذا كان أبو الفضل بين نزوع إلى الكفاح بمقتضى غريزته ، وتأخر عن الحركة لباعث ديني وهو طاعة الإمام عليه السلام ، حتّى بلغ الأمر نصابه ، فلم يكن لجاذب الغيرة أو دافعها مكافئ ، وكان ملء سمعه ضوضاء الحرم من العطش تارة ، ومن البلاء المقبل أخرى ، (ومركز

الإمامة) دارت عليه الدوائر ، وتقطّعت عنه خطوط المدد ، وتفانى صحبه وذووه .

هنالك هاج (صاحب اللواء) - ولا يلحقه الليث عند الهياج - فمثل أمام أخيه الشهيد يستأذنه ، فلم يجد أبو عبد الله بدءاً من الإذن ، حيث وجد نفسه لتسبق جسمه إذ ليس في وسعه البقاء على تلك الكوارث الملمّة من دون أن يأخذ ثأره من أولئك المردة ، فعرفه الحسين أنّه مهما ينظر اللواء مرفوعاً كأنّه يرى العسكر متصلاً ، والمدد متتابعاً ، والأعداء تحذر صولته ، وترهب إقدامه ، وحرائر النبوة مطمئنة بوجوده ، فقال له : « أنت صاحب لوائي » ، ولكن اطلب لهؤلاء الأطفال قليلاً من الماء .

فذهب العباس إلى القوم ووعظهم وحذّرههم غضب الجبار ، فلم ينفع ، فرجع إلى أخيه وأخبره ، فسمع الأطفال يتصارخون من العطش ، فنهضت (بساقى العطاشى) غيرته الشّماء ، وأخذ القربة ، وركب فرسه ، وقصد الفرات ، فلم يرعه الجمع المتكاثر ، وكشفهم شبل علي عن الماء ، وملك الشريعة ، ومذ أحسّ ببرده تذكّر عطش الحسين ، فرأى من واجبه ترك الشرب ؛ لأنّ الإمام ومن معه أضّرّ بهم العطش ، فرمى الماء من يده واسرع بالقربة محافظاً على مهجة الإمام ولو في آن يسير وقال^(١) :

يا نفس من بعد الحسين هوني وبعده لا كنت أن تكوني
هذا الحسين وارد المنون وتشربين بارد المعين
تالله ما هذا فعال ديني

(١) بحار الأنوار ٤٥ : ٤٢ ، مقتل الحسين لأبي مخنف : ١٧٩ ، ينابيع المودة لذوي القربى للقندوزي ٣ : ٦٧ .

فتكاثروا عليه وقطعوا طريقه ، فلم يبالِ بهم ، وجعل يضرب فيهم بسيفه ويقول :

لا أُرهب الموت إذا الموت زقا حتى أوارئ في المصاليت لقا
إني أنا العباسُ أغدو بالسقا ولا أهاب الموت يوم الملتقى

فكمن له زيد بن الرقاد الجهني ، وعاونه حكيم بن الطفيل السنبسي ، فضربه على يمينه فقطعها ، فأخذ السيف بشماله وجعل يضرب فيهم ويقول :

والله إن قطعتموا يميني إني أحامي أبداً عن ديني
وعن إمام صادق اليقين نجل النبي الطاهر الأمين

فكمن له حكيم بن الطفيل من وراء نخلة ، فضربه على شماله فبراها ، فضمّ اللواء إلى صدره .

فعند ذلك أمنوا سطوته ، وتكاثروا عليه ، وأتته السهام كالمطر ، فأصاب القربة سهم وأريق مأوها ، وسهم أصاب صدره ، وسهم أصاب عينه ، وحمل عليه رجل بعمود من حديد وضربه على رأسه المقدّس .

وهو بجنب العلقمي فليته للشاربين به يُداف العلقم

ونادى بصوت عالٍ : عليك منّي السلام يا أبا عبد الله ^(١) ، فأتاه الحسين عليه السلام ، ويا ليتني علمت بماذا أتاه ، أبحياة مستطارة منه بذلك الفادح الجلل ، أو بجاذب من الأخوة إلى مصرع صنوه المحبوب !
نعم ، حصل الحسين عنده وهو يبصر هيكल البسالة وقربان القداسة فوق الصعيد ، وقد غشيته الدماء السائلة ، وجلّلت النبال ، ورأى ذلك الغصن الباسق قد ألمّ به الذبول ، فلا يمين تبطش ، ولا

(١) ينابيع المودة لذوي القربى للقندوزي ٣ : ٦٨ .

منطق يرتجز ، ولا صولة ترهب ، ولا عين تبصر ، ومرتكز الدماغ على الأرض مبدّد .

أصحيح أنّ الحسين ينظر إلى تلكم الفجائع ومعه حياة تقدمه ، أو عافية تنهض به ؟ لا والله لم يبق الحسين بعد أبي الفضل إلا هيكلًا شاخصاً ، معرّى عن لوازم الحياة ، وقد أعرب سلام الله عليه عن هذا الحال بقوله : «الآن انكسر ظهري ، وقلت حيلتي ، وشمّت بي عدوي» .

وبان الانكسار في جبينه فانكّدت الجبال من حنينه

كافل أهله وساقى صبيته وحامل اللوا بعالي همّته

وكيف لا وهو جمال بهجته وفي محيّا سرور مهجته

ورجع إلى المخيم منكسراً حزيناً باكياً يكفكف دموعه بكمّه كي لا تراه النساء^(١) ، وقد تدافعت الرجال على مخيمه ، فنادى بصوت عال : أما من مجير يجيرنا؟ أما من مغيث يغيثنا؟ أما من طالب حقّ ينصرنا؟ أما من خائف من النار فيذبّ عنا؟ كلّ هذا لإبلاغ الحجّة ، وإقامة العذر ، حتّى لا يعتذر أحد بالغفلة يوم يقوم الناس لربّ العالمين .

ولمّا رآته سكينه مقبلاً أخذت بعنان جواده ، وقالت : أين عمّي العباس ، أراه أبطأ بالماء؟

فقال لها : إن عمّك قُتل ، فسمعتة زينب فنادت : وأخاه! واعباساه! واضيعتنا بعدك! وبكين النسوة وبكى الحسين معهنّ ، ونادى : واضيعتنا بعدك أبا الفضل .

المشهد المطهر

مما لا شك فيه أنّ الإمام الشهيد أبا عبد الله عليه السلام لم يترك القتلى في حومة الميدان ، وإنّما كان يأمر بحملهم إلى الفسطاط الذي يقاتلون دونه ، وهذا وإن لم نجده صريحاً في كلّ واحد من المستشهدين إلا أنّ التأمل فيما يؤثر في الواقعة يقتضيه ، وإنّ طبع الحال يستدعيه ، ويؤيده ما في البحار من حمل الحرّ حتّى وضع بين يديّ الحسين ، وعند سقوط علي الأكبر أمر الحسين فتيانه أن يحملوه إلى الفسطاط الذي يقاتلون دونه ، وقد حمل القاسم بنفسه المقدّسة حتّى وضعه مع ابنه الأكبر ، وقتل حوله من أهل بيته .

هذا لفظ ابن جرير وابن الأثير ، ومن البعيد جداً أن يحمل سيّد الشهداء أهل بيته خاصّة إلى الفسطاط ويترك أولئك الصفوة الأكارم الذين قال فيهم : « لا أعلم أصحاباً أولى ولا خيراً من أصحابي » ، ففضّلهم على كلّ أحد حتّى على أصحاب جدّه وأبيه ، وإن كلّ أحد لا يرضى من نفسه هذه الفعلة ، فكيف بذلك السيّد الكريم الذي علّم الناس الشّم والإباء والغيرة ؟!

على أنّ الفاضل القزويني يحكي في تظلم الزهراء عليه السلام ص ١١٨ عن غيبة النعماني : أنّ أبا جعفر الباقر عليه السلام يقول : « كان الحسين يضع قتلاه بعضهم مع بعض ، ويقول : قتلة مثل قتلة النبيّ وآل

النبيين»^(١) .

نعم ، ممّا لا شكّ فيه أنّه عليه السلام ترك أخاه العباس في محلّ سقوطه قريباً من المسنّاة ، لا لما يمضي في بعض الكتب من كثرة الجروح وتقطع الأوصال ، فلم يقدر على حمله ، لأنّ في وسع الإمام أن يحرك ذلك الشلو الموضع إلى حيث أراد ومتى شاء .

ولأما قيل : من أنّ العباس أقسم عليه بجده الرسول أن يتركه في مكانه ؛ لأنّه وعد سكيّنة بالماء ويستحي منها^(٢) ؛ لعدم الشاهد الواضح على كلّ منهما .

بل إنّما تركه لسرّ دقيق ، ونكتة لا تخفى على المتأمل ومن له ذوق سليم ، ولولاه لم يعجز الإمام عن حمله مهما يكن الحال ، وقد كشفت الأيام عن ذلك السرّ المصون وهو : أن يكون له مشهد يقصد بالحوائج والزيارات ، وبقعة يزدلف إليها الناس ، وتنزّل إلى المولى سبحانه تحت قبته التي تحك السماء رفعة وسناء ، فتظهر هنالك الكرامات الباهرة ، وتعرف الأمة مكانته السامية ومنزلته عند الله ، فتقدّره حقّ قدره ، وتؤدّي ما وجب عليهم من الحبّ المتأكّد ، والزورة المتواصلة ، ويكون عليه السلام حلقة الوصل بينهم وبين الله تعالى ، وسبب الزلفى لديه .

فشاء المهيمن تعالى شأنه وشاء وليه وحجّته أن تكون منزلة

(١) الغيبة للنعماني : ٢١٩ والنصّ : «كان الحسين بن علي يضع قتلاه بعضهم إلى بعض ويقول : قتلانا قتلى النبيين» .

(٢) الدمعة الساكبة ٤ : ٣٢٤ قال : «أقول : وفي بعض الكتب المعتبرة : إن من كثرة الجراحات الواردة على العباس عليه السلام لم يقدر الحسين عليه السلام أن يحمله إلى محلّ الشهداء ، فترك جسده في محلّ قتله ورجع باكياً حزيناً إلى الخيام» .

أبي الفضل الظاهرية شبيهة بالمنزلة المعنوية الآخروية ، فكان كما شاء وأحبا .

ولو حمله سيّد الشهداء إلى حيث مجتمع الشهداء في الحائر الأقدس لغمره فضل الإمام الحجّة عليه السلام ، ولم تظهر له هذه المنزلة التي ضاهت منزلة الحجج الطاهرين ، خصوصاً بعد ما أكّد ذلك الإمام الصادق عليه السلام بإفراد زيارة مختصة به ، وإذن بالدخول إلى حرمة الأطهر ، كما شرع ذلك لأئمة الهدى غير ما يزار به جميع الشهداء بلفظ واحد ، وليس هو إلّا لمزايا اختصّت به .

وقد أرشدتنا آثار أهل البيت عليه السلام على هذا الموضع من مرقده الطيّب ، ففي كامل الزيارة لابن قولويه ص ٢٥٦ بسند صحيح عن أبي حمزة الثمالي عن الصادق عليه السلام قال : « إذا أردت زيارة العباس بن علي وهو على شطّ الفرات بحذاء الحير ، فقف على باب السقيفة وقل : سلام الله وسلام ملائكته ... » .

وحكى المجلسي أعلى الله مقامه في مزار البحار عن الشيخ المفيد وابن المشهدي زيارة أخرى له في هذا المشهد ، الذي أشار إليه الصادق برواية ، غير مقيدة بوقت من الأوقات .

وهكذا حكى عن المفيد والشهيد والسيد ابن طاووس في زيارة النصف من رجب ، وليلة القدر ، ويومي العيدين ، ومثله العلامة النوري في تحية الزائر .

وعبارة المفيد في الإرشاد صريحة فيما نصّت به رواية أبي حمزة الثمالي ، فإنّه قال عند ذكر من قتل من آل الحسين : « وكلّهم مدفونون ممّا يلي رجلي الحسين عليه السلام في مشهده ، حفر لهم حفرة

وألقوا فيها جميعاً .. إلا العباس بن علي رضوان الله عليه ، فإنه دفن في موضع مقتله على المسناة بطريق الغاضرية ، وقبره ظاهر ، وليس لقبور أخوته وأهله الذين سمّيناهم أثر ، وإنما يزورهم الزائر من عند قبر الحسين ، ويومئ إلى الأرض التي نحو رجله بالسلام ، وعلي ابن الحسين في جملتهم ، ويقال : إنه أقربهم دفناً إلى الحسين عليه السلام .

فأما أصحاب الحسين الذين قُتلوا معه ، فإنهم دفنوا حوله ، ولسنا نحصل لهم أجداً على التحقيق ، إلا أنا لا نشك أن الحائر محيط بهم ..»^(١) .

وعلى هذا مشى العلماء المحققون والمنقبون في الآثار من كون مشهده بحذاء الحائر الشريف ، قريباً من شطّ الفرات ، نصّ عليه الطبرسي في إعلام الوريّ ص ١٤٧ ، والسيد الجزائري في الأنوار النعمانية ص ٣٤٤ ، والشيخ الطريحي في المنتخب ، والسيد الداودي في عمدة الطالب ص ٣٤٩ ، وحكاه في رياض الأحزان ص ٣٩ عن كامل السقيفة^(٢) .

وهو الظاهر من ابن إدريس في السرائر ، والعلامة في المنتهى ، والشهيد الأوّل في مزار الدروس ، والأردبيلي في شرح الإرشاد ، والسبزواري في الذخيرة ، والشيخ آغا رضا في مصباح الفقيه ، فإنهم نقلوا كلام المفيد ساكتين عليه^(٣) .

(١) الإرشاد للشيخ المفيد ٢ : ١٢٦ .

(٢) مناقب آل أبي طالب ٣ : ٢٥٦ .

(٣) السرائر ١ : ٣٤٢ ، منتهى المطلب ١ : ٣٩٥ ، ذخيرة العباد : ٤١٣ ، غنائم الأيام ٢ : ١٣٢ ، جواهر الكلام ١٤ : ٣٤٠ ، مصباح الفقيه ٢ : ٧٦١ ، كتاب

ملاحظة

تقدّم في نقل البحار أنّ الحرّ الرياحي حُمِل من الميدان ووضع أمام الحسين عليه السلام ، وعليه يكون مدفوناً في الحائر الأطهر .

ولكن في الكبريت الأحمر ج ٣ ص ١٢٤ جاءت الرواية عن مدينة العلم للسيد الجزائري : أنّ السجّاد دفنه في موضعه ، منحازاً عن الشهداء ، وفي ص ٧٥ ذكر أنّ جماعة من عشيرته نقلوه عن مصرع الشهداء لثلا يوطأ بالخيّل إلى حيث مشهده ، ويقال : إنّ أمّه كانت معه ، فأبعدته عن مجتمع الشهداء .

وإذا صحّ حمل العشيرة إياه إلى حيث مشهده ، فلا يتمّ ما في مدينة العلم من دفن السجّاد له ، فإنّه من البعيد جداً أن تحمله العشيرة ثمّ تترك عميدها في البیداء عرضة للوحوش ، بل لم يعهد ذلك في أي أمة وملة .

وعلى كلّ ، فهذا المشهد المعروف له ممّا لا ريب في صحته ؛ للسيرة المستمرة بين الشيعة على زيارته في هذا المكان ، وفيهم

= الصلاة للشيخ الحائري : ٦٥٥ ، مستمسك العروة الوثقى للحكيم ٨ : ١٨٨ .
وفي مزار الدروس ٢ : ٢٥ : « .. ثمّ يزور الشهداء ، ثمّ يأتي العباس بن علي عليه السلام فيزوره .. » .

العلماء والمتديّنون .

ويظهر من الشهيد الأوّل المصادقة عليه ، فإنّه قال في مزار الدروس : « وإذا زار الحسين فليزر علي بن الحسين وهو الأكبر على الأصح ، وليزر الشهداء وأخاه العباس والحرّ بن يزيد »^(١) .

ووافقه العلامة النوري في اللؤلؤ والمرجان ص ١١٥ ، واعتماد السلطنة محمّد حسن المراغي - من رجال العهد الناصري - في حجة السعادة على حجة الشهادة ص ٥٦ طبع تبريز .

وقال المجلسي في مزار البحار عند قوله عليه السلام في زيارة الشهداء العامّة : « فإنّ هناك حومة الشهداء » ، المراد منه معظمهم أو أكثرهم ، لخروج العباس والحرّ عنهم^(٢) .

ويشهد له ما في الأنوار النعمانية ص ٣٤٥ أنّ الشاه إسماعيل لما ملك بغداد ، وزار قبر الحسين عليه السلام ، وبلغه طعن بعض العلماء على الحرّ ، أمر بنبشه لكشف الحقيقة ، ولمّا نبشوه رآه بهيئته لمّا قتل ، ورأى على رأسه عصاة قيل له : إنّها للحسين ، فلمّا حلّها نبع الدم كالميزاب ، وكُلّما عالج قطعة غيرها لم يتمكّن ، فأعادها إلى محلّها ، وتبيّنت الحقيقة ، فبنى عليه قبة ، وعيّن له خادماً ، وأجرى لها وقفاً .

(١) الدروس للشهيد الأوّل ٢ : ١١ والعبارة بالمعنى ، الينابيع الفقهية ٣٠ : ٤٩٣ .

(٢) بحار الأنوار ٤٥ : ٦٥ ، و ٩٨ : ٣٦٩ ، المزار للمشهدي : ٤٨٦ ، إقبال الأعمال ٣ : ٧٣ .

الحائر

جاء في حديث الصادق عليه السلام لفظ الحَيْر فلأنه قال : « وهو على شطّ الفرات بحذاء الحَيْر » .

والحير ، بالفتح فالسكون كالحائر : هو المكان المنخفض الذي يسيل إليه ماء الأمطار ويجتمع فيه .

وفي تاج العروس بمادة حور : الحائر : اسم موضع فيه مشهد الإمام المظلوم الشهيد أبي عبد الله الحسين^(١) .

ولم تحدث التسمية بالحائر من استدارة الماء حول القبر المقدّس حين أُجري عليه بأمر المتوكل العباسي ؛ لأنّ لفظ الحائر والحير وقع في لسان الصادق والكاظم قبل استخلاف المتوكل .

نعم ، إنّ الله سبحانه أكرم حجّته ، ووليه المذبوح دون دينه القويم ، ممنوعاً من ورود الماء الذي جعل شرع سواء لعامة المخلوقات ؛ باستدارة الماء حول قبره يوم أُجري عليه ، لإعفاء أثره ومحو رسمه (ولن يزداد أثره إلّا علواً)^(٢) .

(١) لسان العرب ٤ : ٢٢٣ ، تاج العروس ٦ : ٣٢١ ، مجمع البحرين ١ : ٦٠٥ .

(٢) أقول : (وأنا العبد الفقير إلى الله تعالى محقق هذا الكتاب محمد الحسون) من بعد غيبة طويله وفراق مرير انجلت سحب الأهات عن قلبي ، وارتوى ضمائي بمعين النظر إلى قبر ضمّ خير ناصر لأبي الأحرار الحسين عليه السلام ، وشفي

ولقد شَعَّتْ هذه الآية الباهرة ، فاستضاءت منها الحقف والأعوام ، واهتزَّت لها الأنديّة والمحافل ارتياحاً ، وتناقلها العلماء المنقَّبون في جوامعهم ، منهم الشهيد الأوّل في الذكرى ، والأردبيلي في شرح الإرشاد ، والسبزواري في الذخيرة ، والشيخ الطريحي في المنتخب ، والشيخ المحقّق في الجواهر .

وكم لآل الرسول من براهين كاثرت النجوم بكثرتها ، وقد اجتهد أهل العناد في إغفالها أو افتعال نظائرها لأئمتهم ، حقدًا وحسدًا ﴿وَيَأْتِي اللَّهُ إِلَّا أَنْ يَمَّ نُورُهُ﴾^(١) .

مَنْ يَبَارِيهِمْ وَفِي الشَّمْسِ مَعْنَى مَجْهَدٌ مُتَعَبٌ لِمَنْ بَارَاهَا
وَرِثُوا مِنْ مُحَمَّدٍ سَبْقٌ أَوْ لَا هَا وَحَازُوا مَا لَمْ تَحْزِ أَخْرَاهَا

= غليلي بالنزول بقعوة مغيبه ، فاستشمت عطر الملائكة الحافين بتربته ، حيث وفقني الباري تعالى أن أزور قبر قمر بني هاشم أبي الفضل العباس عليه السلام ، الواقع في السرداب المقدس الكائن تحت القبة الشريفة ، فتغشني رحمة ربي تعالى بمشاهدة الماء الذي يأتي في ساقية من جهة قبر سيّد الشهداء أبي عبد الله الحسين عليه السلام - الذي لم يذق من برده شربةً ، وقد مضى بقلب حزته أشفاق الضما كما حَزَّ خنجرُ الضبابي منخره الشريف - ثم يدور حول قبر السقاء الذي أثر ألم الضما على الرواء ، وارتوى بروح الوفاء لأخيه وابن بنت رسول الله ﷺ حيث الكلمة الخالدة

يا نفس من بعد الحسين هوني وبعده لا كنت أن تكوني
هذا حسين وارد المنون وتشربين بارد المعين
والله ما هذا فعال ديني ولا فعال صادق اليقين
ومن بعد قرون متطاولة يستمر دوران المماء دورة كاملة حول قبر الشهيد
الضامي والأخ المواسي لأخيه ، ثم يخرج من خلال ساقية إلى خارج
كربلاء

قادة علمهم ورأي حجاهم مسمعا كل حكمة منظراها
علماء أئمة حكماء يهتدي النجم باتباع هداها

يتحدّث اليافعي في مرآة الجنان ج ٤ ص ٢٧٣ عن كرامة لأحمد بن حنبل فيقول : « زادت دجلة زيادة مفرطة حتّى خربت مقبرة أحمد بن حنبل ، سوى البيت الذي فيه ضريحه ، فإنّ الماء دخل في الدهليز علوّ ذراع ووقف بإذن الله ، وبقيت البواري عليها الغبار حول القبر ، صح الخبر » .

هكذا يرتاح لهذه الكرامة ويصحّح الخبر ، ولكنه يتوقّف عن إثبات تلك الكرامة لسيد شباب أهل الجنّة ، وفلذة كبد الإسلام ، وريحانة النبيّ الأعظم .

وما أدري بماذا يعتذر يوم جرفت دجلة قبر ابن حنبل ومحت أثره حتّى لم يعرف له ضريح إلى اليوم^(١) .
وقد أجاد العلامة الشيخ محمّد السماوي إذ يقول :

ألا من عذيري يا بني العلم والحجى

من اليافعي الحنبلي المجلّل

يكذبني إن قلت: قبر ابن فاطم

عليه استدار الماء للمتوكّل

ويزعم حارّ الماء ولم تجل غبرة

على حصر كانت بقبر ابن حنبل

وإنّ لأمثال ذلك في كتبهم أنشأ الكثير ، أرادوا به المقابلة لما صدر من آل النبيّ المعصومين ، والإشارة إلى بعض ما أوقفنا البحث عليه وإن يخرجنا عن وضع الرسالة ، إلّا أنّ الغرض تعريف القارئ

(١) بغداد في عهد العباسيين : ١٤٦ .

بأنّ العداء كيف يأخذ بالشخص إلى إنكار البديهي والتعامي عن النيرات .

ذكر الياضي في مرآة الجنان ج ٣ ص ١١٣ : «إنّ أبا إسحاق الشيرازي المتوفى سنة ٤٧٦ هجرية لمّا ورد بلاد العجم ، خرج أهلها إليه بنسائهم وأطفالهم للتبرّك به ، فكانوا يمسحون أردانهم به ، ويأخذون من تراب نعله فيستشفون به » .

وإذا صحّ مثل هذا ، فلماذا كان الاستشفاء بتربة الحسين عليه السلام - وهو سيّد شباب أهل الجنّة - بدعة وضلالة؟!!

ثمّ في ج ٣ ص ١٣٣ منه يعدّ من فضائل أحمد وكراماته ، وما حباه الله عن خدمته في الدّين : «إنّ إبراهيم الحربي رأى في المنام بشر الحافي خارجاً من مسجد الرصافة ، وفي كمّه شيء ، فسأله عنه ، فقال : لمّا قدم علينا روح أحمد بن حنبل نثر عليه الدر والياقوت ، فهذا ممّا التقطته » .

أصحيح أن تُعدّ هذه الرؤيا من الكرامات ، ويُعدّ من الباطل حديث الرسول الأعظم في حقّ سيّد الوصيّين ، ومن هو منه بمنزلة هارون من موسى ، ولولاه لما قام للدّين عمود ، ولمّا أخضر له عود ، وذلك لما تزوّج أمير المؤمنين من سيّدة نساء العالمين ، بأنّ الله تعالى أمر شجرة طوبى أن تحمل صكاً فيها براءة لمحبي علي وفاطمة من النار ، وأنشأ تحتها ملائكة التقطوا ما نثرته عليهم ، يحفظونه إلى يوم القيامة ، كرامة لعلي وفاطمة؟!!

ثمّ يرمي راوي هذه الكرامة بالجهالة والرفض ويعدّ الحديث من الموضوعات^(١) ، مع شهرة الحديث بين المحدثين والمنقبين في

(١) اللأئي المصنوعة في الأحاديث الموضوعة للسيوطي ١ : ٣٦٤ .

الآثار .

وجاء السبكي فعد في طبقات الشافعية ج ١ ص ٢١٥ من فضائل أحمد بن نصر الخزاعي ، الذي قتله الوثائق على مسألة خلق القرآن : تكلم رأسه بالقرآن لما قُطع وبقي يقرأه إلى أن ألحق بالجسد ودفن . وإذ سمعوا بأن رأس الحسين الذي قُتل في سبيل الدعوة الإلهية وإحياء الدين يتكلم بالقرآن ، لإتمام الحجّة ، وتعريفاً للأمة طغيان أولئك الأمراء ، ولئلا تذهب تلك التضحية المقدسة أدرج التموهيات ، طعنوا في الحديث ، ونسبوا راويه إلى الرفض والجهالة ، مع أنّ الحسين لم يخرج عن كونه ابن الرسول ، وقد شهد الصادق الأمين له ولأخيه المجتبي بأنهما إماما هذه الأمة ، إن قاما وإن قعدا ، وأنهما سيّدا شباب أهل الجنّة ، ولم يخرج أشراً ولا بطراً ، ولا ظالماً للعباد ، ولا غاصباً للحقوق .

ولم يقتنع بذلك حتّى ادّعى كرامة لإسماعيل الحضرمي وأنها من المستفيض ، قال في ج ٥ ص ٥١ من طبقات الشافعية : «إنّ إسماعيل بن محمّد ابن إسماعيل الحضرمي كان في سفر ومعه خادمه ، فأشرفت الشمس على الغروب ، فقال لخدمته : قلّ للشمس تقف حتّى نصل المنزل ونصلّي ! فقال الخادم : إنّ الفقيه إسماعيل يقول لك : قف ، فوقفت حتّى بلغ المنزل وصلّي ، ثمّ قال للخادم : أما تطلق ذلك المحبوس ، فأمرها الخادم بالغروب ، فغابت وأظلم الليل في الحال !!

هكذا يقول الخبر من المستفيض في رجل قصارى ما يتخيّل فيه أنّه أحد الأولياء ، وينكر حديث ردّ الشمس لأمر المؤمنين ، وكان من أعلام النبوة !

ويرتاح الخطيب البغدادي في تاريخ بغداد ج ٤ ص ٤٢٣ إلى حديث الوركاني بوقوع المآثم والنوح في أربعة أصناف من الناس : المسلمين ، واليهود ، والنصارى ، والمجوس ، يوم وفاة أحمد بن حنبل! ^(١)

ولا يكون هذا من البدعة والشناعة والخروج عن أخلاق المؤمنين! كما تحاملوا بذلك على الشيعة في إقامتهم المآثم والنياحة على سليل الرسول وريحانته حتى قال الغزالي في مكاشفة القلوب ص ١٨٧ : «إياك أن تشتغل ببدع الرافضة من الندب والنياحة والحزن ، فإن ذلك ليس من أخلاق المؤمنين»!!
وضرب على وتره غير واحد من المؤرخين .

وما ذنب الشيعة والمشرّع الأعظم بكى على ولده الحسين وهو حيّ يرزق لمجرد تذكّر ما يجري عليه ، فيخرج إلى المسجد ودموعه جارية ، فتبكي الصحابة لبكائه ، وفيهم : أبو بكر ، وعمر ، وأبو ذر ، وعمّار ، ويسأل عن سبب بكائه ؟ فيقول : «الآن حدّثني جبرائيل بما يجري على الحسين» ^(٢) .

ويمرّ أمير المؤمنين بوادي كربلاء في ذهابه إلى صفّين ، فيقف هناك ويرسل عبرته ويقول : «هذا مناخ ركابهم ، ومهراق دمائهم ، طوبى لك من تربة تراق عليك دماء الأحبة» ^(٣) .

(١) تاريخ بغداد ٥ : ١٨٨ ، الجرح والتعديل للرازي ١ : ٣١٣ ، تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر ٥ : ٣٣٣ ، تهذيب الكمال للمزي ١ : ٤٦٨ .

(٢) الخصائص الكبرى للسيوطي ٢ : ١٢٥ .

(٣) قرب الإسناد : ٢٦ ، كامل الزيارات : ٤٥٣ ، ذخائر العقبى : ٩٧ ، بحار الأنوار ٤١ : ٢٩٥ ، كشف الغمة ٢ : ٢٢٢ ، الخصائص الكبرى للنسائي ٢ : ٢ .

إذن ، فهلاً تحسن مواساة صاحب الشريعة ووصيّه المقدم بعد وقوع الحادثة على فلذة كبده صاحب النهضة المقدسة ، والله عز وجل يقول : ﴿ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ﴾^(١) .

على أنّ الأحاديث الصحيحة عندهم عن أئمتهم تحثهم على التظاهر بما فيه إحياء أمرهم من الدعوة إلى سبيل الدين ، وإظهار الجزع والبكاء والنوح على سيد شباب أهل الجنة .

ويقول الإمام الصادق عليه السلام في دعائه الطويل وهو ساجد : « اللهم ارحم تلك الصرخة التي كانت لنا ، اللهم إنّ أعداءنا عابوا عليهم خروجهم إلينا ، فلم ينههم ذلك عن الشخوص إلينا ، رغبة في برّنا ، وصلة لرسولك ، وخلافاً منهم على ما خالفنا ، اللهم أعطهم أفضل ما يأملون في غربتهم عن أوطانهم ، وما أثرونا به على أبنائهم »^(٢) .

ويقول عليه السلام لحمّاد الكوفي : « بلغني أنّ أناساً من الكوفة وغيرهم من نواحيها يأتون قبر الحسين في النصف من شعبان ، فبين قارئ يقرأ ، وقاصّ يقصّ ، ومادح يمدح ، ونساء يندبنه » ؟

فقال حمّاد : قد شهدت بعض ما تصف .

فقال عليه السلام : « الحمد لله الذي جعل في شيعتنا من يفد إلينا ويمدحنا ويرثي لنا ، وجعل في عدوّنا من يقبّح ما يصنعون »^(٣) .

ولمّا قال له ذريح المحاربي : إنّي إذا ذكرت فضل زيارة الحسين لقومي وبنيّ كذبوني ؟ فقال : « دع الناس يذهبون حيث

= ١٢٦ ، الفصول المهمة لابن الصباغ المالكي : ٧٦١ ، جواهر المطالب في

مناقب الامام علي للدمشقي : ٢٦٣ ، باختلاف الألفاظ .

(١) الأحزاب : ٢١ .

(٢) كامل الزيارات : ٢٢٨ ، والدعاء فيه تقديم وتأخير .

(٣) كامل الزيارات : ٥٣٩ ، وسائل الشيعة ١٤ : ٥٩٩ ، بتقديم وتأخير .

شأؤوا وكن معنا»^(١) .

فإذا كان هذا وأمثاله الكثير ممّا أوجب فعل الشيعة لتلك المظاهر ، فلماذا يُطعن عليهم عند إيمانهم بها ، وما ذنبهم؟! أفلا يتأوّل عملهم والحال هذا كما أوّلوا عمل خالد وغيره؟ أين المنصفون؟

نعم ، ليس السرّ فيما حكموا به على الشيعة من الرياء والتصنّع والشنعة والبدعة إلّا قيامهم بهذه الشعائر التي فيها إظهار مظلومية أهل البيت العلوي ، وتفضيع أعمال المناوئين لهم ، وإعلام الملأ بما نشره من الجور ، واسترداد الجاهلية الأولى ، كما اعترف به ابن كثير في البداية والنهاية ج ٨ ص ٢٠٢ قال : «إنّ الشيعة لم يريدوا بهذه الأعمال إلّا أن يشنّعوا على دولة بني أمية ، لأنّه قتل في دولتهم»^(٢) . وعليه فلا يكون العمل المستلزم للتشنيع على عمل الجبابرة وطواغيت الأمة بقتلهم سيّد شباب أهل الجنّة ، وتلاعبهم بالدين الحنيف تلاعب الصبيان بالإكر؛ مقرباً للمولّى زلفة ، ورضىّ لربّ العالمين .

(١) كامل الزيارات : ٢٧٢ ، بحار الأنوار ٩٨ : ٧٥ .

(٢) البداية والنهاية لابن كثير ٨ : ٢٢٠ .

نهر العلقمي

لم يذكر أصحاب المعاجم هذا الوصف ، وأهمله المؤرّخون ، كما لم يصفه حديث الصادق عليه السلام في الزيارة المتقدّمة فإنّ فيها : «وهو مدفون بشط الفرات بحذاء الحير»^(١) .

لكن شيخنا الطريحي ذكر في المنتخب ص ٩١ : أنّ رجلاً من أهل الكوفة حدّاد قال : خرجت في البعث الذي سار إلى كربلاء ، فخيّمنا على شاطئ العلقمي ، وحموا الماء عن الحسين ومن معه حتّى قَتَلُوا ، وأهله وأنصاره عطاشاً ، ثمّ رجعنا إلى الكوفة ، وبعد أنّ سيّر ابن زياد السبايا إلى الشام رأيت في المنام كأنّ القيامة قامت ، والناس يموجون ، وقد أخذهم العطش ، وأنا أعتقد بأنّي أشدهم عطشاً ، مع شدّة حرارة الشمس ، والأرض تغلي كالقار ، إذ رأيت رجلاً عمّ الموقف نوره ، وفي أثره فارس ، وجهه أنور من البدر ، وبيننا أنا واقف إذ أتاني رجل وقادني بسلسلة إليه فقلت له : أقسم عليك بمن أمرك من تكون؟

قال : أنا من الملائكة .

قلت : ومن هذا الفارس؟

قال : هذا علي أمير المؤمنين .

(١) كامل الزيارات : ٤٤٠ ، بحار الأنوار ٩٨ : ٢٧٧ ، والعبارة : «إذا أردت زيارة قبر العباس عليه السلام ، وهو على شط الفرات بحذاء الحائر . . .» .

قلت : ومَنْ ذلك الرجل؟

قال : محمد ﷺ .

ثمّ رأيت عمر بن سعد وقوماً لم أعرفهم في أعناقهم سلاسل من حديد ، والنار تخرج من أعينهم وآذانهم ، ورأيت النبيين والصدّيقين قد أحدقوا بمحمد ﷺ ، فقال رسول الله لعليّ : « ما صنعت »؟

قال : « لم أترك أحداً من قاتلي الحسين إلّا جئت به » ، فقدموهم أمام رسول الله وهو يسألهم عمّا صنعوا بولده يوم كربلاء ، فواحد يقول : أنا حميت الماء عنه .

والآخر يقول : أنا رميته .

والثالث يقول : أنا وطأت صدره .

ورابع يقول : أنا قتلت ولده .

وهو يبكي حتّى بكى مَنْ حوله لبكائه ، ثمّ أمر بهم إلى النار ،

وجي برجل قال له : ما صنعت؟

قال كنت نجاراً ، وما حاربت ، ولا قتلت .

فقال : « لقد كثرت السواد على ولدي » ، فأمر به إلى النار .

ثمّ قدّموني إليه ، فحكيت له فعلي ، فأمر بي إلى النار ، فلمّا

قصّ الرؤيا على من حضر عنده ، يبس لسانه ، ومات نصفه ، وهلك بأسوأ حال ، وقد تبرّأ منه كلّ من سمع وشاهد .

وفي مدينة المعاجز ص ٢٦٣ باب ١٢٧ روي عن رجل أسدي

قال : « كنت زارعاً على نهر العلقمي بعد ارتحال عسكر بني أمّية ،

فرأيت عجائباً لا أقدر أن أحكي إلّا بعضاً منها : إذ هبت الريح تمرّ

عليّ نفحات كنفحات المسك والعنبر ، وأرى نجوماً تنزل من

السماء وتصعد مثلها من الأرض ، ورأيت عند غياب الشمس أسداً هائل المنظر ، يتخطى القتلى حتى وقف على جسد جلّله الأنوار ، فكان يمرّغ وجهه وجسده بدمه ، وله صوت عالٍ ، ورأيت شموعاً معلقة ، وأصواتاً عالية ، وبكاء وعويلًا ، ولا أرى أحداً»^(١).

وفي مناقب ابن شهر آشوب ج ٢ ص ١٩٠ : روى جماعة من الثقات : أنه لما أمر المتوكل بحرث قبر الحسين ، وأن يجري عليه الماء من العلقمي ، أتى زيد المجنون وبهلول المجنون إلى كربلاء ونظرا إلى القبر لم يتغيّر بما صنعوا^(٢).

وفي هذا دلالة على وصف النهر بالعلقمي في تلك الأيام ، ويؤكد ذلك ما في مزار البحار ص ١٦١ عن مزاري المفيد وابن المشهدي من ورود رواية بزيارة العباس عليه السلام غير مقيدة بوقت ، وفيها : «إذا وردت أرض كربلاء فأنزل منهما بشاطئ العلقمي ، ثم اخلع ثياب سفرك واغتسل غسل الزيارة مندوباً وقل ...»^(٣).

وفي تحية الزائر ص ١٣٥ ذكر عنهما وعن الشهيد الأول وابن طاووس ، ورود رواية بزيارة للحسين وقالوا : «إذا وردت قنطرة العلقمي فقل : إليك اللهم قصد القاصد ...»^(٤).

والظاهر منه ورود لفظ العلقمي في الرواية وليس من كلام العلماء ، خصوصاً بعد العلم بأنهم لا يذكرون إلا ما يعتمدون عليه في الروايات ، ومنه نعرف أن نهر العلقمي كان معروفاً في الأزمنة

(١) مدينة المعاجز ٤ : ٧٠ ، الباب ١٢٧ ، بحار الأنوار ٤٥ : ١٩٣ .

(٢) مناقب آل أبي طالب ٣ : ٢٢١ ، وعنه بحار الأنوار ٤٥ : ٤٠١ ، والعوالم : ٧٢٧ .

(٣) المزار للشيخ المفيد : ٩٩ ، المزار للمشهدي : ٣٧٠ .

(٤) المزار للمشهدي : ٤١٨ ، بحار الأنوار ٩٨ : ٢٣٢ .

السابقة على زمان ابن العلقمي الذي هو في القرن السابع .
 وجاء في نصّ الشيخ الطوسي ، ففي مصباح المتعجب ص ٤٩٩ :
 «إنّ الصادق عليه السلام قال لصفوان الجمّال : إذا أتيت الفرات (أعني شرعة
 الصادق بالعلقمي) فقل : اللهم أنت خير من وفد ..»^(١) .
 وعلى هذا يكون قول الفاضل السيّد جعفر الحلّي على الحقيقة :
وهو بجنب العلقمي فليته للشاربين به يداف العلقم
 نعم ، لم يُعرف السبب في التسمية به ، وما قيل في وجهها :
 (إنّ الحافر للنهر رجل من بني علقمة ، بطن من تميم ، ثمّ من دارم
 جدّهم علقمة بن زرارة بن عدس) لا يعتمد عليه ، لعدم الشاهد
 الواضح .

ومثله في ذكر السبب كثرة العلقم حول حافتي النهر ، وهو
 كالقول بأنّ عضد الدولة أمر بحفر النهر ووكله إلى رجل اسمه
 علقمة ، فإنّها دعاوى لا تعضدها قرينة ، على أنّك عرفت أنّ التسمية
 كانت قبل عضد الدولة .

وحكي في الكبريت الأحمر ج ٢ ص ١١٢ عن السيّد مجد الدين
 محمّد المعروف بمجدي من معاصري الشيخ البهائي في كتابه زينة
 المجالس المؤلّف سنة ١٠٠٤ : « أنّ الوزير السعيد ابن العلقمي لمّا
 بلغه خطاب الصادق عليه السلام للنهر : «إلى الآن تجري وقد حُرم جدي
 منك» أمر بسدّ النهر وتخريبه ، ومن أجله حصل خراب الكوفة ، لأنّ
 ضياعها كانت تسقى منه » .

(١) مصباح المتعجب للشيخ الطوسي : ٧١٨ ، المزار للشهيد الأوّل : ١١٨ .

مشهد الرأس

ذكر أرباب المقاتل أنّ عمر بن سعد أمر بالرؤوس ففُطعت ، فكانت ثمانية وسبعين رأساً ، أخذت كندة ثلاثة عشر ، وأقبلت هوازن باثني عشر ، وجاءت تميم بسبعة عشر رأساً ، وأقبلت بنو أسد بستّة عشر رأساً ، واختصت مذحج بسبعة ، ولسائر الجيش ثلاثة عشر رأساً^(١) .

وساروا بها إلى الكوفة ، ثمّ سيّر ابن زياد رأس الحسين ورؤوس من قُتل معه من أهله وصحبه مع السبايا إلى يزيد بالشام^(٢) .

(١) اللهوف في قتلى الطفوف : ٨٥ ، لواعج الأشجان : ١٩٧ .
(٢) تاريخ الطبري ٤ : ٣٥١ ، الكامل في التاريخ لابن الأثير ٤ : ٨٣ الثقات لابن حبان ٢ : ٣١٣ ، ينابيع المودة للقندوزي الحنفي ٣ : ٢٩ ، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١٤ : ٢٨٠ ، بلاغات النساء لابن طيفور : ٢١ ، البداية والنهاية لابن كثير ٨ : ٢٠٩ .

وقد تعصّب ابن تيمية فأنكر بعث ابن زياد للسبايا والرؤوس إلى يزيد ، وهو إنكار باطل ردّه كثير من المحدثين والمؤرخين .

قال الذهبي في السير ٣ : ٣١٩ : « أحمد بن محمد بن حمزة : حدّثني أبي ، عن أبيه ، قال : أخبرني أبي حمزة بن يزيد الحضرمي قال : رأيت امرأة من أجمل النساء وأعقلهن ، يقال لها : (ربا) ، حاضنة يزيد ، يقال : بلغت مئة سنة ، قالت : دخل رجل على يزيد ، فقال : أبشر ، فقد أمكنك الله من الحسين ، وجي برأسه ، قال : فوضع في طست ، فأمر الغلام فكشف ، فحين رآه خمر وجهه كأنه شمّ منه ، فقلت لها : أقرع ثناياه بقضيب ؟ قال : أي والله .

وقد حدّثني بعض أهلنا أنّه رأى رأس الحسين مصلوباً بدمشق ثلاثة أيام ، وحدّثني ربا أنّ الرأس مكث في خزائن السلاح حتّى ولي سلمان ، فبعث

ولم يترك سيّد الشهداء الدعوة إلى الدين ، وتفنيده عمل
الظالمين حتّى في هذا الحال ، وهو مرفوع على القناة ، فكان متمماً
لنهضته المقدّسة التي أراق فيها دمه الطاهر ، وقد استضاء خلق كثير
من إشراقات رأسه الأزهر .

لهفي لرأسك فوق مسلوب القنا يكسوه من أنواره جلاببا
يتلوا الكتاب على السنان وإنّما رفعوا به فوق السنان كتابا

ولا غرابة بعد أن كان سيّد الشهداء دعامة من دعائم الدين ،
ومنار هداه ، وعنه يأخذ تعاليمه ، ومنه يتلقّى معارفه ، وهو صراطه
المستقيم ، ومنهجه القويم ، دونه كانت مفاداته ، وفي سبيله سبقت

= فجى به ، وقد بقي عظاماً أبيض ، فجعله في سبط ، وطّبه وكفّنه ودفنه في
مقابر المسلمين ، فلمّا دخلت المسودة سألوا عن موضع الرأس فنبشوه
وأخذوه ، فالله أعلم ما صنع به .
وذكر باقي الحكاية ، وهي قوية الإسناد .

يحيى بن بكير ، حدّثني الليث قال : أبى الحسين أن يستأسر حتّى قتل بالطّف ،
وانطلقوا بنيه علي وفاطمة وسكينة إلى يزيد ، فجعل سكينة خلف سريره لئلا
ترى رأس أبيها ، وعلي في غلّ ، فضرب على ثنيتي الحسين وتمثل بذلك
البيت . . .» .

وفي مجمع الزوائد للهيتمي ٩ : ١٩٥ رواية الليث المتقدّمة ، وقال عقبها : «رواه
الطبراني ورجاله ثقات» .

والرواية في المعجم الكبير للطبراني ٣ : ١٠٤ ، وكذلك في تاريخ الإسلام
للذهبي ٧ : ٤٤٢ ، وتاريخ مدينة دمشق لابن عساكر ٧٠ : ١٥ ، الكامل في
التاريخ لابن الاثير ٤ : ٨٦ .

وفي الإصابة ٢ : ٧١ : «كان آخر ذلك أن قتل وأُتي برأسه إلى عبيد الله ،
فأرسله ومن بقي من أهل بيته إلى يزيد ، ومنهم علي بن الحسين وكان مريضاً ،
ومنهم عمته زينب ، فلمّا قدموا على يزيد أدخلهم على عياله» .

وكذلك في تاريخ الطبري ٤ : ٣٥٢ ، وغيرها من المصادر الكثيرة التي نطقت
بهذا الأمر ، فالتعلل بعدم إرسالهم إليه تعلل باطل لم يستند إلى دليل بعدما
أثبت المحدثون والمؤرّخون ذلك .

تضحيته ، فهو حليف القرآن منذ أنشئ كيانه ، لأنهما ثقلا رسول الله ، وخليفته على أمته ، وقد نصّ المشرّع الأعظم ﷺ بأنّهما لن يفترقا حتّى يردا عليه الحوض ، فبذلك كان سلام الله عليه غير مبارح تلاوته طول حياته ، في تهذيبه وإرشاده ، في دعوته وتبليغه ، في حلّه ومرتحله حتّى في موقفه يوم الطّف ، ذلك المأزق الحرج ، بين ظهرائي أولئك الطغاة المتجمهرين عليه ، ليتّم عليهم الحجة ، ويوضح لهم المحجة .

هكذا كان يسير إلى غايته المقدّسة سيراً حثيثاً ، حتّى طفق يتلو القرآن رأسه الكريم ، فوق عامل السنان ، عسى أن يحصل من يكهر به نور الحقّ ، غير أنّ داعية الحقّ والرشاد لم يصادف إلاّ قصراً في الإدراك ، وطبعاً في القلوب ، وصمماً في الأذان : ﴿ خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ ﴾^(١) .

وبلغ من غلواء ابن زياد وتيهه في الضلال أن أمر بالرأس الشريف فطيف به في شوارع الكوفة وسككها^(٢) .

يقول زيد بن أرقم : « كنت في غرفة لي ، فمروا بالرأس على رمح ، فسمعتة يقرأ : ﴿ أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا ﴾^(٣) ، فوقف شعري ، وقلت : رأسك أعجب و أعجب^(٤) » .

ولمّا صُلب في سوق الصّيارفة ، وهناك ضوضاء ، فأراد ﷺ لفت

(١) البقرة : ٧ .

(٢) تاريخ الطبري ٤ : ٣٤٨ .

(٣) الكهف : ٩ .

(٤) الإرشاد للشيخ المفيد ٢ : ١١٧ ، إعلام الوري بأعلام الهدى للطبري : ٤٧٣ ، الدر النظيم : ٥٦١ .

الأنظار نحوه ، تنحنح تنحنحاً عالياً ، فاتجه الناس نحوه ، وأبهرهم الحال ، فشرع في قراءة سورة الكهف إلى قوله تعالى : ﴿ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى ﴾ ^(١) « ^(٢) .

وعجب الحاضرون ؛ إذ لم تعهد هذه الفصاحة والإتيان على مقتضى الحال من رأس مقطوع ، وبقي الناس واجمون لا يدرون ما يصنعون .

ولمّا صُلب على شجرة بالكوفة سمع يقرأ قوله تعالى : ﴿ وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ ﴾ ^(٣) .

قال هلال بن معاوية : سمعت رأس الحسين يخاطب حامله ويقول : فرّقت رأسي وبدني إفرق الله بين لحمك وعظمك ، وجعلك آية ونكالا للعالمين ، فرفع اللعين سوطاً وأخذ يضرب بين رأسه المطهر ^(٤) .

وحدّث سلمة بن الكهيل أنّه سمع رأس الحسين بالكوفة يقرأ وهو مرفوع على الرمح : ﴿ فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ ^(٥) ^(٦) . كما سمعه ابن وكيدة يقرأ القرآن فشكّ أنّه صوته حيث لم يعهد مثله يتكلّم ، فإذا الإمام عليه السلام يخاطبه : « يا بن وكيدة ، أما علمت أنّ معاشر الأئمة أحياء عند ربّهم يرزقون ، فزاد تعجّبه وحدّث نفسه

(١) الكهف : ١٣ .

(٢) مناقب آل أبي طالب ٣ : ٢١٨ .

(٣) الشعراء : ٢٢٧ .

(٤) مدينة المعاجز للبحراني ٤ : ١٠٠ .

(٥) البقرة : ١٣٧ .

(٦) نهاية الدراية للصدر : ٢١٧ ، الوافي بالوفيات للصفدي ١٥ : ٢٠١ ؛ نفس الرحمن في فضائل سلمان للطبرسي : ٣٦٢ ، شرح إحقاق الحقّ للمرعشي ٣٣ :

أن يسرق الرأس ويدفنه ، فنهاه الإمام وقال : يا بن وكيدة ليس إلى ذلك سبيل ، إنَّ سفكهم دمي أعظم عند الله من إشهارهم رأسي ، فذرهم فسوف يعلمون إذ الأغلال في أعناقهم والسلاسل يسحبون»^(١) .

وفي طريقهم إلى الشام نزلوا عند صومعة راهب ، وفي الليل أشرف عليهم الراهب ، فرأى نوراً ساطعاً من الرأس الشريف ، وسمع تسبيحاً وتقديساً وتهليلاً وقائلاً يقول : السلام عليك يا أبا عبد الله ، فتعجب الراهب ! ولم يعرف الحال حتّى إذا أصبح وأراد القوم الرحيل سألهم عن الرأس ؟ فأخبروه أنّه رأس الحسين بن علي بن أبي طالب ، وأمه فاطمة ، وجده محمد المصطفى ، فطلب الرأس من خولي الأصبحي ، فأبى عليه ، فاسترضاه بمال كثير دفعه إليه ، وأخذ الراهب الرأس الشريف وقبّله وبكى وقال : تباً لكم أيّها الجماعة ، لقد صدقت الأخبار في قولها : إذا قتل هذا الرجل تمطر السماء دماً ، ثمّ أسلم ببركة الرأس الطاهر ، وبعد أن ارتحلوا نظروا إلى الدراهم فإذا هي خزف مكتوب عليها : ﴿ وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ ﴾^(٢) .

وحدّث المنهال بن عمر قال : « رأيت رأس الحسين بدمشق أمام الرؤوس ورجل يقرأ سورة الكهف فلمّا بلغ ﴿ أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا ﴾ ، وإذ الرأس يخاطبه بلسان فصيح : وأعجب من أصحاب الكهف قتلي وحملتي »^(٣) .

(١) مدينة المعاجز للبحراني ٣ : ٤٦٢ .

(٢) مدينة المعاجز ٤ : ١٠٤ .

(٣) الخرائج والجرائح للراوندي ٢ : ٥٧٧ ، الصراط المستقيم للعاملي : ١٧٩ ،

وفي هذا الحال كُله لم ينقطع الدم من الرأس الشريف ، وكان طرياً ، ويشم منه رائحة طيبة^(١) .

وبالرغم من جدّ يزيد في محو آثار أهل البيت واحتقار حرم النبوة حتّى أنزلهم في الخربة التي لا تكنهم من حرّ ولا برد^(٢) ، واستعماله القسوة بالرأس المقدّس ، من صلبه على باب الجامع الأموي^(٣) ، وفي البلد ثلاثة أيّام^(٤) ، وعلى باب داره^(٥) .

ولم يزل أهل الشام - ومن حضر فيها من غيرهم - يشاهدون كرامات باهرات من الرأس الزاهر لا تصدر إلا من نبيّ أو وصيّ نبيّ ، فأخرجهم الموقف ، خصوصاً بعد ما وقفت العقيلة زينب الكبرى سلام الله عليها في ذلك المجلس المغمور بالتمويهات والأضاليل ، فأفادت الناس بصيرة بنوايا ابن ميسون السيئة ، وموقفه من الشريعة الطاهرة ، وأنّه لم يرد إلا استئصال آل الرسول ، حيث لم يعهد في الإسلام مثل هذا الفعل الشنيع خصوصاً مع عيال النبيّ الكريم ، ذلك الذي ما زال يهتف في مواقفه الكريمة باحترام المرأة وعدم التعرّض لها بسوء ، وكان ﷺ يشدّد النكير إذا بلغه في مغازيه قتل النساء^(٦) .

حتّى إنّ جماعة من المسلمين لمّا استأذنوه لقتل ابن أبي

= فيض الغدير في شرح الجامع الصغير للمناوي ١ : ٢٦٥ ، سبل الهدى والرشاد للصالحى الشامي ١١ : ٧٦ .

(١) الخطط المقرزية ٤ : ٢٨٤ .

(٢) الأمالي للشيخ الصدوق : ٢٣٢ ، روضة الواعظين : ١٩٢ ، إقبال الأعمال لابن طاووس ٣ : ١٠١ ، الأنوار النعمانية ٣ : ٢٤٦ .

(٣) الأمالي للشيخ الصدوق : ٢٣٠ ، روضة الواعظين : ١٩١ .

(٤) الخطط المقرزية ٢ : ١٢٩ .

(٥) العوالم : ٤٤٣ .

(٦) مسند أحمد بن حنبل ١ : ٢٥٦ ، صحيح مسلم ٤ : ٢١ و ٥ : ١٤٤ ، سنن ابن ماجه ٢ : ٩٤٧ ، وغيرها من المصادر .

الحقيق أذن لهم ، وأمرهم بعدم التعرّض للنساء والصبيان وهم مشركون^(١) .

وعلى سيرته مشى المسلمون ، وإن سيدهم أمير المؤمنين عليه السلام لما أنزل عائشة في الدار ، قال له رجل من الأزد : والله لا تفلتنا هذه المرأة ، فغضب أمير المؤمنين عليه السلام وقال : « صه ، لا تهتك سترًا ، ولا تدخلن دارًا ، ولا تهيجن امرأة بأذى وإن شتمن أعراضكم ، وسفهن أمراءكم وصلحاءكم ، فأنهن ضعاف ، ولقد كنّا نؤمر بالكفّ عنهن وإنهن لمشركات ، وإن الرجل ليكافئ المرأة بالضرب ، فيعير بها عقبه من بعده ، فلا يبلغني عن أحد تعرض لامرأة فانكل به »^(٢) .

من هذا عرف الناس ضلال يزيد وتيهه في الباطل ، فاكثروا اللائمة عليه حتى من لم ينتحل دين الإسلام .

وحديث رسول ملك الروم مع يزيد في مجلسه أحدث هزة في المجلس ، وعرف يزيد الإنكار منهم ، وأنه لم تجد فيهم تلك التمويهات . وكيف تجدي وقد سمع من حضر المجلس صوتاً عالياً من الرأس المقدّس لما أمر يزيد بقتل ذلك الرسول : « لا حول ولا قوة إلا بالله »^(٣) .

وأيّ أحد رأى أو سمع قبل يوم الحسين عليه السلام رأساً مقطوعاً ينطق بالكلام الفصيح؟ وهل يقدر ابن ميسون أن يقاوم أسرار الله؟ أو يطفئ نوره تعالى شأنه؟ كلا .

(١) تاريخ الطبري ٢ : ١٨٤ ، البداية والنهاية لابن كثير ٤ : ١٥٧ ، السيرة النبوية لابن هشام ٣ : ٧٤٧ .

(٢) تاريخ الطبري ٣ : ٥٤٤ ، الكامل في التاريخ ٣ : ٢٥٧ ، وقسم منه في نهج البلاغة بشرح محمد عبده ٣ : ٥١٥ الكافي للكليني ٥ : ٣٩ .

(٣) العوالم : ٤٤٣ .

ولقد أنكرت عليه زوجته هند بنت عمرو بن سهيل ، وكانت عند عبد الله ابن عامر بن كريز ، وهو ابن خال عثمان بن عفان ، فإنَّ عامراً وارى أم عثمان أمهم أم حكيم البيضاء بنت عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف ، فاجبره معاوية على طلاقها لرغبة يزيد بها^(١) .
فإنَّها لما أبصرت الرأس الزاهي مصلوباً على باب دارها ، ورأت الأنوار النبوية تتصاعد إلى عنان السماء ، وشاهدت الدم يقطر منه طرياً ، أدهشها الحال ، وعظم مصابه في قلبها ، فلم تتمالك دون أن دخلت على يزيد في مجلسه ، مهتوكة الحجاب ، وهي تصيح رأس ابن بنت رسول الله على دارنا ، فقام إليها وغطاها وقال لها : اعولي وابكي على الحسين ، فإنه صريخة بني هاشم ، عجل عليه ابن زياد^(٢) .

ورأت في منامها كأن رجالاً نزلوا من السماء وطافوا برأس الحسين يسلّمون عليه ، ولما انتبهت جاءت إلى الرأس ، فأبصرت نوراً حوله ، فطلبت يزيد لتقصّ عليه الرؤيا ، فإذا هو في بعض الغرف يبكي ويقول : مالي ولحسين . وقد رأى مثل ما رأيت^(٣) ، فأصبح يزيد ومِلْ إذنه حديث الأنديّة عن القسوة التي استعملها والجور الشديد ، فلم يرَ مناصاً من إلقاء التبعة على عاتق ابن زياد وتبعيداً للسبّة عنه ، ولكنّ الثابت لا يزال ، وهذا هو السرّ في إنشاء كتاب صغير وصفه المؤرّخون بأنّه مثل (إذن الفأرة) ، أرفقه بكتابه الكبير

(١) مقتل الحسين للخوارزمي ٢ : ٨١ ، تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر ٦٢ : ٨٥ ، تاريخ الطبري ٤ : ٤٥٦ ، الكامل في التاريخ ٤ : ٨٤ ، وفي هذه المصادر وغيرها اسمها هند بنت عبد الله بن عامر بن كريز ، وليس عبد الله بن عامر زوجها بل أبوها .

(٢) المصادر المتقدمة باختلاف في بعض الألفاظ .

(٣) بحار الأنوار ٤٠ : ٨٠ .

إلى الوالي بأخذ البيعة من المدينة عامّة ، وفي الكتاب الصغير إلزام الحسين عليه السلام بالبيعة وإن أبى تضرب عنقه ^(١) .

وليس الغرض من إنشاء الكتاب الصغير إلا أنّ يزيد لمّا كان عالماً بأنّ النبي صلى الله عليه وآله لم يجعله خليفة ، ولا كانت بيعته ممّا اتفق عليها صلحاء الوقت وأشراف الأمّة ، وما صدر من الموافقة منهم يوم أرادها أبوه معاوية إنّما هو للوعيد والتهديد ، فأراد يزيد أن يخلي رسمياته عن الأمر بقتل الحسين عليه السلام بحيث لو صدر ذلك من عامله ولامه الناس وخطأوه ، تدّرّع بالعذر بخلوّ كتابه للعامل بهذا الفعل ، وإنّما هو شي جاء به من قبل نفسه ، وكان له المجال حينئذٍ في إلقاء التبعة على العامل .

ولكن هلمّ واقراً العجيب الغريب في إحياء العلوم ج ٣ ص ١٠٦ في الآفة الثامنة من آفات اللسان ، فهناك ترى الغزالي تائهاً في الغلواء لمّا وشجت عليه عروق النصب والتحيز إلى الأمويين ، فأبى أن يلعن قاتل الحسين عليه السلام حتّى على الإجمال فيقال : « لعنة الله على قاتل الحسين » ، معللاً باحتمال موته بعد التوبة . وقد فاته أنّ التائب إن قبلت توبته لا يشملُه اللعن ، فإذا أيّ بأس إذا قيل : لعنة الله على قاتل الحسين عليه السلام ، لولا ذلك العداء المحتدم بين الحوائج والبغض لأهل هذا البيت الطاهر؟!

وأغرب من ذلك قياسه يزيد بوحشي قاتل حمزة أسد الله وأسد رسوله ، فقال فيه : إنّ وحشي تاب عن الكفر والقتل جميعاً ، ولا يجوز أن يلعن ، مع أنّ القتل كبيرة ، فإذا لم يقبّده بالتوبة وأطلق

(١) تاريخ الطبري ٤ : ٢٥٠ ، الكامل في التاريخ ٤ : ١٤ ، البداية والنهاية ٨ :

كان فيه خطر... إلى آخره^(١).

لا قياس بين يزيد ووحشي ، فإنّ وحشياً قتل حمزة وهو كافر ، فلما أسلم سقطت عنه كلّ تبعة كانت عليه ، لأنّ الإسلام يجب ما قبله ، بخلاف يزيد فإنه قتل الحسين عليه السلام وهو يظهر الإسلام ، وقد ارتدّ بقتله ؛ إما لأنّ الحسين عليه السلام إمام معصوم ، أو لتشفّيه بذلك من رسول الله ﷺ بما صنعه مع خاله وجده يوم بدر .

على أنّ من المقطوع به أنّ من باء بذلك الإثم العظيم وهو قتل الحسين عليه السلام لا يتوفّق للتوبة نهائياً ، فإنه من الذنوب التي لا تدع صاحبها أن يتحيّز إلى خير أبداً .

كما أنّ من المقطوع به أنّ وحشياً وإن أظهر الإسلام أمام الرسول ﷺ

وسكت عنه النبي وقال : « غيّب وجهك عني »^(٢) فلا يختم له بالصلاح والسعادة أبداً ، ولا يأتي يوم القيامة وعليه شارة الهدى ، وقد قتل سيّد الشهداء حمزة بن عبد المطلب الشاهد للأنبياء بالتبليغ وأداء الرسالة .

(١) إحياء علوم الدين للغزالي ٣ : ١٨٦ ، الآفة الثامنة في اللعن .
 (٢) فتح الباري ٧ : ٢٨٤ ، المعجم الأوسط للطبراني ٢ : ٢٢٢ ، الاستيعاب لابن عبد البر ٤ : ٦٥ ، أسد الغابة لابن الاثير ٥ : ٨٤ ، تهذيب التهذيب لابن حجر ١١ : ١٠٠ ، الكامل في التاريخ لابن الاثير ٢ : ٢٥١ ، الوافي بالوفيات للصفدي ٢٧ : ٢٥٣ ، وذكر ابن الاثير في أسد الغابة ٥ : ٨٤ : « قال موسى بن عقبة عن ابن شهاب : مات وحشي في الخمر ، أخرجه الثلاثة » ، وفي شرح مسند أبي حنيفة لملا علي القاري : ٥٢٨ ، وابن كثير في البداية والنهاية ٤ : ٢٢ ، السيرة النبوية لابن هشام ٣ : ٥٩٢ ، السيرة الحلبية للحلي ٢ : ٥٣٨ ، واللفظ للأول : « وقال ابن الهمام : بلغني أنّ وحشياً لم يزل يحد في الخمر حتّى خلع من الديوان ، فكان ابن عمر يقول : لقد علمت أنّ الله تعالى لم يكن ليدع قاتل حمزة رضي الله عنه هذا... » .

كيف لا يلعن يزيد وقد جوّز العلماء المنقّبون لعنه ، وصرّحوا بخروجه عن طريقة الإسلام ، كما أفصح عن ذلك شعره ، فلمّا وردت عليه سبايا آل الرسول وأشرفوا على ثنية جيرون ونعب الغراب قال^(١) :

لَمَّا بَدَتْ تِلْكَ الْحُمُولَ وَأَشْرَقَتْ

تِلْكَ الشَّمُوسُ عَلَى رَبِي جِيروني

نَعْبُ الْغُرَابِ فَقُلْتُ قُلْ أَوْ لَا تَقُلْ

فَقَدْ اقْتَضَيْتَ مِنَ الرَّسُولِ دِيُونِي؟!

فمن أولئك العلماء القاضي أبو يعلى ، وأحمد بن حنبل ، وابن الجوزي^(٢) ، والكيّا الهراسي^(٣) ، والشيخ محمّد البكري ، وسعد

(١) روح المعاني للآلوسي ٢٦ : ٧٢ ، في تفسير قوله تعالى : ﴿ فَبَلَّغْ عَسَيْتُمْ أَنْ تَتُوبَ عَلَيْهِمْ ﴾ .

(٢) قال سبط بن الجوزي في تذكرة الخواصر ٢ : ٢٦٦ : « وذكر جدّي أبو الفرج في كتاب الردّ على المتعصّب العنيد المانع من ذمّ يزيد ، وقال : سألتني سائل فقال : ما تقول في يزيد بن معاوية ؟ فقلت له : يكفيه ما به .

فقال : أتجوز لعنته ؟

فقلت : قد أجازها العلماء الورعون ، منهم أحمد بن حنبل ، فإنّه ذكر في حق يزيد ما يزيد على اللعنة .

قال جدي : وأخبرنا أبو بكر محمّد بن عبد الباقي البزار ، أنبأنا أبو إسحاق البرمكي ، أنبأنا أبو بكر بن عبد العزيز بن جعفر ، أنبأنا أحمد بن محمّد الخلال ، حدّثنا محمّد بن علي ، عن مهنا ابن يحيى قال : سألت أحمد بن حنبل عن يزيد بن معاوية ؟

فقال : هو الذي فعل ما فعل !

قلت : وما فعل ؟

قال : نهب المدينة !

قلت : فتذكر عنه الحديث ؟

= قال : لا ، ولا كرامة ، لا ينبغي لأحد أن يكتب عنه الحديث .
وحكى جدي أبو الفرج عن القاضي أبي يعلى الفراء في كتابه (المعتمد في
الأصول) بإسناده إلى صالح بن أحمد بن حنبل قال : قلت لأبي : إن قوماً
ينسبوننا إلى توالي يزيد؟
فقلت : فلم لا تلعنه؟

فقال : فمتى رأيتني لعنت شيئاً يا بني لم لا يلعن من لعنه الله في كتابه؟
فقلت : وأين لعن الله يزيد في كتابه؟
فقال : في قوله تعالى : ﴿ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا
أَرْحَامَكُمْ ﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعَمَّى أَبْصَارَهُمْ ﴿ محمد : ٢٢ - ٢٣
فهل يكون فساد أعظم من القتل؟
وفي رواية لما سأل صالح فقال : يا بني ما أقول في رجل لعنه الله في كتابه؟
وذكره .

قال جدي : وصنف القاضي أبو يعلى الفراء كتاباً ذكر فيه بيان من يستحق
اللعن ، وذكر منهم يزيد ، وقال في الكتاب المذكور : الممتنع من جواز لعن
يزيد إما أن يكون غير عالم بذلك ، أو منافقاً يريد أن يوهم بذلك ، وربما
استفز الجهال بقوله عليه السلام : «المؤمن لا يكون لعناً» .

قال القاضي أبو الحسن : وهذا محمول على من لا يستحق اللعن .
فإن قيل : فقوله تعالى : ﴿ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ ﴾ محمد :
(٢٢) نزلت في منافقي اليهود؟

قلت : فقد أجاب جدي عن هذا في كتابه (الرد على المتعصب العنيد) وقال
في الجواب : إن الذي نقل هذا مقاتل بن سليمان ، ذكره في تفسيره ، وقد
أجمع عامة المحدثين على كذبه ؛ كالبخاري ، ووكيع ، والساجي ، والسعدي
والرازي ، والنسائي ، وغيرهم .

وقال : فسرّها أحمد بأنها في المسلمين ، فكيف يقبل قول أحد إنها نزلت في
المنافقين؟

فإن قيل : فقد قال النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - : «أول جيش يغزو
القسطنطينية مغفور له» ، ويزيد أول من غزاها؟
قلنا : فقد قال النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - : «لعن الله من أخاف
مدينتي» والآخر ينسخ الأول ...

= وأما قوله - صَلَّى الله عليه [وآله] وسلّم - : «أول جيش يغزو القسطنطينية» ، فإنما يعني أبا أيوب الأنصاري ، لأنه كان فيهم .
ولا خلاف أن يزيد أخاف أهل المدينة ، وسبى أهلها ، ونهبها ، وأباحها وتسمى وقعة الحرّة ...

وقال جديّ في كتاب (الردّ على المتعصب العنيد) : ليس العجب من قتال ابن زياد الحسين ، وتسليطه عمر بن سعد على قتله والشّمر ، وحمل الرؤوس إليه ، وإنما العجب من خذلان يزيد ، وضربه بالقضيب ثناياه ، وحمل آل رسول الله - صَلَّى الله عليه [وآله] وسلّم - سبايا على أقتاب الجمال وعزمه على ان يدفع فاطمة بنت الحسين إلى الرجل الذي طلبها ، وإنشاد أبيات ابن الزبير : ليت أشياخي بيدر شهدوا ..

ورده الرأس إلى المدينة - وقد تغيّر ريحه - وما كان مقصوده إلا الفضيحة وإظهار رائحته للناس ، أفيجوز أن يفعل هذا بالخوارج؟! أليس إجماع المسلمين أن الخوارج والبلغاة يكفنون ويصلّون عليهم ويدفنون؟!
وكذا قول يزيد : لي أن أسبيكم - لما طلب الرجل فاطمة بنت الحسين - قول لا يقنع لقائله وفاعله اللّعة .

ولو لم يكن في قلبه أحقاد جاهليّة ، وأضغان بدريّة لاحترام الرأس لما وصل إليه ، ولم يضربه بالقضيب ، وكفّنه ودفنه ، وأحسن إلى آل رسول الله - صَلَّى الله عليه [وآله] - .

قلت : والدليل على صحة هذا أنه استدعى ابن زياد إليه وأعطاه أموالاً عظيمة ، وتحفاً كثيرة ، وقرب مجلسه ، ورفع منزلته ، وأدخله على نسائه ، وجعله نديمه ، وسكر ليلة فقال للمغني : غنّ ، ثمّ قال يزيد بديهاً :

اسقني شربة ترؤي فؤادي	ثمّ مل فاسقٍ مثلها ابن زياد
صاحب السرّ والأمانة عندي	ولتسديد مغنمي وجهادي
قاتل الخارجي أعني حسينا	ومبيد الأعداد والحساد

وقال ابن عقيل : ومما يدل على كفره وزندقته - فضلاً عن جواز سبه ولعنته - أشعاره التي أفصح فيها بالإلحاد ، وأبان عن خبث الضمير وسوء الاعتقاد ، فمنها قوله في قصيدته التي أولها :

عُليّة هاتي واعلني وترنمي	بذلك إنّي لا أحبّ التناجيا
حديث أبا سفيان قدماً سما بها	إلى أحدٍ حتّى أقام البواكيا

التفتازاني^(٤)، وسبط ابن الجوزي^(٥).

وقال الجاحظ: «إن المنكرات التي اقترفها يزيد من قتل الحسين وإخافته أهل المدينة، وهدم الكعبة، وحمل بنات رسول الله ﷺ سبايا، وقرعه ثنايا الحسين عليه السلام بالعود، هل تدل هذه القسوة والعلظة على نصب وسوء، وأي حقد و بغضاء ونفاق و يقين مدخول؟

= إلهات فاسقيني على ذاك قهوة تخيرها العنسي كرمًا شاميا
إذا ما نظرنا في أمور قديمة وجدنا حلالاً شربها متواليا
وإن مت - يا أم الاحيمر - فانكحي ولا تأملي بعد الفراق تلاقيا
فإن الذي حدثت عن يوم بعثنا أحاديث طسم تجعل القلب ساهيا
إلى غير ذلك مما نقلته من ديوانه، ولهذا تطرق إلى هذه الأمة العار بولايته
عليها، حتى قال أبو العلاء المعري يشير بالشئار إليها:

أرى الأيام تفعل كل نكر فما أنا في العجائب مستزيد
أليس قريشكم قتلت حسينا وكان على خلافتكم يزيد
قلت: ولمّا لعنه جدّي أبو الفرج على
المنبر ببغداد بحضرة الإمام الناصر
وأكابر العلماء، قام جماعة من الجفّة
من مجلسه فذهبوا، فقال جدّي:
﴿أَلَا بُغْدًا لِمَدَّيْنِ كَمَا بَعِدَتْ ثُمُودُ﴾
هود: ٩٥.

وحكي لي بعض أسيافنا عن ذلك اليوم أنّ جماعة سألوا جدّي عن يزيد؟
فقال: ما تقولون في رجل ولي ثلاث سنين: في السنة الأولى قتل الحسين،
وفي السنة الثانية أخاف المدينة وأباحها، وفي السنة الثالثة رمى الكعبة
بالمجانيق وهدمها وحرّمها؟

فقالوا: يلعن؟

فقال: فالعنوه» تذكرة الخواص ٢ - ٢٦٥ - ٢٨٠، وارجع لكلام ابن الجوزي
- الجدّ - في كتاب الردّ على المتعصب العنيد: ١٣ - ١٧.

(٣) وفيات الأعيان ٣: ٢٨٧، فوات الوفيات ٢: ٦٤١، جواهر المطالب في
مناقب الإمام علي: ٣٠٢، السيرة الحلبية ١: ٣٦٧.

(٤) السيرة الحلبية ١: ٢٦٧.

(٥) تذكرة الخواص ٢: ٢٦٥ - ٢٨٠.

أم تدلّ على الإخلاص وحب النبي والحفظ له وصحة السيرة؟
وعلى هذا فلا يعدو الفسق والضلال ، وذلك أدنى مناله ،
فالفاسق ملعون ، ومن نهى عن شتم الملعون فملعون»^(١) .

وقال العلامة الألوسي : « لا توقّف في لعن يزيد ، لكثرة أوصافه
الخبیثة ، وارتكابه الكبائر في جميع أيّام تكاليفه ، ويكفي ما فعله
أيّام استيلائه بأهل المدينة ومكّة ، والطامة الكبرى ما فعله بأهل
البيت ، ورضاه بقتل الحسين على جدّه وعليه أفضل الصلاة
والسلام ، واستبشاره بذلك وإهانته بأهل بيته ممّا تواتر معناه .

والذي يغلب على ظني أنّ الخبيث لم يكن مصدّقاً بالرسالة ،
وأنّ مجموع ما فعله مع أهل حرم الله وأهل نبيّه وعترته الطيّبين
الطاهرين في الحياة وبعد الممات ، وما ورد منه من المخازي ، ليس
بأضعف دلالة على عدم تصديقه من إلقاءه ورقة من المصحف
الشریف في قدر ، ولا أظنّ أمره خافياً على أجلة المسلمين إذ ذاك ،
ولكن كانوا مغلوبين مقهورين ، لم يسعهم إلا الصبر ، ليقض الله أمراً
كان مفعولاً .

ولو سلّم أنّ الخبيث كان مسلماً ، فهو مسلّم جمع من الكبائر
ما لا يحيط به نطاق البيان ، وأنا أذهب إلى جواز لعن مثله على
التعيين ، ولو لم يتصوّر أن يكون له مثل من الفاسقين ، والظاهر أنّه لم
يتب ، واحتمال توبته أضعف من إيمانه .

ويلحق به ابن زياد وابن سعد وجماعة ، فلعنة الله عليهم
أجمعين ، وعلى أنصارهم وشيعتهم ومن مال ميلهم إلى يوم الدين ،
ما دمعت عين على أبي عبد الله الحسين عليه السلام ، ويعجبني قول شاعر

(١) رسائل الجاحظ : ٢٩٨ ، الحادية عشر في بني أمية .

العصر عبد الباقي أفندي العمري :

يزيد على لعن عريض جنابة

فأغدو به طول المدى لعن اللعنا

ومن يخشى القيل والقال بلعن ذلك الضليل فليقل : لعن الله من رضي بقتل الحسين ، ومن آذى عترة النبي بغير حق ، ومن غصبهم حقهم ، فإنه يكون لاعناً له ، لدخوله تحت العموم دخولاً أولاً في نفس الأمر .

ولا يخالف أحد في جواز اللعن بهذه الألفاظ سوى ابن العربي المالكي وموافقيه ، فإنهم على ظاهر ما نقل عنهم لا يجوزون لعن من رضي بقتل الحسين ، وذلك لعمرى هو الضلال البعيد الذي كاد يزيد على ضلال يزيد ... إلى آخره»^(١) .

وبعد هذا فهل يتوقف أحد من لعن يزيد والبراءة منه؟ وإن كان فليس هؤلاء إلا الضلال والعناد أعاذ الله أولياءه من شرّ الحقد .

لمّا كثرت اللائمة على يزيد خشي الفتنة وانقلاب الأمر ، فتداركه بإرجاع السجاد والعيال إلى وطنهم ، ومكّنهم ممّا يريدون برأس الحسين إلى كربلاء ودفنه مع الجسد ، ولم يختلف في ذلك إثنان من علماء الإمامية المعروفين بالبحث والتنقيب ، ومن هنا نسبة المجلسي في البحار إلى المشهور بين العلماء^(٢) .

وفي روضة الواعظين ص ١٦٥^(٣) قال : ردّ الرأس إلى الجسد .

(١) روح المعاني للآلوسي ٢٦ : ٧٤ ، في تفسير قوله تعالى ﴿فهل عسيتم أن توليتم﴾ الآية .

(٢) بحار الأنوار ٤٥ : ١٤٤ .

(٣) روضة الواعظين : ١٩٢ .

وقال ابن نما في مثير الأحزان ص ٥٨ : إنه المعول عليه ^(١) .
 وفي اللهوف لابن طاووس ص ١١٢ ^(٢) : عليه عمل الإمامية .
 وقال ابن شهر آشوب في المناقب ج ٢ ص ٢٠٠ : ذكر المرتضى
 في بعض رسائله أن رأس الحسين أُعيد إلى بدنه في كربلاء ^(٣) .
 وقال الطوسي : ومنه زيارة الأربعين ^(٤) .
 وفي مقتل العوالم ص ١٥٤ : إنه المشهور بين علمائنا ^(٥) .
 وهو ظاهر الطبرسي في إعلام الوريّ ص ١٥١ ^(٦) ، والسيد في
 رياض المصائب .

وأما باقي الرؤوس فلم يتعرض لها أرباب المقاتل ، ولكن في
 نفس المهموم ص ٢٥٣ ، ورياض الأحزان ص ١٥٥ عن حبيب السير :
 أن يزيد سلّم جميع الرؤوس إلى علي بن الحسين فألحقها بالأبدان
 الطاهرة في العشرين من صفر ، ثمّ توجه إلى المدينة ^(٧) .
 ولعلّ الاعتبار يساعده ، فإنّ يزيد لمّا نقم عليه الناس وكثر
 الاضطراب ، لم يرَ بداً من موافقة الإمام السجاد على كلّ ما يريد
 وإخراجهم من الشام عاجلاً .

نعم ، ذكر العلامة السيّد محسن الأمين في أعيان الشيعة ج ٤
 ص ٢٩٠ القسم الأوّل : أنّه رأى في سنة ١٣٢١ هـ في المقبرة

(١) مثير الأحزان : ٨٥ .

(٢) اللهوف في قتلى الطفوف : ١١٤ .

(٣) مناقب آل أبي طالب ٣ : ٢٣١ .

(٤) تهذيب الأحكام ٦ : ١١٤ .

(٥) العوالم : ٣٢٧ والعبارة : « وذكر المرتضى في بعض مسائله : أن رأس
 الحسين عليه السلام ردّ إلى بدنه عليه السلام بكربلاء من الشام وضمّ إليه » .

(٦) إعلام الوريّ ١ : ٤٧٦ .

(٧) معالي السبطين ٢ : ١٩١ .

المعروفة بمقبرة باب الصغير بدمشق مشهداً وضع على بابه صخرة مكتوب عليها : « هذا مدفن رأس العباس ابن علي ، ورأس علي الأكبر بن الحسين ، ورأس حبيب بن مظاهر » .

قال : « ثم إنه انهدم بعد ذلك بسنين هذا المشهد ، وأعيد بناؤه ، وأزيلت هذه الصخرة ، وبني ضريح داخل المشهد ، ونقش عليه أسماء كثيرة لشهداء كربلاء ، ولكن الحقيقة أنه منسوب إلى الرؤوس الشريفة الثلاثة المقدم ذكرها بحسب ما كان موضوعاً على بابه كما مرّ ، وهذا المشهد الظنّ القوي بصحة نسبته ، لأنّ الرؤوس بعد حملها إلى دمشق والطواف بها وانتهاء غرض يزيد من إشهار الغلبة والتنكيل بأهلها والتشفي ، لا بدّ أن تدفن في إحدى المقابر ، فدفنت هذه الرؤوس الثلاثة في مقبرة باب الصغير ، وحفظ محلّ دفنها والله أعلم ... إلى آخره »^(١) .

هذا ما ذكره السيّد أيده الله ، ولو اطلع على حبيب السير لاعتقد عدم صحة الدفن هناك ، على أنّ التغيير الذي ذكره يدلّنا على أنّ الحفظة لذلك المشهد لهم غرض آخر ، وليس بالمستبعد أن ذلك المشهد محلّ صلب الرؤوس .

وحقيق أن يقال في كلّ منها :

هامة في الحياة طاولت الشهب وما نالها هبوب الرياح
أنفت بعد موتها الترب فاخترت لها مسكناً رؤوس الرماح

مشهد الكفين

لم يفتأ شيعة أهل البيت عليه السلام كما أنهم يقتصّون آثارهم في معارفهم وتعاليمهم ، يتبرّكون بتعيين كلّ ما يتعلّق بهم من مشهد أو معبد أو مقام ، فيتبعونها بالحفاوة والتبجيل ، ويرون ذلك من متممات الولاء ولوازم الاتباع والمشايعة .

وهو كما يرون لأنّه إمّا مشهد يزار ، أو معبد يقصد للعبادة ، أو محلّ مسرّة فيسرّهم ذلك ، أو موقف مأساة فيستأثرون لهم ، وهذا هو التشييع المحض ، والاقتداء الصحيح .

ومن ذلك ما نشاهده في كربلاء المشرفة من المقام (لكفي أبي الفضل) اللذين تناقلتهما الألسن ، وأخذ حديثهما الخلف عن السلف والسيرة المستمرة بين الإمامية كافية في القطع بثبوت (المقامين) ، ولولاها لانتقض الأمر في كثير من المشاهد والمعابد والمقامات .

يقع مقام (الكفّ اليمنى) في جهة الشمال الشرقي على حدّ محلة باب بغداد ومحلة باب الخان ، قريباً من باب الصحن المطهر الواقعة في الجهة الشرقية ، وعلى جدار المقام شباك صغير ، وعلى جبهته بيتان بالفارسية لم يكتب اسم ناظمهما ، ولا تاريخ البناء ، ولا وضع الشباك ، والبيتان :

أفتاد دست راست خدایا زبیکرم

بِر دامنِ حسینِ پِرسانِ دَسْتِ دیکرم

دست جـبـم بـجـاست

اکـر نـیست دست راست

اما هزار حیف که

یک دست بیـصداست

و یقع مقام (الکفّ الیسریٰ) فی السوق الصغیر القریب من الباب الصغیر للصحن الواقعة فی الجنوب الشرقي ، و یعرف بسوق باب العباس الصغیر ، و علی الجدار شبّاک ، و کتب بالقاشانی علیه : « هذا نظم الشیخ محمّد المعروف بالسراج » .

سل إذا ما شئت واسمع واعلم

ثمّ خذ منّي جواب المفهم

إنّ فی هذا المقام انقطعت

یسرة العباس بحر الکرم

هاهنا یا صاح طاحت بعدما

طاحت الیمنی بجنب العلقم

إجر دمع العین وابکیه أسأ

حق أن یبکی بدمع عن دم

الزيارة

ذكرنا فيما تقدّم أنّ الزيارة من المأثور عن الإمام الصادق عليه السلام ، ولكمال فضله وعلمه الجَمّ ، وورعه الموصوف وكراماته الخارجة عن حدّ الإحصاء ، كان في المثل حول مرقده الأقدس بداعي الزلفى إلى المولى تعالى مزيد لرسوخ العقيدة بأمر الدين ، وتعريف للأمة بما وجب من حقّ الله تعالى على خلقه ، وإنّ العبد كيف يجب عليه بذل ذاته في مرضاة الله عزّ وجلّ .

ثمّ إنّ الزيارة وإن كانت مجرد الحضور عند المزور والسلام عليه بأي لفظ جاء به المسلّم ، كما يؤيّد حديث مسلم ابن ظبيان عن الصادق عليه السلام : «إذا أتيت القبر يعني قبر الحسين فقل : صلّى الله عليك يا أبا عبد الله ، فقد تمّت زيارتك»^(١) .

ولكنّ الألفاظ الواردة عن أهل البيت يلزم الاحتفاظ بها ، لأنّها اشتملت على ما يناسب مقام المزور من الخواص ، وما له من جهاد نافع في سبيل الدين ، مضافاً إلى ما فيها من التأدّب عند أداء السلام عليه .

فالقول المأثور من أهل البيت عليه السلام في السلام عليهم أو على أحد أولادهم أو أصحابهم راجح ، ومن هنا أفتى صاحب الرسائل فيها وخاتمة المحدثين النوري في المستدرک باستحباب زيارة

(١) كامل الزيارات : ٢٤٤ ، تهذيب الأحكام ٦ : ١١٥ .

الحسين بالزيارة المأثورة وآدابها ، ولا خصوصية له على غيره من أئمة الهدى عليه السلام ، وبذلك المناط يتسرى إلى غيرهم .
ومن يقرأ ما ورد عن الإمام الصادق في زيارة أبي الفضل بتدبر وإمعان يعرف رجحان الأخذ بقوله عليه السلام ، وإنّ الزائر مهما يبلغ من المعرفة والكمال لا يحيط خبراً بحقيقة أبي الفضل ، وما يليق بجليل قدره ، وعظيم منزلته .

ومن هنا كان الراجح للزائر عند زيارة العباس أن يقف مواجهاً له مستدبراً القبلة ، كما هو الشأن في زيارة المعصومين ، وهو مقتضى التأدب أمام «قمر بني هاشم» ، فإنّ زيارته ميتاً كزيارته حياً (والشهداء أحياء عند ربهم يرزقون) ، ولا شك أنّه لو كان حياً ودخل عليه الزائر يسلم عليه إلا مواجهاً له .

ويشهد لذلك ما في مزار البحار ص ١٦٥ عن المفيد وابن المشهدي والشهيد الأوّل أنّهم قالوا : إنّ الزائر للعبّاس يقف أولاً على باب السقيفة ويستأذن للدخول فيقول : سلام الله وسلام ملائكته ... إلى آخره ، ثمّ يدخل وينكبّ على القبر ويقول : السلام عليك أيها العبد الصالح ... إلى آخره ، ثمّ ينحرف إلى عند الرأس فيصلّي ويدعو ، ويعود إلى الضريح ويقف عند الرجلين ويقول : السلام عليك يا أبا الفضل العباس ... إلى آخره^(١) .

وقد يدعى أنّ هذه العبارة وما رواه ابن قولويه عن أبي حمزة الثمالي يقتضي الوقوف على قبر العباس من دون تخصيص بجهة من الجهات ، فإنّ العبارة : «ثمّ ادخل وانكب على القبر وقل ، ... إلى

(١) المزار للشيخ المفيد : ١٢٠ ، المزار للمشهدي : ٣٨٩ ، وعنهما بحار الأنوار

آخره»^(١) ، ولم يبيّن كيفية الانكباب هل أنّه من جهة القبلة ، كما هو شأن زيارة الإمام المعصوم ، أو من جهة عكسها ، أو من جهة الرجلين أو الرأس؟

إلا أنّ المنصرف من الإطلاق إرادة جهة القبلة ، خصوصاً لو كان الباب التي يدخل منها إلى الروضة المطهرة في ذلك الزمان كما عليه اليوم ، وحينئذ تكون زيارة أبي الفضل على حدّ زيارة المعصوم مواجهاً له مستدبراً القبلة .

فالتوقّف عن رجحان مواجهته حال الزيارة في غير محلّه ، واستظهار المجلسي تخير الوقوف في زيارته محلّ المناقشة ، فإنّه لم يرد عن الأئمة خبر التفصيل بين المعصوم وغيره باستحباب المواجهة له في الأوّل واستقبال القبلة في الثاني .

وغاية ما ورد في زيارة الحسين وأبيه عليه السلام مواجهة القبر وجعل القبلة بين كتفيه ، وهناك أخبار مطلقة بالوقوف على قبريهما كإطلاقها على قبري الجوادين والعسكريين والرضا عليه السلام ، فلا تخصيص للمعصوم على غيره .

وما ورد في صفة زيارة المؤمنين من استقبال القبلة ، ووضع اليد على القبر ، والتوقيع المروي في الإقبال عن صاحب الزمان عجل الله فرجه : «إذا أردت زيارة الشهداء فقف عند رجلي الحسين فاستقبل القبلة بوجهك ، فإنّ هناك حومة الشهداء ، وقم وأشر إلى علي بن الحسين وقل : السلام عليك يا أوّل قتيل من نسل خير سليل ... إلى آخره»^(٢) .

(١) كامل الزيارات : ٤٤٠ .

(٢) المزار للمشهدي : ٤٨٦ ، إقبال الأعمال لابن طاووس ٣ : ٧٣ ، وعنه البحار

أخص من المدعى ، على أن الاعتبار يشهد بأن السلام والثناء على المزور يستدعي مواجهته لا استدباره .

وكيف يكون الحال ، فأبو الفضل ممتاز عن سائر المؤمنين بخواص لا يأتي البيان على حصرها ، كيف وقد بلغ من الدرجات الرفيعة ما يغطه عليها جميع الشهداء والصديقين ، وقد أعلمنا الإمام الصادق بالزيارة التي علمها أبا حمزة الثمالي بأن لأبي الفضل مكانة سامية ودرجات عالية لا ينالها إلا أولوا العزم من الرسل .

فرجحان مواجهته عند السلام عليه متعين ، كما هو الحال في أئمة الهدى ، عليهم السلام وبذلك أفتى شيخنا الحجة الشيخ عبد الحسين مبارك رحمته الله في بشارة الزائرين ثم قال :

« ولعمر أبيه الطاهر صلوات الله وسلامه عليهما أنه بذلك لحقيق جدير ، فإنه ابن سيد الوصيين ، والمواسي ريحانة خير الخلق أجمعين عليه السلام » .

ومن هنا كان بعض العارفين من العلماء الأعلام يقدم زيارة العباس على زيارة الحسين ، لأنه باب في الحوائج ، وهو في محله ، وعليه العمل منذ عهد قديم ، وفي هذا يقول الأديب السيد مهدي الأعرجي رحمته الله :

قصدتك قبل ابن النبي محمد

وأدمع عيني كالحيا في انسكابها

لأنك في كل الحوائج باب

وهل يقصدون الدار من غير بابها

صلاة الزيارة

إنّ من الراجح المؤكّد صلاة ركعتين بعد الفراغ من زيارة أبي الفضل عليه السلام ، ويشهد له ما في مزار البحار ص ١٦٥ عن مزار المفيد وابن المشهدي من الرواية عن الأئمة عليهم السلام في كيفية زيارته وبعدها قال : « ثُمَّ انحرَف إلى عند الرأس فصلّ ركعتين ، ثُمَّ صلّ بعدهما ما بدا لك » ^(١) .

وذكر السيّد ابن طاووس في مصباح الزائر الصلاة ركعتين بعد الفراغ من الزيارة .

كما أنّ الشيخ المفيد وابن المشهدي وابن طاووس ذكروا في مزاراتهم عند زيارة العباس يوم عيد الفطر والأضحى وليلة عرفة ويومها ، الأمر بركعتي الزيارة بعد الفراغ منها ^(٢) .

وجاء في زيارة الأربعين : أن جابر الأنصاري زار العباس بن أمير المؤمنين ثُمَّ صلّى ركعتين ، ومن البعيد جداً أن يكون الحكم ممنوعاً منه عند الأئمة ، ولا يعلمه مثل جابر المتخرّج من مدرستهم

(١) المزار للشيخ المفيد : ١٢٣ ، المزار للمشهدي : ١٧٩ ، المزار للشهيد الأوّل : ٢٨٠ ، بحار الأنوار ٩٧ : ٤٢٨ .

(٢) المصادر السابقة .

الكبرى ، أو أنه كان يغض الطرف عن هذا المنع ، بل ظاهر الفعل أنهما ركعتي الزيارة ، وأنه لما علمه من أئمة فसार على نهجهم . وإن من المستبعد جداً أن يثبت هؤلاء الأعظم ، وهم عمد المذهب المنقّبون في الآثار ، مثل هذه الوظائف من دون تخريج عن أئمتهم ، بحيث يتورّطون في التشريع المحرّم والبدعة التي لا تقال عثرتها ، (كلا وحاشا) ، بل لم يودعوا في كتبهم ومزاراتهم إلا ما وقفوا عليه عن أئمتهم وإن لم نخط به خبراً كثيراً ممّا وقفوا عليه . وقد ذكر السيّد ابن طاووس في آخر مصباح الزائر أنّ ما وقع اختياره عليه في هذا الكتاب ، قد وصل على الوجه الذي استحسّنه واعتمد عليه من جهة الرواية .

وذكر ابن المشهدي في أوّل مزاره أنّ ما أودعه في الكتاب ما حصل لديه من الروايات الواردة عن أئمة الهدى^(١) . إذن ، فكيف يسعنا نسبة ما أودعوه في كتبهم إلى محض آرائهم من دون تخريج عن أهل البيت؟!

ولقد أفادنا بصيرة في تأكيد هذا شيخ المحقّقين الشيخ أسد الله الكاظمي رحمه الله في كشف القناع ص ٢٣٠ ، وحاصل ما ذكره : إنّ من الجائز أن يحصل لبعض حملة أسرار الأئمة العلم بقول الإمام الغائب عن الأبصار ، إمّا بنقل أحد سفرائه سرّاً على وجه يفيد اليقين ، وإمّا بتوقيعه ومكاتبته كذلك ، وإمّا بالسماع منه عليه السلام مشافهة على وجه لا ينافي الرؤية في زمن الغيبة ، فلا يسعه التصريح بما حصله من الحكم على هذه الوجوه ، ولم يجد في الأدلة ما يدلّ عليه

ولم يكن مخصوصاً بذلك الحكم ، وممنوعاً عن إظهاره لسائر الناس ، فلا مندوحة حينئذٍ من إظهار هذا الذي أطلع عليه بصورة الاتفاق عليه والتسالم ، وهذا هو الأصل في كثير من الزيارات والآداب والأعمال المعروفة التي تداولت بين الإمامية ، ولا مستند ظاهر من أخبارهم ولا من كتب قدمائهم الواقفين على آثار الأئمة وأسرارهم . ومن ذلك ما رواه والد العلامة الحلّي والسيد ابن طاووس عن السيد الكبير العابد رضي الدين محمد بن محمد الأزدي الحسيني المجاور بالمشهد الأقدس الغروي ، عن صاحب الزمان في طريق الاستخارة بالسبحة ، وكما سمعه منه صلوات الله عليه ابن طاووس في السرداب ، وكدعاء العلوي المصري المعروف الذي علّمه محمد بن علي العلوي الحسيني المصري في حائر الحسين وقد أتاه في خمس ليال حتى تعلّمه^(١) .

وهذا هو الأصل في كثير من الأقوال المجهولة القائل ، فيكون المطلع على قول الإمام لمّا وجده مخالفاً لمّا عليه الإمامية أو معظمهم ولم يتمكن من إظهاره على وجهه ، وخشي أن يضيع الحقّ جعله قولاً ، ومن أقوالهم ، واعتمد عليه ، وأفتى به من دون تصريح بدليله .

فتحصل من ذلك : أنّ العلماء لم يدعوا في كتبهم حكماً من الأحكام من دون أن يعثروا عليه عن أئمتهم ، وقد يكون بطريق المشافهة من إمام العصر أرواحنا له الفداء ، فما ذكره المشايخ المتقدمون في مزاراتهم من صلاة ركعتي الزيارة بعد الفراغ من زيارة

أبي الفضل لا ينبغي الوقفة في رجحانه عند أهل البيت ، إذ لعله وصل إليهم بالخصوص وإن جهلنا طريق الوصول إليهم .

ولو تنازلنا عن ذلك لدلنا حديث أبي حمزة الثمالي المروي في كامل الزيارة ص ٢٤٠ عن الإمام الصادق الواردة في زيارة الحسين المشتملة على المقدمات والمقارنات الكثيرة وفيه قال الصادق عليه السلام : « فإذا فرغت فصل ما أحببت ، إلا أن ركعتي الزيارة لا بدّ منهما عند كلّ قبر »^(١) ؛ فإنه أثبت بعمومه رجحان ركعتي الزيارة عند كلّ مزور ، وليس له مخصص يدفع العموم .

وخلو بعض الروايات الواردة في زيارة غير المعصومين من التعرّض لركعتي الزيارة لا ينهض لمصادمة العموم ، فالعامّ محكم في مواده حتّى يجيء المخصص المخرّج .

كما أنّ خلوّ رواية أبي حمزة الثمالي الواردة في زيارة العباس عليه السلام عن ذكر صلاة الزيارة لا يدل على عدم المشروعية .
والتنصيص في زيارة المعصومين لا يدلّ على عدم المشروعية في غيرهم .

فهذا العموم ، وما ذكر في مزارات من تقدّم ذكرهم من النصّ عليها ، كافٍ في المشروعية والرجحان .

فما حُكي عن بعض معاصري العلامة المجلسي من منع صلاة الزيارة لغير المعصومين^(٢) ، مستدلاً بخلو الأخبار الواردة في زياراتهم عنها ، في غير محله ؛ لمّا عرفت من الدليل عليه .

(١) كامل الزيارات : ٤١٧ ، بحار الأنوار ٩٧ : ١٣٣ .

(٢) بحار الأنوار ٩٨ : ٣٧٨ .

مضافاً إلى ما حكاه المجلسي في مزار البحار ص ١٨٠ ، عن مؤلف المزار الكبير ، عن صفوان الجمال ، عن الصادق عليه السلام ، من الأمر بصلاة ركعتي الزيارة بعد الفراغ من زيارة علي الأكبر^(١) ، ويتم في أبي الفضل بعدم القول بالفصل .

وفيه عن المزار الكبير^(٢) ، ومزار الشهيد^(٣) بعد ذكر زيارة مسلم بن عقيل قال : « ثُمَّ انحرف إلى عند الرأس فصل ركعتين ، ثُمَّ صَلَّ بعدهما ما بدا لك » ، وظاهره أن الركعتين للزيارة ، ولكنه نقل عن مزار السيّد ابن طاووس التصريح بذلك ، فإنه بعد الفراغ من الزيارة قال : « ثُمَّ تقبل الضريح وتصلّي صلاة الزيارة ، وتهدي ثوابها له ، ثُمَّ تودّعه وتنصرف »^(٤) .

وفي مزار البحار عند ذكره زيارة هاني بن عروة قال : « ثُمَّ صَلَّ صلاة الزيارة واهدها له ، وادع لنفسك بما شئت ، وودعه وانصرف »^(٥) .

وعلى ما تقدّم من أنّ هؤلاء الأعلام لم يدعوا في مزاراتهم إلّا ما روه عن أئمتهم أو وجدوه مروياً واعتمدوا عليه .

ويتضح لنا رجحان ركعتي الزيارة لمسلم وهاني ، على أنّ الإطلاق المذكور يشملهما .

فإذن في أبي الفضل عليه السلام بطريق أولى .

(١) بحار الأنوار ٩٨ : ٩٨ .

(٢) المزار للمشهدي : ١٧٩ .

(٣) المزار للشهيد الأوّل : ٢٨٠ .

(٤) بحار الأنوار ٩٧ : ٤٢٨ .

(٥) بحار الأنوار ٩٧ : ٤٢٩ .

تقبيل القبر

مما يدلّ على رجحان تقبيل قبر العباس بن أمير المؤمنين عليه السلام ما رواه في مزار البحار ص ١٨٠ ، عن مؤلف المزار الكبير ، عن صفوان الجمال ، عن الصادق . . . وساق الزيارة للحسين إلى أن قال : « ثُمَّ تَأْتِي إِلَى قَبْرِ الْعَبَّاسِ بْنِ عَلِيٍّ وَتَقُولُ : السَّلَامُ عَلَيْكَ أَيُّهَا الْوَلِيُّ - إِلَى أَنْ قَالَ - ثُمَّ تَنْكَبُ عَلَى الْقَبْرِ وَتَقْبَلُهُ وَتَقُولُ : بِأَبِي وَأُمِّي يَا نَاصِرَ دِينِ اللَّهِ ، السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا بَنَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ، السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا نَاصِرَ الْحُسَيْنِ الصِّدِّيقِ ، السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا شَهِيدَ ابْنِ الشَّهِيدِ ، السَّلَامُ عَلَيْكَ مِنْنِي أَبَدًا مَا بَقِيتَ ، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ »^(١) . وفيه كفاية لمن يتطلب النصّ على المشروعية والرجحان ، ويضاف إليه ما ذكره المفيد وابن المشهدي وابن طاووس في مزاراتهم فلأنهم قالوا بعد الاستئذان : « ثُمَّ ادْخُلْ وَانْكَبْ عَلَى الْقَبْرِ وَقُلْ : السَّلَامُ عَلَيْكَ أَيُّهَا الْعَبْدُ الصَّالِحُ . . . إِلَى آخِرِهِ » . ولهذا وأمثاله كان شيخ المحققين ونخبة المرتاضين مجدد المذهب في المائة الثانية عشر محمد باقر البهبهاني إذا دخل إلى حرم أبي الفضل عليه السلام يقبل عتبة الباب كما يفعل في حرم سيّد الشهداء عليه السلام^(٢) ، وفعل هذا المتبحر حجة ، وعمله أكبر برهان لمن يتبع الحقّ : « أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ »^(٣) .

(١) المزار للمشهدي : ٤٣٣ ، بحار الأنوار ٩٨ : ٢٦١ .

(٢) أسرار الشهادة : ٦٦ .

(٣) يونس : ٣٥ .

أولاده وأحفاده

كان للعباس من الأولاد خمسة : عبيد الله^(١) ، والفضل^(٢) ،
والحسن^(٣) ، والقاسم^(٤) ، وبنتان .

وعدّ ابن شهر آشوب من الشهداء في الطّف ولد العبّاس
محمّد^(٥) .

فأمّا عبيد الله والفضل فأُمهما لبّابة بنت عبيد الله بن العبّاس
ابن عبد المطلب ، وأُمّها أم حكيم جويرية بنت خالد بن قرظ
الكنانية .

كانت من أجمل النساء وأوفرهنّ عقلاً ، ولمّا قتل بسر بن
أرطاة ولديها عبد الرحمن وقثم ، وكانا صبيين صغيرين ، وهي تنظر
إليهما ، فقدت الصبر وأخذها الوجد ، فكانت تدور في البيت ناشرة
شعرها وتقول في رثائهما^(٦) :

(١) مستدركات علم الرجال للنمازي ٦ : ٢١٦ .

(٢) الجريدة في أنساب العلويين ٤ : ٣١٨ .

(٣) الجوهرة في نسب الإمام علي : ٥٧ .

(٤) الجريدة في أنساب العلويين ٤ : ٣٥١ .

(٥) الجريدة في أنساب العلويين : ٥٨٨ .

(٦) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٢ : ١٣ ، تاريخ مدينة دمشق ١٠ :

١٥٣ ، بلاغات النساء لابن طيفور : ٢٠٢ ، الكامل في التاريخ ٣ : ٣٨٤ .

يا من أحسّ بابنيّ اللذين هما
 كالدرّتين تشظّى عنهما الصدف
 يا من أحسّ يا بنيّ اللذين هما
 سمعي وقلبي فمخي اليوم مختطف
 نُبئت بسراً وما صدّقت ما زعموا
 من قولهم ومن الإفك الذي اقترفوا
 أنحي على ودجي ابنيّ مرهفة
 مشحونة وكذاك الإفك يقترف
 حتّى لقيت رجلاً من أرومته
 شمّ الأنوف لهم في قولهم شرف
 فالآن ألعن بسراً حقّ لعنته
 هذا لعمر أبي بسر هو السرف
 من ذلّ والهة حرّى مولّهة
 على صبيّين ضلّا إذ غدا السلف
 فسمع قولها هذا رجل من أهل اليمن فرق لها واتصل ببسر
 حتّى وثق به ، ثمّ احتال لقتل ابني بسر ، فخرج بهما إلى وادي
 أوطاس فقتلهما وهرب ، وقال^(١) :
 يا بسر بسر بني أرطاة ما طلعت
 شمس النهار ولا غابت على الناس
 خير من الهاشميين الذين هم
 عين الهدى وسمام الأسواق القاسي

ماذا أردت إلى طفلي مولهة

تبكي وتنشد من اثكلت في الناس

أما قتلتهما ظلماً فقد شرقت

من صاحبك قناتي يوم أوطاس

فاشرب بكأسهما ثكلى كما شربت

أُم الصبيّين أو ذاق ابن عباس

ولمّا بلغ قتلتهما أمير المؤمنين عليه السلام دعا على بسر فقال : «اللّهم اسلبه دينه وعقله»^(١) ، فخرف بسر حتّى كان يلعب بخرئه ويقول لمن حضر : انظروا كيف يطعمني هذان الغلامان ابنا عبيد الله هذا الخراء ، فشدّوا يديه إلى ورائه ليُمنع من ذلك ، فانجا يوماً في مكانه وأهوى بفمه ليتناول منه ، فمنع منه ، فقال : أنتم تمنعوني وعبد الرحمن وقثم يطعماني؟! وبقي على هذا حتّى مات في سنة ٨٦ هجرية أيام الوليد بن عبد الملك^(٢) .

خلف على لبابة بعد أبي الفضل عليه السلام زيد بن الحسن بن أمير المؤمنين ، فأولدها نفيسة ، تزوّجها الوليد بن عبد الملك بن مروان^(٣) .

فولدت له ولداً ، فكان زيد بن الحسن يفد إلى الوليد ويجلس معه على السرير ويكرمه ، لمكان ابنته عنده ، ووهب له ثلاثين ألف دينار دفعة واحدة^(٤) .

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٢ : ١٨ ، أنساب الأشراف : ٤٦٠ ،

الكامل في التاريخ ٣ : ٣٨٥ .

(٢) مروج الذهب ٢ : ١٥٥ .

(٣) تذكرة الخواص ٢ : ٧١ .

(٤) سرّ السلسلة العلوية للبخاري : ٢٩ .

وخلف عليها بعد زيد بن الحسن الوليد بن عتبة بن أبي سفيان فولدت له القاسم^(١).

واتفق أرباب النسب على انحصار عقب العباس ابن أمير المؤمنين في ولده عبيد الله، وزاد الشيخ الفتوني العقب للحسن بن العباس، وكان عبيد الله من كبار العلماء موصوفاً بالجمال والكمال والمروءة مات سنة ١٥٥ هجرية^(٢).

تزوج من ثلاث عقائل كرام: رقية بنت الحسن بن علي، وبنت معبد بن عبد الله بن عبد المطلب، وبنت المسور بن مخرمة الزبيري^(٣).

ولعبيد الله هذا منزلة كبيرة عند السّجاد كرامة لموقف أبيه (قمر بن هاشم)، وكان إذا رأى عبيد الله رقّ واستعبر باكياً، فإذا سُئل عنه قال: «إني أذكر موقف أبيه يوم الطّف فما أملك نفسي». وانحصر عقب عبيد الله في ولده الحسن، وكان لأم ولد، عاش سبعا وستين سنة، أولد الحسن بن عبيد الله بن العباس خمسة:

١ - الفضل.

٢ - حمزة.

٣ - إبراهيم.

٤ - العباس.

٥ - عبيد الله.

(١) المجدي في أنساب الطالبين : ٢٣١.

(٢) المجدي في أنساب الطالبين : ٢٣١.

(٣) سرّ السلسلة العلوية : ٩٠ وذكر أنهم أربعة بإضافة أم علي بن الحسين بن علي.

وكلّهم أجلاء فضلاء أدباء^(١).

فأمّا الفضل فكان لسناً متكّلاً فصيحاً ، شديد الدين ، عظيم الشجاعة ، محتشماً عند الخلفاء^(٢) ، ويقال له : (ابن الهاشمية) . أعقب من ثلاثة : جعفر ، والعبّاس الأكبر ، ومحمّد ، ولكلّ منهم أولاد الأدباء .

فمنهم أبو العبّاس الفضل بن محمّد بن الفضل بن الحسن بن عبيد الله بن العبّاس ، كان خطيباً شاعراً ، وقع عقبه إلى قم وطبرستان ، وله أبيات في موقف جدّه العبّاس يوم الطف نذكرها في فضل المديح^(٣) .

وأمّا حمزة فيشبه جدّه أمير المؤمنين ، خرج توقيع المأمون بخطّه وفيه : يُعطي لحمزة بن الحسن بن عبيد الله بن العبّاس ابن أمير المؤمنين مائه ألف درهم ، لشبهه بجدّه أمير المؤمنين .

تزوّج^(٤) زينب بنت الحسين بن علي بن عبد الله بن جعفر الطيار المعروف بـ (الزينبي) ، نسبة إلى أمه زينب بنت أمير المؤمنين ، وكان حفيده محمّد بن علي بن حمزة متوجّاً شاعراً ، نزل البصرة ، وروى الحديث عن الرضا وغيره ، مات سنة ٢٨٦ هـ^(٥) .

وسياتي في ترجمة ابن أخيه الحمزة صاحب المشهد بقرب الحلة : «إنّ أمّ صاحب الزمان التجأت إلى بيته» .

وترجمه الخطيب في تاريخ بغداد ج ٢ ص ٦٣ وقال : «كان

(١) المجدي في أنساب الطالبين : ٢٣١ .

(٢) سرّ السلسلة العلوية : ٩٠ ، المجدي في أنساب الطالبين : ٢٣٢ .

(٣) المجدي في أنساب الطالبين .

(٤) سرّ السلسلة العلوية : ٩١ .

(٥) عمدة الطالب : ٣٥٨ .

راوية للأخبار ، وهو صدوق ، وله الرواية عن جماعة كثير*^(١) .
وفي تهذيب التهذيب ج ٩ ص ٣٥٢ وصفه بالعلوي البغدادي ،
ونقل عن ابن أبي حاتم : أنه صدوق ثقة^(٢) .
وأما إبراهيم ويُعرف بـ (جردقة) كان من الفقهاء الأدباء
والزهاد ، وابنه علي أحد الأجواد ، له جاه وشرف ، مات سنة
٢٦٤ هـ ، أولد تسعة عشر ولداً ، ومن أحفاده : أبو الحسن علي بن
يحيى بن علي بن إبراهيم جردقة ، كان خليفة أبي عبد الله بن الداعي
على النقابة ببغداد^(٣) .

وعبد الله بن علي بن إبراهيم جردقة جاء إلى بغداد ، ثم سكن
مصر ، وكان يمتنع من التحدث بها ، ثم حدث ، وعنده كتب تسمى
(الجعفرية) ، فيها فقه على مذهب الشيعة ، توفي في مصر في رجب
سنة ثلاثمائة واثنى عشر^(٤) .

وقال أبو نصر البخاري في سر السلسلة في العباس بن الحسن
ابن عبيد الله بن العباس السقا : « ما رأي هاشمي أعضب لساناً منه
ولا أجراً »^(٥) .

قدم بغداد في أيام الرشيد ، وأقام في صحبته ، ثم صحب
المأمون بعده ، وكان من رجال بني هاشم فصاحة وشعراً^(٦) ،

(١) تاريخ بغداد ٣ : ٣٢٨ .

(٢) تهذيب التهذيب ٩ : ٣١٤ .

(٣) عمدة الطالب : ٣٢٤ .

(٤) تاريخ بغداد : ١٠ : ٣٤٥ .

(٥) سر السلسلة العلوية : ٩٠ ، عمدة الطالب : ٣٥٩ .

(٦) تاريخ الإسلام للذهبي ١٣ : ٢٤٦ ، الوافي بالوفيات ١٦ : ٣٧٠ .

ولجلالته وفضله وبلاغته وفصاحته يكنّى عند الرشيد^(١) ومن شعره
في أخاء أبي طالب لعبد الله والد الرسول الأقدس ﷺ :

انا وإن رسول الله يجمعنا

أب وأمّ وجدّ غير موصوم

جاءت بنا ربة من غير أسرتة

غراء من نسل عمران بن مخزوم

حزناً يهادون من يسعى ليدركها

قراية من حواها غير مسهوم

رزقاً من الله أعطانا فضيلته

والناس من بين مرزوق ومحروم^(٢)

وفي المجدي ممّا رثى به أخاه محمداً :

وارى البقيع محمد

للّٰه ما وارى البقيع

من نائل وندى ومع

— روف إذا ظنّ المنوع

وحبّاً لأيتام وأرملة

إذا جفّ الربيع

ولى فولى الجود والمع

— روف والحسب الرفيع^(٣)

(١) عمدة الطالب : ٣٥٩ .

(٢) تاريخ بغداد ١٢ : ١٢٦ ، أعيان الشيعة ٧ : ٤١٣ .

(٣) المجدي في أنساب الطالبين : ٢٣٦ .

وقال وله أيضاً :

وقالت قريش لنا مفخر

رفيع على الناس لا يفكر

بنا تفخرون على غيرنا

فأما علينا فلا تفخروا^(١)

أولد العباس عشرة ذكور منهم عبد الله ، وأمّه أفطسية ، كان أديباً شاعراً ، فمن شعره ما في المجدي :

إنّي لا ستحي أخى أن أبرّه

قريباً وإن أجفوه وهو بعيد

عليّ لإخواني رقيب من الهوى

تبديد الليالي وهو ليس يبيد^(٢)

وفي سرّ السلسلة : « قدم على المأمون ، فتقدّم عنده ، ولمّا سمع بموته قال : استوى الناس بعدك يا بن عباس ، ومشى في جنازته ، وكان يسميه الشيخ ابن الشيخ »^(٣) .

وفي العمدة : « كان من أحفاد العباس السقا أبو الطيّب محمّد ابن حمزة بن عبد الله بن العباس بن الحسن بن عبيد الله بن العباس السقا ، من أكمل الناس مروءة وسماحة ، وصلة رحم ، وكثرة معروف ، مع فضل كثير ، وجاه واسع ، اتخذ بمدينة الأردن - وهي طبرية - ضياعاً وأموالاً ، فحسده طعج بن جف الفرغاني ، فدسّ إليه جنداً قتلوه في بستان له بطبرية في صفر سنة ٢٩١ هـ ، ورثته

(١) المجدي في أنساب الطالبين : ٢٣٦ .

(٢) المجدي في أنساب الطالبين : ٢٣٧ ، عمدة الطالب لابن عنبه : ٣٥٩ .

(٣) عمدة الطالب : ٣٥٩ .

الشعراء ، فمن ذلك ما في المجدي :

أي رزء جنى على الإسلام

أي خطب من الخطوب الجسام^(١)

ويقال لعقبه : بنو الشهيد .

وترجمه المرزباني في معجم الشعراء ص ٤٣٥ وقال : « شاعر الافتخار بأبائه ، وكان في أيام المتوكل وبعده ، وهو القائل :

وإني كريم من أكارم سادة

أكفهم تندى بجزل المواهب

هم خير من يخفى وأفضل ناعل

وذروة هضب العرب من آل غالب

هم المَن والسلوى لدان بوده

وكالسَم في حلق العدو المجانب^(٢)

وترجم له شيخنا الجليل العلامة ميرزا عبد الحسين الأميني في شعراء الغدير ج ٣ ص ٣ طبع النجف .

وأما عبيد الله بن الحسن بن عبيد الله بن العباس السقاء عليه السلام ، ففيه يقول محمد بن يوسف الجعفري : « ما رأيت أحداً أهيب ، ولا أهياً ، ولا أمراً من عبيد الله بن الحسن ، تولّى إمارة الحرمين مكة والمدينة والقضاء بهما أيام المأمون سنة ٢٠٤ هجرية »^(٣) .

وفي سنة ٢٠٤ هـ ، وسنة ٢٠٦ هـ ولّاه إمارة الحاج^(٤) ، مات

(١) المجدي في أنساب الطالبين : ٢٣٧ .

(٢) الوافي بالوفيات ٢ : ٢٢٠ ؛ الغدير ٣ : ٢ .

(٣) تاريخ بغداد ١٠ : ٣١٣ .

(٤) تاريخ الطبري ٧ : ١٥٦ .

ببغداد في زمن المأمون ، وكانت أمّه وأُم أخيه العباس أم ولد^(١) وقع عقب علي بن عبيد الله قاضي الحرمين إلى دمياط ، ويقال : لهم بنو هارون ، وإلى فسا ويقال : لهم بنو الهدهد ، وإلى اليمن .

وأما الحسن بن عبيد الله الأمير القاضي فأولد عبد الله ، كان له إحدى عشر ذكراً ، لهم أعقاب ، منهم : القاسم بن عبد الله بن الحسن بن عبيد الله قاضي الحرمين بن الحسن بن عبيد الله بن العباس الشهيد السقا ، له خطر بالمدينة ، وأحد أصحاب الرأي ، لسناً ، متكلاً ، سعى بالصلح بين بني علي وجعفر ، وهو صاحب أبي محمد الحسن العسكري عليه السلام^(٢) .

فأحفاد العباس كلهم أجلاء ، لهم المكانة العالية بين الناس ؛ لأنهم بين فقهاء ومحدثين ونسّابين وأُمراء وأدباء ، ولا بدع بعد أن عرق فيهم (أبو الفضل) ، فحووا عنه المزايا الحميدة والصفات الجميلة ، فكانت ملامح الشرف والسؤدد تلوح على أسارير جبهاتهم ، وملء أهابهم علم وعمل وحشو الردى هيبة ومنعة .
ومنهم السيّد الجليل صاحب الحرم المنيع والقبة السامية (الحمزة) ، المدفون بالمدحتية قرب الحلة .

(١) تاريخ بغداد ١٠ : ٣١٣ .

(٢) عمدة الطالب : ٣٤٩ .

الحمزة

من أحفاد أبي الفضل السيّد الجليل أبو يعلى الحمزة ابن القاسم بن علي بن حمزة بن الحسن بن عبيد الله بن العباس ابن أمير المؤمنين عليه السلام ، وقد كتب الشيخ الجليل العلامة ميرزا محمد علي الأوردبادي صحائف غُر في حياته نذكرها بنصها ، قال : « كان أبو يعلى أحد علماء العترة الطاهرة ، وفذاً من أفذاذ بيت الوحي ، وأوحد من سروات المجد من هاشم . روى الحديث فأكثر ، واختلف إليه العلماء للأخذ منه ، منهم : الشيخ الأجل أبو محمد هارون بن موسى التلعكبري ، وأحد أعظم الشيعة ، ومن حملة علومهم ، توفي سنة ٣٨٥ هـ . والحسين بن هاشم المؤدّب ، وعلي بن أحمد بن محمد بن عمران الدقاق ، وكلاهما من مشايخ الصدوق ابن بابويه القمي . وعلي بن محمد القلانسي ، من مشايخ الشيخ المبجل أبي عبد الله الحسين بن عبيد الله الغضائري . وأبو عبد الله الحسين بن علي الخزاز القمي »^(١) . ويظهر من هذا أنّه كان في طبقة ثقة الإسلام الكليني ، قد أدرك القرنين آخر الثالث وأواخر الرابع ، ولأجله عقد له الشيخ العلامة

(١) رجال النجاشي : ١٤٠ ، نقد الرجال للتفرشي ٢ : ١٦٧ ، رجال العلامة :

١٢١ ، رجال ابن داود : ٨٥ .

الشيخ آغا بزرك الرازي في كتابه (نابغة الرواة في رابعة المئات) ترجمة ضافية ، فهو من علماء الغيبة الصغرى .

وله من الآثار والمآثر : كتاب التوحيد ، وكتاب الزيارات والمناسك ، وكتاب الرد على محمد بن جعفر الأسدي ، وكتاب من روى عن جعفر بن محمد عليه السلام من الرجال ، استحسنة النجاشي والعلامة ، ولهذا ترجمه شيخنا الرازي في مصفى المقال في مصنفى علماء الرجال ، وأسند النجاشي إلى هذه الكتب عن ابن الغضائري عن القلانسي عن سيدنا المترجم .

وإليك كلمات العلماء في الثناء عليه :

قال النجاشي والعلامة : «إنه ثقة جليل القدر من أصحابنا ، كثير الحديث»^(١) .

وقال المجلسي في الوجيزة : «ثقة»^(٢) .

وفي تنقيح المقال للعلامة المامقاني : «السيد جليل حمزة ، ثقة ، جليل القدر ، عظيم المنزلة»^(٣) .

وفي الكنى والألقاب لشيخنا المحدث الشيخ عباس القمي : «إنه أحد علماء الإجازة ، وأهل الحديث ، وقد ذكره أهل الرجال في كتبهم وأثنوا عليه بالعلم والورع»^(٤) .

إنّ دون مقام سيدنا المترجم أن نقول فيه : إنه من مشايخ الإجازة الذين هم في غنى عن أيّ تزكية وتوثيق ، كما نصّ به الشهيد الثاني ، وتلقاه من بعده بالقبول ، فإنّ ذلك شأن من لا يعرف وجُهلّت

(١) رجال النجاشي : ٣٦٤/١٤٠ .

(٢) بحار الأنوار ٥٣ : ٢٨٧ .

(٣) تنقيح المقال ١ : ٣٧٦ .

(٤) الكنى والألقاب للقمي ١ : ١٨٧ .

شخصيته ، وإنَّ مكانة سيّدنا أبي يعلى فوق ذلك كلّ على ما عرفته من نصوص علماء الرجال .

ومن كراماته المربية على حدّ الإحصاء ، المشهودة من مرّقه المطهر ، فهو من رجالات أهل البيت المعدودين من أعيان علمائهم بكُلّ فضيلة ظاهرة ومأثرة باهرة :

والشمس معروفة بالعين والأثر

فليس هو ممّن نتحرّى إثبات ثقته حتّى نتشبّث بأمثال ذلك . نعم ، كثرة روايته للحديث تنمّ عن فضل كثار من غزارة علمه ، ومن قولهم عليه السلام : « اعرّفوا منازل الرجال منّا بقدر روايتهم عنّا » ، فإنّ ذلك يشفّ عن التصلّب في أمرهم ، والتضلّع بعلومهم ، والبت لمعارفهم ، وبطبع الحال إن كُلاً من هذه يقربّ العبد إلى الله تعالى وإليهم عليهم السلام زلفى ، فكيف بمن له الحظوة بها جمعاء ، كسيّدنا المترجم على نسبه المتألق المتصل بدوحهم القدسي اليانع ؟!

أمّا مشايخه في الرواية فجماعة عرفناهم بعد الفحص في المعاجم وكتب الحديث ، كرجال الطوسي ، وفهرست النجاشي ، وإكمال الدّين للصدوق ، منهم :

١ - الشيخ الثّقة الجليل سعد بن عبد الله الأشعري .

٢ - محمّد بن سهل بن ذارويه القميّ .

٣ - الحسن بن ميثل .

٤ - علي بن عبد بن يحيى .

٥ - جعفر بن مالك الفزاري الكوفي .

٦ - أبو الحسن علي بن الجنيد الرازي .

٧ - وأجلّ مشيخته عمّه مستودع ناموس الإمامة ، والمؤتمن على وديعة المهيمن سبحانه ، أبو عبد الله أو عبيد الله محمّد بن

علي بن حمزة الحسن بن عبيد الله بن العباس عليه السلام .
ومن جلالته أنه لما وقعت الفتنة بعد وفاة أبي محمد
العسكري عليه السلام ، وكثر الفحص والطلب من زبانية الإلحاد وطواغيت
الوقت على بيت الإمامة ونسائه وجواريه وإمائه ، حذار وجود البقية
منه أو وجود حامل منهم تلده ، لما بلغ الطاغية أن الخلف بعد أبي
محمد العسكري يدمر دولة الباطل ، فحسبه في العاجل وهو آجل ،
فعند ذلك انتقلت الكريمة الطاهرة أم الإمام المنتظر عجل الله فرجه
(نرجس) سلام الله عليه وعليها إلى بيت أبي عبد الله هذا ، كما
نص به النجاشي للحفظ من عادة المرجفين^(١) .
وإن الاعتبار لا يدعنا إلا أن نقول بأن بيتاً يحوي أم الإمام لا بد
أن يكون مختلف وليّ الدهر ، وصاحب العصر ، الناهض بعبء
خلافة الله الكبرى ، ومحط أسرار ، ومرتكز أمره ، ومجرى علومه ،
ومصبّ معارفه ، ليتعاهد الحرّة الطيبة أمّه نرجس ، ويكون عليه السلام هو
المجتبى في صدر ذلك الدست والمترجع على منصّه عزّه .
ولا شك أن أبا عبد الله هذا يقتبس من علومه ، ويستضيء
بأنواره ، وحينئذٍ فدون مقامه إطراء العلماء له كقول النجاشي
والعلامة : « ثقة جليل » ، وكقول ابن داود : « عين في الحديث ،
صحيح الاعتماد »^(٢) ، كتوثيقات الوجيزة ، والبلغة ، والمشاركات ،
وحاوي الأقوال .

(١) رجال النجاشي : ٣٤٧ ، ولكن في كمال الدين وتمام النعمة للصدوق :
٤٥٩ ، ح ٧ ، قال : « فماتت [يعني أم الإمام الحجة] - في حياة أبي محمد عليه السلام » .
(٢) رجال النجاشي : ٩٣٨/٣٤٧ ، وهذه عبارته وليست عبارة ابن داود ،
وارجع إلى رجال الحلّي : ١٠٦/٣٦٠ ، ونقد الرجال ٤ : ٥٧٠/٤٩٢٦/٢٧٤ ،
وغيرها .

وقال ابن عنبه في العمدة : «نزل البصرة ، وروى الحديث عن علي بن موسى الكاظم عليه السلام وغيره بها وبغيرها ، وكان متوجّهاً عالماً شاعراً» ، وقال النجاشي : «له رواية عن أبي الحسن وأبي محمد عليهما السلام ، وإن له مكاتبة ، وله مقاتل الطالبين»^(١) .

فحسب سيّدنا المترجم أبو يعلى من الشرف أن يكون معماً بمثله ، وناهيه من الفضيلة أن يكون خريجاً لمدرسته .

ووالد أبي عبد الله هذا فهو علي بن حمزة بن الحسن ، نصّ النجاشي والعلامة الحلّي وفي الوجيزة والبلغة على ثقته .

وأبو حمزة الشبيه بجده أمير المؤمنين جليل القدر عظيم المنزلة ، خرج توقيع المأمون بخطه : «يُعطى لحمزة ابن الحسن لشبهه بأمر المؤمنين علي بن أبي طالب مائة ألف درهم» ، قاله ابن عنبه في العمدة^(٢) .

وأبو حمزة هذا الحسن بن عبيد الله ، فذكر النسابة العمري في المجدي أنّه كان لأُمّ ولد ، روى الحديث ، وعاش سبعاً وستين سنة^(٣) .

ووافقه على عمره أبو نصر البخاري في سرّ السلسلة ، وذكر أنّ العدد والثروة في ولده ، وأنّ أمّه وأُمّ شقيقه عبد الله بنت عبد الله بن معبد بن العباس بن عبد المطلب^(٤) .

قلت : والظاهر أنّ في النسخة غلط نسياني ، فإنّ أبا نصر نفسه ذكر أنّ التي كانت تحت عبيد الله بن العباس عليه السلام هي أمّ أبيها بنت

(١) معجم رجال الحديث للخوئي ١٧ : ٣٥١ ، ١١٣٢١ ت .

(٢) عمدة الطالب لابن عنبه : ٣٥٨ .

(٣) المجدي في أنساب الطالبين : ٢٣١ .

(٤) سرّ السلسلة العلوية للبخاري : ٩٠ .

معبد بن العباس لا ابنة ابنه .

وعبيد الله بن العباس أبو الحسن ذكر الشيخ العلامة علي بن يوسف ابن المطهر أخو آية الله العلامة الحلي في العدد القوية ، عن الزبير بن بكار : أنه من العلماء .

وقال أبو نصر البخاري : « تزوج أربع عقائل كرام : رقية بنت الإمام الحسن السبط ، وأم علي بنت السجاد لم تلد منه ، وأم أبيها بنت معبد بن العباس بن عبد المطلب ، وابنة المسور بن مخزوم الزبيري »^(١) .

وأما سيّدنا أبو الفضل العباس قمر بني هاشم الذي هو بمنقطع الفضل ، ومنتهى الشرف ، وغاية الجلالة ، وقصارى السؤدد ، فالبيان يتقاعس أنه جاء ممدوحاً بلسان أئمة الدين كابن أخيه الإمام السجاد ، ثمّ الإمام الصادق .

ولسيّدنا المترجم أبي يعلى في أرض الجزيرة بين الفرات ودجلة من جنوب الحلة السيفية مشهد معروف في قرية تعرف باسمه (قرية الحمزة) ، بالقرب من قرية « المزيدية » يقصد بالزيارة ، وتُساق إليه النذور ، ويتبرّك به ، وتُعزى إليه الكرامات ، تتناقلها الألسن ، ويتسالم عليها المشاهدون ، وتخبت بها النفوس ، وكان في ذي قبل يعرف بمشهد (حمزة بن الإمام موسى الكاظم) .

وبما أنّ الثابت في التاريخ والرجال أنّ قبر حمزة المذكور في الري ، إلى جنب مشهد السيّد الأجل عبد العظيم الحسيني سلام الله عليهما .

كان سيّد العلماء والفقهاء المجاهدين سيّدنا المهدي القزويني

بعد أن هبط الحلة الفيحاء ، وأقام فيها دعامة الدين ، وشيّد أركان المذهب ، يمرّ بهذا المشهد حين وفوده إلى بني زبيد للإرشاد والهداية ، ولا يزوره ، ولذلك قلّت رغبة الناس في زمانه ، فصادف أن مرّ به مرّة ، فطلب منه أهل القرية زيارة المرقد المطهر ، فاعتذر بما قدّمناه ، وقال : « لا أزور من لا أعرفه .

فبات ليلة وغادر القرية من غدا إلى المزيديّة وبات بها ، حتّى إذا قام للتهجّد في آخر الليل وفرغ من عمله طفق يراقب طلوع الفجر ، إذ دخل عليه رجل في زي علوي شريف من سادة تلك القرية ، يعرفه المهدي بالصّلاح والتقوى ، فسلمّ وجلس وقال له : استضعفت أهل الحمزة ، وما زرت مشهده ؟ قال : نعم .

قال : ولم ذلك ؟

فأجابه بما قدّمناه من جوابه لأهل القرية .

فقال العلوي المذكور « ربّ مشهور لا أصل له » وليس هذا قبر حمزة بن موسى الكاظم كما اشتهر ، وإنّما هو قبر أبي يعلى حمزة ابن القاسم العلوي العباسي ، أحد علماء الإجازة وأهل الحديث ، وقد ذكره أهل الرجال في كتبهم وأثنوا عليه بالعلم والورع . فحسب سيّدنا الحجّة المهدي أنّه أخذ هذا من أحد العلماء ؛ لأنّه كان من عوام السادة ، وأين هو من الاطّلاع على الرجال والحديث ؟! فاغفل عنه ونهض لفحص الفجر ، وخرج العلوي من عنده .

ثمّ أدّى السيّد الفريضة وجلس للتعقيب حتّى مطلع الشمس ، وراجع كتب الرجال التي كانت معه ، فوجد الأمر كما وصفه الشريف العلوي الداخل عليه قبيل الفجر ، ثمّ ازدلف أهل القرية إليه مسلّمين

عليه ، وفيهم العلوي المشار إليه ، فسأله عن دخوله عليه قبيل الفجر وإخباره إيّاه عن المشهد وصاحبه عمّن أخذه؟ ومن أين له ذلك؟ فحلف العلوي بالله أنّه لم يأتِه قبل الفجر ، وأنّه كان بائناً خارج القرية في مكان سمّاه ، وأنّه سمع بقدوم السيّد فأتاه زائراً في وقته هذا ، وأنّه لم يره قبل ساعته تلك .

فنهض السيّد المهدي من فوره وركب لزيارة المشهد وقال : الآن وجب عليّ زيارته - وإني لا أشك أنّ الداخل عليه الإمام هو الحجّة - وركب الطريق معه أهل المزيديّة^(١) .

ومن يومئذٍ اشتهر المرقد الشريف بالاعتبار والثبوت ، وازدلفت الشيعة إلى زيارته والتبرك والاستشفاع إلى الله تعالى به . وبعد ذلك نص سيّدنا المهدي عليه في فلك النجاة ، وتبعه على ذلك من بعده العلامة النوري في تحية الزائر ، والعلامة المامقاني في تنقيح المقال ، وشيخنا المحدث القمّي في الكنى والألقاب^(٢) .

أخذنا هذا النبا العظيم من جنة المأوى للعلامة النوري . هذا ما كتبه شيخنا العلامة ميرزا محمّد علي الأوردبادي أيده الله .

(١) الكنى والألقاب ١ : ١٨٦ .

(٢) شجرة طوبى للحائري : ١٧٣ .

عمارة المشهد

تمهيد:

لا شك في رجحان عمارة قبور الأولياء المقربين ، لا سيما من حظي منهم بشرف المنبت النبوي الطاهر الذي هو معدود من أكبر الفضائل ؛ لأنه لا يزال بمجرّده متواصل العرى ، يحدو بصاحبه إلى أوج العظمة ، وكلّ سبب ونسب منقطع يوم القيامة إلا نسبه وسببه ﷺ ، فهو مشرف من تحلّى به في الدنيا والآخرة ، فكيف به إذا كان مشفوعاً بعلم وتقى ومآثر ومفاخر؟!

١ - لأنه من تعظيم شعائر الله : ﴿وَمَنْ يُعْظِمِ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾^(١) ، ومن موارد حرّماته المعيّنة بقوله تعالى : ﴿وَمَنْ يُعْظِمِ حُرْمَاتِ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ﴾^(٢) .

وإذا كانت البدن من الشعائر له سبحانه : ﴿وَالْبَدَنَ جَعَلْنَاهَا لَكُمْ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ﴾^(٣) ، وليست البدن إلا بهيمة تُنحر في مرضات الله سبحانه وفي سبيل طاعته والشعار فيها نحرها .

فلماذا لا يكون عمل الولي المقرب الشهيد الصديق المنحور

(١) الحج : ٣٢ .

(٢) الحج : ٣٠ .

(٣) الحج : ٣٦ .

على الدعوة الإلهية ، والمراق دمه الطاهر على مجزرة الشهادة ، من مستوى القدس ، من جملة الشعائر والحرمان التي يجب تعظيمها ، بتعاهد مرقد الأطهر ، وقصده بالزيارة ، والعبادة فيه ، وعمارته عند الانهدام ، لياوى إليه الزائر ، ويتفياً بظله المتعبّد ، كما أنّ الأمر بطواف البيت يستدعي عمارته كلّما أوشك أن يتضعع بنيانه؟!

٢ - على أنّ رجالات بيت النبوة هم : ﴿ فِي بُيُوتِ أَذْنِ اللَّهِ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ ﴾ ^(١) ، والمراد من البيت : ما كان مسقوفاً ، ولذلك أطلقه في الكتاب المجيد على الكعبة المعظمة حيث يقول : ﴿ الْكَعْبَةُ الْبَيْتُ الْحَرَامُ ﴾ ^(٢) ، لكونها مسقوفة ؛ ولم يُرد من البيوت مطلق المساجد أو المساجد الأربعة وهي : المسجد الحرام ، ومسجد النبي ، ومسجد الكوفة ، والبصرة ؛ فالمساجد كلّما ذكر في القرآن أطلق عليها المسجد دون البيت ، مثل قوله تعالى :

﴿ لِمَسْجِدٍ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى ﴾ ^(٣) .

﴿ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ ﴾ ^(٤) .

﴿ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ﴾ ^(٥) .

﴿ لَتَسْخِذَنَّ عَلَيْهِمْ مَسْجِدًا ﴾ ^(٦) .

(١) النور : ٣٦ .

(٢) المائدة : ٩٧ .

(٣) التوبة : ١٠٨ .

(٤) الأعراف : ٢٩ .

(٥) التوبة : ١٠٧ .

(٦) الكهف : ٢١ .

﴿ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ﴾^(١) .

﴿ وَلَا تُقَاتِلُوهُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ﴾^(٢) .

والمساجد بمقتضى تشريعها مكشوفة ، والسقف الموجودة فيها حادثة ، لقصد أن يأوي إليها الوفود من المرامي السحيقة الذين لا مأوى لهم ، لتكنهم من قائل الحَرِّ وقارص البرد ، فلا يناسب إطلاق البيت عليها ؛ لأنه عبارة عن المحلّ المسقوف ، ولا يطلق على غير المسقوف ، ولذلك تجد إطلاق بيوت الأعراب على أخبيتهم دون الصحاري التي يسكنونها ، ومن ذلك أطلق البيت على الكعبة لكونها مسقوفة .

وكما لا يراد من تلك البيوت - التي يجب أن ترفع ويذكر فيها اسمه - المساجد ، لا يراد منها خصوص الكعبة المشرفة ؛ لأنّ لفظ البيوت في الآية جمع ، وحينئذٍ فمن المتعين أن يراد منها بيوتات تكون مستوى لذكر الله والدعوة إليه ، إمّا بالسنة ساكنيها أو بأعمالهم وجهادهم ، فتكون تلك البيوت منبثق أنوار الله .

وإذا فتشنا بيوت العالم فلا نجد ما هو أولى بصدق هذه البيوت عليهم ، إلا بيوت رسول الله ﷺ ، الذين أنفذوا طاقاتهم في رفع كلمة الله العليا ، وتوحيده ، والذكر بوعدده ووعيده ، فكانت مقصورة على ذلك دعوتهم ، منحصرأ به هتافهم ، حتّى أثبتوه على جبهة الدهر ، وكتبوا بدمائهم الزاكية على صحيفة الزمان ، مع ما لهم من الدؤوب على العبادة والتلاوة في آناء الليل وأطراف النهار ، وأناس بهم أسوة حسنة.

(١) البقرة : ١٤٤ .

(٢) البقرة : ١٩١ .

وليس من الرأي السديد قصرها على بيوتهم التي يسكنونها أيام حياتهم ، بل تعمّها ومشاهدهم المقدّسة ، فإنّهم ﴿أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾^(١) ، وإذا ثبت في الشهداء - وهم دونهم بمراتب - أنّهم أحياء ، فإنّ أهل البيت أولى بذلك ؛ لأنّهم الدعاة إلى سبيل ربّهم بالحكمة والموعظة الحسنة ، أحياء وأمواتاً ، وشهداء في سبيل تلك الدعوة المقدّسة ، وشهداء على أعمال الأمة المرحومة .

وعليه فلا يخلو إمّا أن يراد من الرفع في الآية خصوص العمارة ، وتشيدها ، كما هو الظاهر على حدّ قوله تعالى : ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ﴾^(٢) ، أو يراد مطلق التعظيم ، وممّا لا شكّ فيه أنّ من أظهر مصاديقه عمارتها وتجديدها عند أولها إلى الخراب ، لتتمّ بقيّة أقسام التعظيم من تفيء المتعبدين ، وانتجاع المزدلفين إليها ، واختلاف الزوّار إليها ، وذكر الله سبحانه ، والصلاة والترحم على أولياء الله المتبوّئين هاتيك المشاهد المطهّرة ، وتكون تلك القباب والأبنية الشاهقة كنار تدلّ الوافدين على ما هناك من ضالتهم المنشودة .

٣ - ثمّ إنّ في الكتاب العزيز شيء آخر دلّنا على مشروعية البناء على مراقد الصالحين واتخاذ خصوص المساجد عليها ، وهو قوله جلّ شأنه : ﴿قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَى أَمْرِهِمْ لَسَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِمْ مَسْجِداً﴾^(٣) ، وذلك أنّ المؤمنين مع ملكهم بيدروس وكان موحّداً ،

(١) آل عمران : ١٦٩ .

(٢) البقرة : ١٢٧ .

(٣) الكهف : ٢١ .

لما وصلوا إلى أصحاب الكهف واطلعوا على موتهم في مكانهم ، أمر الملك أن يتركوا في مكانهم ، ويبنى على باب الكهف مسجد يتعبد فيه الناس ويتبركون بمكانهم^(١) .

وهذا منه سبحانه وإن كان إخباراً عن عمل أمة سابقة على الإسلام ، لكنّه مقرون بالتقرير من الله عزّ ذكره ، وعدم الإنكار عليهم ، وكلّما كان الحكم غير منكر من الإسلام فهو مستصحب البقاء ، والنسخ وإن وقع في الشريعة لكنّه لمجموع هاتيك الشرائع لا لجميعها ، فهو كالعشرة الإبراهيمية^(٢) التي لم تنسخ ولا تنسخ أبداً كغيرها من الأحكام المستصحبة .

وإذا أجازت الشريعة الإلهية بناء المسجد على أولئك الصالحين من فتية الكهف للعبادة والتبرّك بهم ، فالحكم شرع سواء فيهم وفي من هو أفضل منهم ، ألا وهم الحجج المعصومون والأولياء المقرّبون من هذه الأمة المرحومة .

وعلى هذا النهج اللاحب جاءت سنّة الرسول الأعظم فإنّه صلّى الله عليه وآله لما دفن عثمان بن مظعون أمر بحجر فوضع عند رأسه ، معلّلاً بأنّه يُعلم منه قبر أخيه ليدفن إليه من مات من أهل

(١) تفسير البغوي ٣ : ١٥٢ ، الكشاف عن حقائق التنزيل ٢ : ٤٧٨ ، تفسير النسفي ٣ : ٩ ، التسهيل لعلوم التنزيل للكلبي ٢ : ١٨٥ ، تفسير أبي السعود ٥ : ٢١٥ ، تفسير الألوسي ١٥ : ٢٣٤ ، الكامل في التاريخ ١ : ٣٥٩ ، قصص الأنبياء للرواندي ٢٦١ ، قصص الانبياء للجزائري : ٥٢ .

(٢) خمسة من هذه العشرة في الرأس وهي : أخذ الشارب ، واعفاء اللحي ، وطمّ الشعر ، والسواك ، والخلال وخمسة في البدن : الختان ، وتقليم الأظفار ، والغسل من الجنابة ، والطهور بالماء ، وحلق الشعر من البدن ، تفسير القمي ١ : ٥٩ ، التفسير الصافي للفيض الكاشاني ١ : ١٨٦ ، مجمع البحرين للطريحي ١ :

بيته ، وهذا الحجر أخذه مروان بن الحكم ووضعه على قبر عثمان بن عفان ، فكلّمته بنو أمية وقالوا : كيف تأخذ حجراً وضعه رسول الله ؟ فلم يعبا بهم^(١) .

وإذا كان وضع الحجر للتعريف بالقبر ، فلا ريب أنّ البناء على القبر أوفى بهذه العلة من وضع الحجر ، فيكون راجحاً بالأولية . على أنّ اهتمام النبي ﷺ بتعريف قبر عثمان دون غيره من المسلمين يدلّنا على امتياز بعضهم عن بعض بالفضل والعلم والورع والمعرفة ، وحينئذ يكون البناء على قبور الأنبياء والأوصياء والأولياء والأمثل فالأمثل امتيازاً عن غيرهم ، وإعلاماً لهم لما من شأن ورفعة أولى وأرجح .

وكانت فاطمة الزهراء عليها السلام تزور قبر حمزة وترمه وتصلحه وقد علّمته بحجر^(٢) ، فدلّ على أنّ إصلاح القبر وتعاهده كي لا تندرس آثاره معروف في زمن الشارع المقدّس ، وإلا لما فعلت ذلك سيّدة نساء العالمين ، والوحي ينزل في بيتها .

وإصلاح القبر يختلف باختلاف الأوقات والأزمنة ، فقد تقتضي الحالة والوقت إصلاح القبر بجمع ترابه ووضع الحجر عليه ، وقد تقتضي بناء قبة عليه أو وضع جدار حوله .

ومن أجل ذلك دفنوا النبي ﷺ في حجرة عائشة ، وكانت مسقّفة بجريد النخل ، وأوّل من بناها باللبن عمر بن الخطّاب^(٣) .

(١) وفاء الوفاء للسهمودي ٢ : ٨٥ ، وبعضها في نيل الأوطار للشوكاني ٤ : ١٣٢ ، بحار الأنوار ٤٨ : ٢٩٧ ، السنن الكبرى للبيهقي ٣ : ٤١٢ ، السيرة الحلبية ٢ : ٢٩٠ .

(٢) السيدة فاطمة الزهراء للبيومي : ١٣٤ .

(٣) وفاء الوفاء للسهمودي ١ : ٣٨٣ ، الشامي السيرة النبوية لابن كثير ٤ :

ثُمَّ إِنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ الزَّيْبِرِ شَيَّدَ جِدْرَانِ قَبْرِ النَّبِيِّ وَجَعَلَهَا مَرْتَفَعَةً ،
وَفِي سَنَةِ ١٩٣ هـ أَمَرَ الرَّشِيدُ وَإِلَيْهِ عَلَى الْمَدِينَةِ أَبَا الْبَخْتَرِيِّ أَنْ يَبْنِيَ
سَقْفَ الْحَجَرَةِ ، ثُمَّ الْمَتَوَكَّلُ أَمَرَ وَإِلَيْهِ عَلَى الْحَرَمَيْنِ إِسْحَاقَ بْنَ سَلْمَةَ
أَنْ يَشَيِّدَ حَجَرَةَ النَّبِيِّ بِحِجَارَةِ الرِّخَامِ فَفَعَلَ ذَلِكَ سَنَةَ ٢٤٢ هـ .

وَفِي الْأَوْرَاقِ الْبَغْدَادِيَةِ لِلْسَيِّدِ إِبْرَاهِيمَ الرَّائِي أَنْ الْمُسْلِمِينَ لَمَّا
فَتَحُوا بِلَادَ الشَّامِ وَبَيْتَ الْمُقَدَّسِ وَرَأَوْا عَلَى قُبُورِ الْأَنْبِيَاءِ الْمَبَانِي لَمْ
يَهْدِمُوهَا ، وَمِنْ أَشْهَرِهَا الْبِنَاءِ الَّذِي عَلَى قَبْرِ إِبْرَاهِيمَ الْخَلِيلِ عَلَيْهِ السَّلَامُ ،
وَقَدْ رَأَى ذَلِكَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ فَلَمْ يَهْدِمِهِ وَلَمْ يَأْمُرْ بِهِدْمِهِ .

وغير خفيّ أنّ تقرير الصحابة - وفيهم الخلفاء - ذلك العمل
دليل قويّ على تعارف البناء على القبور وجوازه لديهم .

وَحَدَّثَ مُحَمَّدُ بْنُ الْحَنْفِيَّةِ الْمَتَوَفَى سَنَةَ ٨١ أَنْ رَسُولَ اللَّهِ دُفِنَ
فَاطِمَةُ بِنْتُ أَسَدٍ فِي مَوْضِعِ الْمَسْجِدِ الَّذِي يُقَالُ لَهُ الْيَوْمَ : (قَبْرِ
فَاطِمَةَ) ، وَفِيهِ دَلَالَةٌ كَمَا عِنْدَ السَّمْعُودِيِّ عَلَى أَنَّ قَبْرَهَا كَانَ عَلَيْهِ
مَسْجِدٌ يُعْرَفُ بِهِ ذَلِكَ الزَّمَانُ^(١) ، وَهُوَ فِي الْمِائَةِ الْأُولَى مِنَ الْهَجْرَةِ ،
كَمَا كَانَ عَلَى قَبْرِ حَمْزَةَ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ مَسْجِدًا يَوْمئِذٍ^(٢) .

وَكَمَا بَنِيَ عَلَى قَبْرِ الْعَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ قُبَّةً دُفِنَ فِيهَا الْحَسَنُ
وَالسَّجَّادُ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ^(٣) ، وَالْبَاقِرُ^(٤) ، وَالصَّادِقُ^(٥) ، فِي الْمِائَةِ الْأُولَى وَالثَّانِيَةِ
كَانَتِ الْقُبَّةُ عَلَى قَبْرِ الْعَبَّاسِ مَوْجُودَةً .

= ٥٤١ ، سبل الهدى والرشاد للصالحى .

(١) تاريخ المدينة لابن شية النميري ١ : ١٢٣ .

(٢) المصدر السابق ١ : ١٢٦ .

(٣) وفيات الأعيان ٣ : ٣٦٩ .

(٤) وفيات الأعيان ٤ : ١٧٤ ، الوافي بالوفيات ٤ : ٧٧ .

(٥) وفيات الأعيان ١ : ٣٢٧ .

وإن الخطيب البغدادي المولود سنة ٣٩٢هـ حكى في ترجمة الإمام الكاظم أنه دفن في مقام الشونيزية (مقابر قریش) خارج القبة وقبره هناك مشهور يزار... إلى آخره .

فدلّ على أنه كان يوم وفاة الإمام موسى بن جعفر عليه السلام قبة في مقابر قریش^(١) .

وعليه يكون وضع القباب على القبور متعارف بين المسلمين لم تنكره علماء تلك العصور مع تبصّرهم بأحاديث الرسول ﷺ .

ومن هنا لم يمتنع الخلفاء من وضع القباب على قبور أسلافهم ، فهذا الرشيد بنى قبة على قبر أمير المؤمنين علي بن أبي طالب^(٢) ، وبنى المأمون على قبر الرشيد قبة^(٣) مع أن عصره كان حافلاً بالعلماء كالشافعي وابن حنبل وسفيان بن عيينة وغيرهم ، فلم ينكر عليه أحد .

ولمّا توفي المعزّ البويهی سنة ٣٥٦هـ دفن في داره ، ثمّ نقل إلى مشهد بُني له في مقابر قریش^(٤) ، وابن وكيع الشاعر المتوفّي ٣٩٣هـ دفن في المقبرة الكبرى في القبة التي بنيت له بها^(٥) ، وأبو

(١) في تاريخ بغداد ١٣ : ٢٩ ، «فقدّم هارون منصوراً من عمرة شهر رمضان سنة تسع وتسعين .

فحمل موسى معه الى بغداد ، وحبسه بها إلى أن توفّي في محبسه» .

نعم في الارشاد للمفيد ٢ : ٢٤٣ : «ثم حمل فدفن في مقابر قریش» وكذلك في غيره ، ومقابر قریش معروفة أنها في بغداد» .

(٢) عمدة الطالب : ٦٢ .

(٣) بحار الأنوار ٤٨ : ٣٢٣ .

(٤) وفيات الأعيان ١ : ١٧٤ .

(٥) وفيات الأعيان ٢ : ١٠٦ .

تمام المتوفّي سنة ٢٧١هـ بنى على قبره نهشل بن حميد الطوسي قبة^(١).

فما قيل من أنّ هذه القباب حدثت منذ القرن الخامس ، فهي من البدع غير المعروفة في زمن الشارع المقدّس وما بعده من الأكاذيب الفاضحة .

فتحصّل من جميع ما ذكرناه أنّ البناء على القبور وعمارتها وتجديدها وتعاهدها أمر راجح وعليه الأمة الإسلاميّة من دون نكير بينها ، ويتأكّد في قبور الأولياء المقرّبين ، والشهداء الصّديقين ، والعلماء الصّالحين ، وذوي المآثر والفضائل ؛ لأنّ فيه تعريفاً بالميت وتنويهاً بمقامه ، ليزوره الزائر ، ويستريح إليه المتعبّد ، لكونه من الأمكنة المحبوبة لله تعالى ، فيها الذكر والطاعة وتحصيل المصالح الدينية .

وبذلك اتفقت كلمة العلماء الذين هم أعرف الأمة بموارد الأمر والنهي ، بل زادوا على البناء والعمارة تزيينها بالمعلّقات والفرش والستائر ، وكلّ ما فيه احترامهم وتعظيمهم .

مدّعين على ذلك - بعد الإجماع والاتفاق - أنّه من الشعائر ، وعدم إنكار الأئمة في عهود كانوا ظاهرين فيها ، والأخبار الكثيرة الدالة على ميلهم ورضاهم به ، وقد أمرت بالوقوف على باب الروضة أو القبة أو الناحية المقدّسة ؛ والاستئذان وتقيل القبة والدعاء عند ترائي القبة الشريفة وغيرها ، ممّا يتوقّف على وجود الباب والقبة والعتبة ، المتوقّف كلّه على البناء ، فلولا البناء أين تكون القبة ؟ وأين

الباب ؟ وأين العتبة ؟ وأين الاستئذان عندها ؟

مع صراحة خبر أبي عامر - واعظ أهل الحجاز - عن الإمام الصادق عليه السلام عن رسول الله ﷺ وفيه : « إن الله سبحانه جعل قلوب نجباء من خلقه وصفوة من عباده تحن إليكم ، وتحتمل الأذى والمذلة ، فيزورون قبوركم ، ويكثرون زيارتهم ، تقرباً منهم إلى الله تعالى ، ومودة منهم لرسوله ، أولئك المخصوصون بشفاعتي ، الواردون حوضي ، وهم زواري غداً في الجنة .

يا علي ، من عمّر قبوركم وتعاهدها فكأنما أعان سليمان على بناء بيت المقدس - الى أن قال - : ولكن حثالة من الناس يعيرون زواركم كما تعير الزانية بزناها ، أولئك شرار أمتي ، لا نالتهم شفاعتي»^(١) .

وحينئذٍ فلا ريب في تخصيص العمومات المانعة من تجصيص القبر وتجديده ، بل ادّعى صاحب الجواهر أعلى الله مقامه : « أن البناء على قبور الأئمة والصلحاء من ضروري المذهب ، بل الدين»^(٢) .

على أن النهي عن التجصيص معارض بما هو أقوى منه سنداً ودلالة وأكثر عدداً ، ومنه حديث صفوان : زار الصادق عليه السلام قبر جده أمير المؤمنين وذكر فضل زيارته واستئذانه منه إعلام الشيعة بهذا

(١) تهذيب الأحكام ٦ : ٢٢ ، المزار للشيخ المفيد : ٢٢٨ ، وغيرها من المصادر باختلاف في بعض الالفاظ .

(٢) جواهر الكلام ٤ : ٣٤١ وعبارته بعد الكلام عن القبور كالتالي : « وحاصل الكلام أن استحباب ذلك كاستحباب المقام عندها وزيارتها وتعاهدها كاديكون من ضرورات المذهب إن لم يكن الدين» .

الفضل إلى أن قال : « وأعطاني دراهم فأصلحت القبر »^(١) .

ويحدث يونس بن يعقوب أن الإمام الكاظم عند رجوعه من بغداد ماتت ابنة له بـ (فيد) ، فدفنها وأمر بعض مواليه أن يجصص قبرها ، ويكتب على لوح اسمها ويجعله في القبر^(٢) .

وماتت أمّ الإمام الحجة صاحب الزمان عجل الله فرجه في أيام أبي محمد الحسن العسكري ، فدفنت في الدار وكتب على لوح : « هذا قبر أمّ محمد ﷺ » ووضع في القبر^(٣) .

وليس هو من خصائص أولادهم ، وإنما جرى الأمر على العادة المألوفة من التعريف بالميت والتنويه بذكره ، فيكون الفعل في غيرها من الأنبياء ﷺ والعلماء الصالحين أولى وأرجح وأأكد .

والمراد من البناء المكروه - كما نصّ عليه الأردبيلي وكاشف الغطاء^(٤) - هو ما كان فوق القبر بحيث يصير القبر تحت الحائط ، فإنه غير مناسب لحرمة الميت ، وأمّا البناء المتعارف المتداول بحيث يكون القبر تحت القبة فلا يشمل النهي ، كما لا يشمل عمارة القبة وتجصيصها وتزيينها ، ولا وضع الصناديق المزينة والأقمشة النفيسة على القبور والوقف لها .

وإليك أسماء من تعرض لهذا الحكم من علمائنا عند مسألة

(١) الغارات للثقفى ٢ : ٨٥٦ ، فرحة الغري لابن طاووس : ١٣٢ ، بحار الأنوار ٩٧ : ٢٨٠ .

(٢) الكافي ٣ : ٢٠٢ ، ح ٣ ، التهذيب ١ : ٤٦١ ، ح ١٤٦ ، الاستبصار ١ : ٢١٧ ، ح ٢ ، وغيرها من المصادر .

(٣) كمال الدين للصدوق : ٤٣١ ، وفي الإكمال : ٤٥٩ أنها ماتت في زمن الإمام الحسن العسكري ﷺ وقد تقدّم ذكر ذلك في الهامش .

(٤) كشف الغطاء ١ : ٢٠٨ .

تجسيص القبور من أحكام الأموات وغيرها ، مرتبين على سنة الوفاة :

السيد عبد الكريم بن طاووس في الفرحة ، المتوفي سنة ٦٩٣هـ^(١) .

الشهيد الأول في الذكرى والدروس ، المتوفي سنة ٧٨٦هـ^(٢) .

المحقق الكركي في جامع المقاصد ، المتوفي سنة ٩٣٣هـ^(٣) .

الشهيد الثاني في روض الجنان ، المتوفي سنة ٩٦٦هـ^(٤) .

الأردبيلي في شرح الإرشاد المتوفي سنة ٩٩٣هـ^(٥) .

السبزواري في الذخيرة ، المتوفي سنة ١٠٩٠هـ^(٦) .

الحر العاملي في الوسائل ، المتوفي سنة ١١٠٤هـ^(٧) .

المجلسي في مزار البحار ومرآة العقول ، المتوفي سنة ١١١٠هـ^(٨) .

السيد جواد العاملي في مفتاح الكرامة ، المتوفي سنة ١٢٢٦هـ^(٩) .

(١) فرحة الغري : ٦٠

(٢) الذكرى ٢ : ٣٧ ، الدروس الشرعية ١ : ٣١٨ .

(٣) جامع المقاصد ١ : ٤٤٩ . علماً بأن وفاة المحقق الكركي كانت سنة ٩٤٠هـ .

(٤) روض الجنان : ٣١٧ .

(٥) مجمع الفائدة والبرهان ٢ : ٤٩٩ .

(٦) ذخيرة المعاد ١ : القسم الثاني : ٣٤٣ .

(٧) وسائل الشيعة ٣ : ٢١١ .

(٨) بحار الأنوار ٩٩ : ٣٠٠ .

(٩) مفتاح الكرامة ٤ : ٤٨٠ .

كاشف الغطاء في نهج الرشاد ص ٧١ ، المتوفى سنة ١٢٢٨ هـ^(١).

السيد علي في الرياض ، المتوفى سنة ١٢٣١ هـ^(٢).

الميرزا القمي في الغنائم ، المتوفى سنة ١٢٣١ هـ^(٣).

النراقي في المستند ، المتوفى سنة ١٢٤٤ هـ^(٤).

الكرباسي في منهاج الهداية ، المتوفى سنة ١٢٦٢ هـ.

صاحب الجواهر فيها ، المتوفى سنة ١٢٦٦ هـ^(٥).

النوري في المستدرک ، المتوفى سنة ١٣٣٠ هـ^(٦).

(١) كشف الغطاء ١ : ١٥٧ .

(٢) رياض المسائل ٢ : ٢٢١ .

(٣) غنائم الأيام ٣ : ٥٣٥ .

(٤) مستند الشيعة ٣ : ٣٧٣ .

(٥) جواهر الكلام ٤ : ٣٣٢ .

(٦) مستدرک الوسائل ٢ : ٣٧٩ .

عمارة مرقد العباس

إذا تمهّد ما ذكرناه ، فمشهد سيّدنا أبي الفضل عليه السلام من أظهر مصاديق تلك البيوت التي أذن الله أن تُرفع ويذكر فيها اسمه ، كما أنّه في الرّغيل الأوّل من أولئك الصّدّيقين والشهداء الصالحين ، وفي تشييد قبّته السامية إبقاء لما أوعزنا إليه من السّرّفي إنحياز قبره عن مجتمع الشهداء .

وإذا أعلمنا الإمام الصادق عليه السلام في زيارته بما له من المقام الرفيع في ملأ القدس وعند مجتمع الأنبياء والرسل ، وقد حاز بذلك إكباراً منهم وتبجيلاً حتّى غبطه على ما حباه الله جميع الشهداء والصّدّيقين ، لتفرّده بتلك المنعة والخطر ؛ كان الاحتفاء بمشجده القدسي من العمارة والتعاهد من أوّليات فرائض عالم الشهود .

ثمّ إنّ سبجانه قيّض لعمارة هذا المشهد الكريم أناساً قدّر لهم الخير والسعادة ، وأجرى على أيديهم المبرّات ، ففازوا بالباقيات

الصالحات ، وكانت لهم الذكرى الخالدة في الدارين ، والسعادة في
النشأتين ، من ملوك ، وأُمراء ، وعلماء ، ووجهاء ، فتعاقب عليه
العمران ، وفي كُلِّ يوم يزداد بهجة وبهاء حتَّى تجلَّى - كما هو اليوم -
في أبهج المناظر بقبته التي تحاك السماء رفعة ، وان شئت النجوم
بهجة ، وذلك الحرم المنيع المضاهي للعرش عظمة ، وأروقه
المغشاة بالقوارير التي تفوق الأفلاك بذخاً ، وذلك الصحن الذي هو
ساحة القدس وباحة الجلال ، والبهو الكبير الذهبي الذي دونه عرش
الملك ومناط الأبهة ، فحاكى غرف الجنان وصروحها .

ويتحدّث المؤرخون أنّ الشاه طهماسب في سنة ١٠٣٢ هجرية
زيّن القبة السامية بالكاشاني ، وبنى شبّاكاً على الصندوق ، ونظّم
الرواق والصحن ، وبنى البهو أمام الباب الأوّل للحرم ، وأرسل
الفرش الثمينة من صنع إيران .

وفي سنة ١١٥٥ هـ أهدى نادر شاه إلى الحرم المطهر تُحفاً
كثيرة ، وزيّن بعض تلك المباني بالقوارير .

وفي سنة ١١١٧ هـ زار الحسين وزيره الشهم ، فجدد صندوق
القبر ، وعمّر الرواق ، وأهدى ثرياً يوضع فيها الشمع لإنارة الحرم
الشريف .

وبعد حادثة الوهابية بكر بلاء سنة ١٢١٦ هـ ، ونهب ما في الحرم
من الأعلاق النفيسة والذخائر المثمّنة ، نهض الشاه فتح علي وجدّد
ما نهب من الحسين وأخيه أبي الفضل ، وعمّر قبة العباس

بالكاشاني ، كما أنه ذهب قبة سيّد الشهداء وصدر الأيوان الذي أمام الباب الأولى للحرم من جهة القبلة ، وأنشأ صندوق ساج على قبر أبي الضيم أبي عبد الله عليه السلام ، وفَضَض الشباك المطهر .

وفي كتاب طاقة ريحان ص ٩١ للعلامة الحاج ميرزا عبد الكريم المقدّس الارومي : أنّ خال جدّته لأُمّه الحاج شكر الله بن بدل بك الأفشاري ذهب الإيوان الذي هو أمام حرم أبي الفضل ، وأنفق على ذلك كلّ ماله ، وذلك بإيعاز زين الفقهاء والمجتهدين الشيخ زين العابدين المازندراني المتوفّي ١٢ ذي العقدة سنة ١٣٠٩ هـ ، وكتب اسمه في الجانب الغربي من جدار الأيوان على صفائح الذهب بخطّ ذهبي موجود إلى الآن وتاريخ الكتابة سنة ١٣٠٩ هـ .

وفي الكتاب المذكور أن نصير الدولة ذهب منارة أبي الفضل ، وكان الصائع يغش في تطلية الطاقات الصفريّة بالذهب ، فعرف منه ذلك ، وجيء به من بغداد إلى كربلاء ، فلمّا دخل الصحن اضطرب وأسود وجهه سواداً شديداً ومات من الغد .

وحَدَّثني العلامة الحجّة السيّد حسن مؤلّف كتاب (فذك) وغيره من المؤلّفات القيّمة : أنّ الإيوان الصغير الذهبي الذي هو أمام الباب الأولى أنشأه ملك لكنهو محمّد شاه الهندي ، وأمّا الطارمة المسقفة بالخشب فبأمر السلطان عبد الحميد خان ، وجدّد بناء القبة بالكاشاني محمّد صادق الأصفهاني الشيرازي الأصل ، وهو الذي اشترى الدور الملاصقة للصحن الشريف وزادها في الصحن وبناه بما هو المشاهد ، وكانت الزيادة من جهة القبلة أكثر من سائر الجهات

قدر إيوانين أو ثلاث ، ودفن في حجرة عند باب القبلة تعرف باسمه ،
وبنى الصحن بالكاشاني رحمه الله وجزاه لخدمته لأبي الفضل أفضل جزاء
المحسنين .

وجدّد السيّد المبجل سادن الروضة المقدسة السيّد مرتضى
الباب الفضلي التي هي في الأيوان الذهبي أمام حضرة العباس عليه السلام
سنة ١٣٥٥ هـ ، وكتب على المصراعين قصيدة الخطيب الأستاذ
الشيخ محمد علي اليعقوبي ، وتفضل حفظه الله بها ، ولطروس
الإنشاء الذي ذكرناه فيما تقدّم ، وهذه القصيدة :

لذ بأعقاب مرقد قد تمت

أن تكون النجوم من حصاه

وانتشق من ثرى أبي الفضل نشراً

ليس يحكي العبير نفح شذاه

غاب فيه من هاشم أي بدر

فيه ليل الضلال يمحي دجاء

هو يوم الطفوف ساقى العطاشي

فاسق من فيض مقلتيك ثراه

وأطل عنده البكاء ففيه

قد أطال الحسين شجواً بكاه

لا يُضاهيه ذو الجناحين لمّا

قطعت في شبا الحسام يده

هو باب الحسين ما خاب يوماً

وافد جاء لائذاً في حماه

قام دون الهدى يناضل عنه

وكفاه ذاك المقام كفاه

فأدياً سبط أحمد كأبيه

حيدر مذ فدى النبي أخاه

جدد المرتضى له باب قدس

من لجين يغشى العيون سناه

إنّه باب حطة ليس يخشى

كلّ هول مستمسك في عراه

قف به داعياً وفيه توسّل

فبه المرء يستجاب دعاه

السدانة

السدانة : هي خدمة المعبد والقيام بشؤونه ولوازمه وتحري كلاءته عن أي عادية ، وقد اتخذت العرب بيوتاً تعظمها كتعظيم الكعبة وجعلوا لها حجاباً وسدنة ، وكانوا يهدون إليها كما يهدون إلى الكعبة ، ويطوفون كما يطوفون بالكعبة ، وينحرون بها مثلها . كل ذلك مع معرفتهم فضل البيت الحرام والكعبة المشرفة ؛ لأنها بناء الخليل^(١) .

فالبيت المعظم الذي يتخذ معبداً ومأوى للوفود والزائرين ومحلاً للدعاء والابتهاال لا بد وان يجعل له حجة وسدنة ، يرعون حرمة ، فنصب السادن من لوازم جلالة المحل ووجود المثلثات فيه ، فلن تجد محلاً له شأن إلا ورأيت له خدمة .

وبمناسبة منعة المحل لا يقيض له من سوقة الناس ومن لا كفاءة له بالقيام بالخدمة ؛ لأن فيه خطأ من كرامته ، وتحطيماً لمكانته ، فمن حق المقام أن يكون السادن شريف قومه ، وكريم

(١) البداية والنهاية لابن كثير ٢ : ٢٤٣ ، السيرة النبوية لابن هشام ١ : ٥٤ ،

تفسير ابن كثير ٤ : ٢٧١ .

بيته ، لا يسبق بمجد ، ولا يلحق بشرف .

ومن هنا نشاهد السدانة في حرم أبي الفضل عليه السلام يتولّاها شريف
بعد شريف ، حتّى انتهى الأمر إلى الهاشمي المبجل السيّد مصطفى ،
ومنه إلى خلفه الشهم الهمام السيّد مرتضى الذي لا تعدّ مآثره ، ولا
آثاره وأياديه الجميلة ، ومساعيه المشكورة حول خدمة الحرم
وعمارته وتنويره وتزيينه ، وكان كما يهواه السؤدد والخطر ، وتختاره
طهارة العنصر ، ونزاهة الأعراق ، ويرثيه المجد الهاشمي ، والمولد
العلوي .

وقام نجله الزكي السيّد محمّد حسن بكُلّ ما يستطيعه من
خدمة الحرم .

حامي الجوار

لقد عرف العلماء مكانة أبي الفضل عند الله سبحانه وتعالى وما حباه به وأعدّه له من جزيل الفضل ، تقديرًا لأعماله ، وما قاساه من فواحش وآلام ، فكان ملجأ الخائف ، ولهف اللاجئ ، وغوث الصريخ ، وحمى المستجير ، فلاذوا بجنابه عند الممّات ، وجاوروا مرقده الأطهر ، والتجأوا إلى كهفه المنيع ، ليمنحهم الشفاعة ، فيفوزوا بالخلد ، ويتقلّبوا على أسرة النعيم الدائم ، وحاشا أبو الفضل أن يخفر الجوار ويتباعد عمّن عقله ناقتة بفنائهم .

ومن هؤلاء الأعلام ما في الذريعة إلى مصنفات الشيعة ج ٣ ص ١٩٩ : أنّ الحاج السيّد محمّد بن محسن الزنجاني توفي بزنجان سنة ١٣٥٥ هـ وحُمِل إلى جوار أبي الفضل العبّاس بوصيّة منه .

وفيه ص ٣٢٣ : أنّ الشيخ علي بن زين العابدين البارجيتي اليزدي الحائري صاحب كتاب (إلزام الناصب في أحوال الحجّة الغائب) دفن في صحن العبّاس عليه السلام .

والعلامة الشيخ علي اليزدي البقروئي ، من أجلاء تلامذة الأردكاني ، دفن في البهو أمام حضرة العبّاس .

والسيّد كاظم البهبهاني ، من تلامذة المرحوم آية الله السيّد هاشم القزويني ، دفن في الرواق .

والعلامة السيّد عبد الله الكشميري ، من تلامذة الأردكاني ،
دفن في الحجرة الرابعة من الشرق الجنوبي .

الشيخ ملا عباس المعروف باليزدي المشهور بسيبويه ، وأخوه
ملا علي المعروف بالأخفش ، لهما مكانة عالية في التدريس ، دفنا
في الحجرة المختصة بهم الملاصقة للباب المعروفة بباب صاحب
الزمان .

والشيخ كاظم الهرّ ، له فضل في العلم والأدب ، تلمذ على
الشيخ صادق ابن العلامة الشيخ خلف عسكر ، دفن في الحجرة
الأخيرة من الشرق الشمالي .

المديح والثناء

من الواضح الذي لا يرتاب فيه أنّ نظم الشعر في أيّ رجل تعريف به وإحياء لذكره وإقامة لأمره ، فإنّ آثار الرجال مهما كبرت في النفوس وعظم أمرها قد يهمل ذكرها بمرور الزمن ، وتباعد العهد ، فيغفل عن تلك المآثر ويتناسى مالها من أهميّة كبرى .
ولمّا كان القول المنظوم أسرع تأثيراً من الأصاخة ، لرغبة الطباع إليه ، فتسير به الركبان ، وتلوّكه الأشداق ، وتتحفّظ به القلوب ، وتتلقّاه جيلاً بعد جيل ، وتأخذه أمة بعد أمة حتّى يرث الله الأرض ومن عليها ، فتلتفت إلى ذلك الفضل المتقادم ، وقد حفظ لنا الأدب العربي كثيراً من قضايا الأمم وسيرها وحروبها في الجاهلية والإسلام .

وبما أنّ ذكرى أهل البيت قوام الدّين ، وروح الأصلاح ، وبها تدرس تعاليمهم ، ويقتفي آثارهم ؛ طفق أدباء هذه الأمة يذكرون مالهم من فضل كثار ، وما جرى عليهم من المصائب ولاقوا في سبيل إحياء الدّين من كوارث ومحن ؛ لأنّ في ذلك إحياء أمرهم ، ورحم الله من أحيى أمرهم ودعا إلى ذكرهم ، وقد تواتر الحثّ من الأئمة المعصومين على نظم الشعر فيهم ، مدحاً ورثاءً ؛ بحيث عدّ من أفضل الطاعات .

ولم يعهد من الأئمة الطاهرين - مع تحفظهم على التقية وإلزام شيعتهم بها - تشييط الشعراء عن المكاشفة في حقهم وإظهار باطل المناوئين، مع أن في الشعراء من لا يقرّ له قرار، ولا يأويه مكان، فرقاً من أعداء أهل البيت، لمحض مجاهرتهم بالولاء والدعوة إلى طريقة أبناء الرسول صلوات الله عليه، كالكميت ودعبل الخزاعي ونظرائهما.

بل كان الأئمة يؤكّدون ذلك بالتحبيذ وإدراج المال عليهم، وإجزال الهبات لهم، وذكر المثوبات، وليس ذلك إلا لأن المكاشفة أدخل في توطيد أسس الولاية، وعامل قويّ لنشر الخلافة الحقّة، حتّى لا يبقى سمع إلا وقد طرّقه الحقّ الصراح، ثمّ تتلقّاه الأجيال الآتية، كلّ ذلك حفظاً للدين عن الاندراس، ولئلا تذهب تضحية آل الله في سبيله أدراج التمويهات.

ولولا نهضة أولئك الأفذاذ من رجالات الشيعة للذبّ عن قدس الشريعة بتعريض أنفسهم للقتل كحجر بن عدي، وعمرو بن الحمق، ورشيد، وميثم التمار، وأمثالهم، ومجاهرة الشعراء بما قدّم به الأطهار من أهل البيت النبويّ، لما عرفت الأجيال المتعاقبة صراح الحقّ.

ومما ورد من الحثّ على نظم الشعر مدحاً ورثاء قولهم عليه السلام: «من قال فينا بيتاً من الشعر بنى الله له بيتاً في الجنّة»، وفي آخر: «حتّى يؤيّد بروح القدس»^(١).

وفي ثالث: «ما قال فينا مؤمن شعراً يمدحنا إلا بنى الله له في

(١) عيون أخبار الرضا للشيخ الصدوق ٢ : ١٥، وسائل الشيعة ١ : ٤٦٧، بحار الأنوار ٢٦ : ٢٣١، وورد بلفظ: «ما قال فينا قائل بيتاً من الشعر حتّى يؤيّد بروح القدس».

الجنة مدينة أوسع من الدنيا سبع مرّات ، يزوره فيها كلّ ملك مقرب ونبيّ مرسل»^(١) .

وقال أبو جعفر الباقر للكميت لما أنشده :

من لقلب متيمّ مستهام .

القصيدة : « لا تزال مؤيداً بروح القدس ما دمت تقول فينا »^(٢) .

وأذن الإمام الجواد عليه السلام لعبد الله بن الصلت أنّ يندبه ويندب أباه الرضا عليه السلام .

وكتب إليه أبو طالب أبياتاً يستأذنه فيها في رثاء أبيه الرضا ، فقطع أبو جعفر الأبيات وكتب إليه : « أحسنت وجزاك الله خيراً »^(٣) .

وتقدّم في ص ١٧٢ مدح الصادق لمن يرثي لهم ويمدحهم .
وحسب الشاعر أن يترتب على عمله البار هاتيك المثنوبات الجزيلة التي تشفّ عن أنّ ما يصفه بعين الله سبحانه حتّى يبوّأه الجليل عزّ شأنه من الخلد حيث يشاء ، وتزدان به غرف الجنان ، ولا بدع فلأنّه بهتافه ذلك معدود من أهل الدعوة الإلهية ، المعلنين لكلمة الحقّ وتأييد الدّين ، فهو بقوله الحقّ يرفع دعامة الإصلاح ، وتشيد مبانية ، ويطأ نزعة الباطل بأخمص الهدى ، ويقم أشواكه المتكدّسة أمام سير المذهب ، ويلحّب طريقه الواضح ، فحيّاهم الله من دعاة إلى مرضيه .

وبما أنّ أبا الفضل العبّاس من أولئك الأطهار الذين بهم تمتّ الدعوة الإلهية ، وعلت كلمة الله العليا ، بلزهاق نفوسهم المقدّسة

(١) عيون أخبار الرضا ٢ : ١٥ ، وسائل الشيعة ١٤ : ٥٩٧ .

(٢) وسائل الشيعة ١٤ : ٥٩٨ ، بحار الأنوار ٤٧ : ٣٢٤ .

(٣) وسائل الشيعة ١٤ : ٥٩٨ ، بحار الأنوار ٢٦ : ٢٣٢ .

حتى قضوا كراماً طيبين ، مضافاً إلى ما حواه من صفات الجلال والجمال ممّا أوجب أن يغبطه الصديقون على ما منحه البارئ سبحانه عوض شهادته ؛ بادر من كهربه الولاء الخالص طلباً لذلك الأجر الجزيل بنظم مديحه وراثته ، وأول من رثاه أمّه أمّ البنين كما في مقاتل الطالبين ، فإنّها كانت تخرج إلى البقيع تندب أولادها أشجى ندبة وأحرقها ، فيجتمع الناس لسماع ندبتها ، وكان مروان يجيء لذلك فلا يزال يبكي^(١) ، فمن رثائها فيهم :

لا تدعوني ويك أمّ البنين

تذكروني بليوث العرين

كانت بنون لي أدعى بهم

واليوم أصبحت ولا من بنين

أربعة مثل نسور الربي

قد واصلوا الموت بقطع الوتين

تنازع الخرصان أشلاءهم

فكلّهم أمسى صريعاً طعين

يا ليت شعري أكما أخبروا

بأنّ عبّاساً قطع الوتين

وقولها الآخر :

يا مَنْ رأى العباس كرّ

على جماهير النقد

(١) مقاتل الطالبين لأبي الفرج الأصفهاني : ٥٦ ، وعنه بحار الأنوار ٤٥ : ٤٠ ، والعوالم للبحراني : ٢٨١ .

ووراه من أبناء حيدر

كلّ ليث ذي لبـد

نُبئت أنّ ابني أصيب

برأسه مقطوع يد

ويلي على شبلي أـمال

برأسه ضرب العمد

لو كان سيفك في يد

يكُ لما دنا منه أحد

ورثاه حفيده الفضل بن محمّد بن الفضل بن الحسن ابن عبيد
الله بن العبّاس بن أمير المؤمنين عليّ ما في المجدي .

إنّي لأذكر للعبّاس موقفه

بكريلاء وهام القوم يختطف

يحمي الحسين ويحميه على ظمأ

ولا يولّي ولا يثني فمختلف

ولا أرى مشهداً يوماً كمشهده

مع الحسين عليه الفضل والشرف

أكرم به مشهداً بانت فضيلته

وما أضع له أفعاله خلف

وحكى الشيخ الجليل العلامة ميرزا عبد الحسين الأميني في
كتاب (الغدير) ج ٣ ص ٥ عن روض الجنان في نيل مشتهى الجنان ،
المطبوع للمؤرّخ الهندي أشرف عليّ ، أنّ الفضل بن الحسن المذكور
قال في جدّه العبّاس عليه السلام :

أحقّ الناس أن يبكى عليه

فتى أبكى الحسين بكربلاء

أخوه وابن والده عليّ

أبو الفضل المضرج بالدماء

ومن واساه لا يثنيه شيء

وجاد له على عطش بماء

وهذه الأبيات نسبها أبو الفرج في المقاتل إلى الشاعر ، ونسبها السيّد الحجّة المتتبّع السيّد عبد الله شبر^{رحمته} في جلاء العيون إلى الحسين عليه السلام .

وقد رثى أبا الفضل العباس جماعة كثيرة من الفضلاء الأدباء والعلماء البارعين ، لو جُمعت لكانت مجلّداً ضخماً ، ولعلّ فيض أبي الفضل يشملنا فنخرجها إلى القراء بالقريب العاجل ، وفي هذا الكتاب نذكر ما يتحمّله منها .

ومن جيّد ما رثى به قصيدة الشاعر الشهير الحاجّ هاشم ابن حردان الكعبي الدروقي المتوفّي سنة ١٢٣١ هـ ، وهي مثبتة في ديوانه المطبوع في النجف ، وفي كشكول الشيخ يوسف البحراني صاحب الحقائق في الفقه ج ٢ ص ٣٩٢ ، وفي الدرّ النضيد للعلامة السيّد محسن الأمين ومطلعها :

هل أم طوق كذات الطوق في السلم

نحن شوقاً إلى أيامنا القدم

إلى أن يقول :

يومُ أبو الفضل تدعوا الظاميات به

والماء تَحْت شِبا الهندية الخدم

والخيل تصطك والزحف الدلاص على

فرسانها قد غدت ناراً على علم

وأقبل الليث لا يلويه خوف ردى

بإدي البشاشة كالمدعو للنعم

يبدو فيغدر صميم الجمع منصداً

نصفين ما بين مطروح ومنهزم

ورثاه العلامة الشيخ محسن آل الشيخ خضر المتوفى حوالي

سنة ١٣٠٣ هـ:

فلله زينب إذ تستغيث

أبا الفضل يا كهف عزّي المهابا

ويا ليث قومي إذا الخطب ناب

وكشّرت الحرب سناً ونابا

أتركني نصب عين العدو

تنتهب القوم رحلي انتهابا

ولله مقولها إذ تقول

ينشعب القلب منه انشعاباً

عذرتك يا ابن أبي فالحميم

بكفيه يحمي إذا الخطب نابا

فشلت أكف علوج برت

يمينك إذ يسلبوني النقابا

وذاب عمود حديد رماك

وأخطأ سهم حشاك أصابا

ورثاه شاعر أهل البيت في عصره السيّد حيدر الحلّي المتوفّي سنة ١٣٠٤ هـ، وهي مثبتة في ديوانه مطلعها :

حلوك في محلّ الضيم داما

وحدّ السيف يأبى أن نضاما

ورثاه العلامة السيّد جعفر الحلّي المتوفّي سنة ١٣١٥ هـ، وقد أبدع فيها وهي مثبتة في ديوانه المطبوع في صيدا وفي منير الأحزان والدرّ النضيد مطلعها :

وجه الصباح عليّ ليل مظلم

وربيع أيامي عليّ محرم

وفي ص ٩٩ وص ١٥٣ وص ١٥٠ ذكرنا أبياتاً منها .

ورثاه الحاجّ محمّد رضا الأزري ومطلعها :

أوما أتاك حديث وقعة كربلاء

إنّي وقد بلغ السماء قتاما

طبعت في منير الأحزان للعلامة الشيخ شريف الجواهري ، وفي الدرّ النضيد .

ورثاه الإمام الحجّة الشيخ محمّد حسن كاشف الغطاء أدام الله ظلّه^(١) :

أبا صالح إنّ العزا لمحرم

ومنكم بنو الزهراء استحلّ به الدم

(١) نقلتها من كتاب سوانح الأفكار في منتخب الأشعار تأليف الفاضل المهذب الخطيب السيّد محمّد جواد شبّر .

لكم بين أضلاعي مواقف لوعة

بذكر رزاياكم تشبّ وتضرم

تزاحم في فكري إذا رمت عدّها

رزاياكم الجلى فأبكى وأوجم

وما أنس من شيء فلا أنس وقعة

تهدّ لها السبع الطباق وتهدم

وقد جدّدت حزني ولم يك مخلقاً

غداة استهلّت أدمعي والمحرم

أصاب بها من كربلا قلب أحمد

وقلب عليّ والبتولة أسهم

غداة بنوه الغرّ في نصر دينه

سرت ونهار العدل بالحوار مظلم

بفتيان صدق في الحفيظة يمت

ركاب العلى في ظعنهم حيث يمموا

تطالع أقماراً بهم وأهله

إذا أسفروا في موكب وتلثموا

وإن صرت الهيجاء ناباً تراهم

أسوداً فأفياء الضبا تتأجّم

وإن قلّ حدّ السيف أمضاه عزمهم

بأَمْضى شبا منهم فلا يتكتم

وتهوي المنايا للهوان كأنّما

المنايا لها دون الدنيّة مغنم

ميامين يوم السلم لكن يومهم

على من دنا بالشؤم منهم لأشأم

قد أدرعوا درعاً جديداً وأخروا

من الصبر أقوى منه نسجاً وأحكم

وما راع جيش الكفر إلا عصابة

حداها من الإيمان جيش عرمرم

حجازية نحو العراق ومنجد

ثناها باجواز الفيافي ومتهم

بأجسامها في عرصة الطفّ عرّست

وأرواحها في عالم القدس عوم

تضاحك بشراً بالمنون كأنما

الحياة عذاب والمنون تنعم

وترقص شوقاً للقاء قلوبها

إذا أخذت في ذكرها تترنم

وإن بزغ النور الإلهي بينها

ترى البدر حقت فيه بالسعد أنجم

لقد ثبتوا للذبّ عنه بموقف

يشيب به طفل القضاء ويهرم

وتذهل أملاك السماء لوقعه

وبسبب منه يذبل ويللم

ولمّا قضوا في حلبة المجد حقها

وحق لها نحو الجنان التقدّم

تهاووا فقل زهر النجوم وتهافتت

وأهووا فقل شمّ الرواسي تهدّم

بحرب على أعوان حرب قد انكفى

صواعق من قرع الأسنة تضرّم

تعثر فيه بالجماجم خيلهم

وأجسامهم للطير والوحش مطعم

وتعبس من خوف وجوه أمية

إذا كرّ (عباس) الوغى يتبسّم

أبو الفضل تأبى غيره الفضل والإبا

أباً فهو أما عنه أو فيه يرسم

عليهم بتأويل المنية سيفه

نزول على من بالكريهة معلم

ويمضي إلى الهيجاء مستقبل العدى

بماضي به أمر المنية مبرم

وإن عاد ليل الحرب بالنقع أليلاً

فيوم عداه منه بالشرّ أيوم

وإن سمع الأطفال تصرخ للظما

تصارخ منه الجحفل المتضمّم

وصال عليهم صولة الليث مغضباً

يحمم من طول الطوى ويدمدم

وراح لورد المستقى حامل السقا

وأصدر عنه وهو بالماء مفهم

ومذ خاض نهر العلقمي تذكر

الحسين فولّى عنه والريق علقم

وأضحى ابن ساقى الحوض سقا ابن

أحمير ويعطاشا لمصطفى الطهران علموا

ولمّا أبى منك الإباء تأخراً

وأنّ أبى الفضل الذي يتقدّم

بهم حسمت يمينك ظلما ولم

أخلى يمين القضي في صارم الشركت حسم

وإنّ عمود الفضل يخسف هامه

عمود حديد للضلالة يدعم

وحين هوى أهوى إليه شقيقه

يشقّ صفوف المخلدي ويحطّم

فألفاه مقطوع اليدين معقراً

يفور من مخسوف هامته الدم

فقال: أخي قد كنت كبش كتيبتي

وجنّة بأس حين أدهى وأدهم

فمن ناقع حرّ القلوب من الظما

ومن دافع شرّ العدى يوم تهجم

ومن يكشف البلوى ومن يحمل اللوا

ومن يدفع الأوي ومن يتقحّم

رحلت وقد خلّفتني يا بن والدي

أغاض بأيدي الظالمين وأهضم

أحاطت بي الأعداء من كلّ جانب

ولا ناصر إلا سنان ولهزم

فما زال ينهيه ويندب عنده

إلى أن أفاض البقعة الدمع والدم

وأقبل محنيّ الضلوع إلى النسا

يكفكف عنها الدمع والدمع يسجم

ولاحت عليه للرزايا دلائل

تبين لها لكِنَّه يتكتم

وأقدم فرداً للكريهة ليثها

وسبعون ألفاً عنه في الكرّ أحجموا

فتحسب عزرائيل صاح بسيفه

عليهم ففرّوا من يديه وأهزموا

وقل غضب الجبار دمدم صاعقاً

بمنحوس ذياك الوجود وأعدموا

ولمّا أعاد البرّ بحراً جواده

السفين به لكنّما الموج عندم

نمت عزمه البقيا عليه فما انثنوا

ورقّ على من لا يرقّ ويرحم

وقام لسان الله يخطب واعظاً

فصمّوا لمّا عن قدس أنواره عموا

وقال انسبونني من أنا اليوم وانظروا

حلالاً لكم منّي دمي أم محرّم

فما وجدوا إلا السهام بنحره

تراش جواباً والعوالي تقوم

ومذ أيقن السبط انمحي دين جدّه

ولم يبق بين الناس في الأرض مسلم

فدى نفسه في نصرة الدين خائضاً

عن المسلمين الغامرات ليسلموا

وقال خذيني يا حتوف وهاك يا

سيوف فأوصالي لك اليوم مغنم

وهيهات أن أغدوا على الضيم حائماً

ولولي على جمر الأسنة مجثم

وكرّ وقد ضاق الفضا وجرى القضا

وسال بوادي الكفر سيل عرمم

ومذ خرّ بالتعظيم لله ساجداً

له كبروا بين السيوف وعظّموا

وجاء إليه الشمر يرفع رأسه

فقام به عنه السنان المقوم

وزعزع عرش الله وانحط نوره

فأشرق وجه الأرض والكون مظلم

ومذمال قطب الكون مال وأوشك

انقلاباً يميل الكائنات ويعدم

وحين ثوى في الأرض قرّ قرارها

وعادت ومن أوج السما وهي أعظم

فلهفي له فرداً عليه تزاحمت

جموع العدى تزداد جهلاً فيحلم

لهفي له ضام يجود وحوله

الفرات جرى طام وعنه يحرم

ولهفي له ملقى وللخيل حافر

يجول على تلك الضلوع وينسم

ولهفي على أعضاك يا بن محمّد

توزّع في أسيافهم وتسهم

فجسمك ما بين السيوف موزّع

ورحلك ما بين الأعادي مقسّم

فلهفي على ريحانة الطُّهر جسمه

لكلّ رجيم بالحجارة يرجم

وللعلاّمة الشيخ محمّد حسين الإصفهاني رحمته الله المتوفى سنة
١٣٦١ هـ ذي الحجّة :

أبو الإباء وابن بجدة اللقا

رقى من العليا خير مرتقى

ذاك أبو الفضل أخو المعالي

سلالة الجلال والجمال

شبل علي ليث غابة القدم

ومن يشابهه أبه فما ظلم

صنو الكريمين سليلي الهدى

علماً وحلماً شرفاً وسؤداً

وهو الزكي في مدارج الكرم

هو الشهيد في معارج الهمم

وارث من حاز مواريث الرسل

أبو العقول والنفوس والمثل

وكيف لا وذاته القدسيّة

مجموعة الفضائل النفسيّة

عليه أفلاك المعالي دائرة

فإنّه قطب محيط الدائرة

له من العلياء والمآثر

ما جلّ أن يخطر في الخواطر

وكيف وهو في علوّ المنزلة

كالروح من نقطة باء البسمة

وهو قوام مصحف الشهادة

تمّت به دائرة السعادة

وهو لكلّ شدة ملّة

فإنّه عنقاء قاف الهمّة

وهو حليف الحقّ والحقيقة

والفرد في الخلقة والخليقة

وقد تجلّى بالجمال الباهر

حتّى بدا سرّ الوجود الزاهر

غرّته الغرّاء في الظهور

تكاد أن تغلب نور الطور

رقى سماء المجد والفخار

بالحق يدعى قمر الأقمار

بل في سماء عالم الأسماء

كالقمر البازغ في السماء

بل عالم التكوين من شعاعه

جلّ جلال الله في إبداعه

سرّ أبيه وهو سرّ الباري

ملك عرش عالم الأسرار

أبوه عين الله وهو نورها

به الهداية استضاء طورها

فإنّه إنسان عين المعرفة

مرآتها لكل اسم وصفة

ليس يد الله سوى أبيه

وقدرة الله تجلّت فيه

فهو يد الله وهذا ساعده

تغنيك عن إثباته مشاهده

فلا سوى أبيه لله يد

ولا سواه لأبيه عضد

له اليد البيضاء في الكفاح

وكيف وهو مالك الأرواح

يمثّل الكرار في كراته

بل في المعاني الغرّ من صفاته

صولته عند النزال صولته

لولا الغلو قلت جلّت قدرته

هو المحيط في تجولاته

ونقطة المركز في ثباته

سطوته لولا القضاء الجاري

تقضي على العالم بالبوار

وواسم المنون حدّ مفرده

والفرق بين الجمع من ضرب يده

بارقة صاعقة العذاب

بارقة تذهب باللباب

بارقة تحصد في الرؤوس

تزهق بالأرواح والنفوس

واسى أخاه حين لا مواسي

في موقف يزلزل الرواسي

بعزيمة تكاد تسبق القضا

وسطوة تملأ بالرب الفضا

دافع عن سبط نبيّ الرحمة

بهمة ما فوقها من همة

بهمة من فوق هامة الفلك

ولا ينالها نبيّ أو ملك

واستعرض الصفوف واستطالا

على العدا ونكس الأبطالالا

لَفَّ جَيُوشَ الْبَغْيِ وَالْفَسَادِ

بِنَشْرِ رُوحِ الْعَدْلِ وَالرَّشَادِ

كَرَّ عَلَيْهِمْ كَرْةُ الْكَرَّارِ

أَوْرَدَهُمْ بِالسَّيْفِ وَرَدَ النَّارِ

آثَرَ بِالْمَاءِ أَخَاهُ الضَّامِي

حَتَّى غَدَا مَعْتَرِضَ السَّهَامِ

وَلَا يَهْمُهُ السَّهَامُ حَاشَا

مَنْ هَمُّهُ سَقَايَةُ الْعَطَاشِ

فَجَادَ بِالْيَمِينِ وَالشَّامِلِ

لِنَصْرَةِ الدِّينِ وَحِفْظِ الْآلِ

قَامَ بِحَمْلِ رَايَةِ التَّوْحِيدِ

حَتَّى هَوَى مِنْ عَمْدِ الْحَدِيدِ

وَالدِّينَ لَمَّا قَطَعْتَ يَدَاهُ

تَقَطَّعَتْ مِنْ بَعْدِهِ عَرَاهُ

وَانْطَمَسَتْ مِنْ بَعْدِهِ أَعْلَامُهُ

مَنْ فَقَدَتْ عَمِيدَهَا قَوَامُهُ

وَانْصَدَعَتْ مَهْجَةُ سَيِّدِ الْبَشَرِ

لَقَاتَلَهُ وَظَهَرَ سَبْطُهُ انْكَسَرَ

وَبَانَ الْإِنْكَسَارُ فِي جَبِينِهِ

فَإِنْكَدَتِ الْجِبَالُ مِنْ حَنِينِهِ

وَكَيْفَ لَا وَهُوَ جَمَالُ بَهْجَتِهِ

وَفِي مَحْيَاهُ سُرُورُ مَهْجَتِهِ

كافل أهله وساقى صبيته
واحدة لکنه کل القوى
ناح على أخيه نوح الثکلى
وانشقت السما وأمطرت دما
بکاه کالهطال حزناً والده
بکاه صنوه الزکى المجتبى
ناحت بنات الوحي والتنزيل
ناحت عليه الحور في قصورها
ناحت عليه زمر الأملاك
فمن لتلك الخفرات الطاهرة
أین ربیب المجد أمأ وأبأ

وحامل اللوا بعالي همته
وليث غابة بطف نينوى
بل النبى في الرفيق الأعلى
فما أجل رزاه وأعظما
وكيف لا وبان منه ساعده
وكيف لا ونور عينه خبا
عليه منذ أمست بلا كفيل
لنوح آل البيت في خدورها
منذ ناحت العقائل الزواكي
من سبيت حسرى القناع سافرة
عن أخواته وهن في السبا

وأين عن ودائع النبوة

ممثّل الغيرة والفتوة

وأين عنها ربّ أرباب الإبا

إذ هجم الخيل عنهنّ الخبا

فأصبحت نهباً لكلّ مارق

مسوّدة المتون والعواتق

فيها اشتفى العدو من ضغائنه

فأين حامي الظعن عن طعائنه

أين فتى الفتيان يوم الملحمة

عن فتياته بأيدي الظلمة

فليته يرى بعين الباري

عزائز الله على الأكوار

يهدي بها من بلد إلى بلد

وهنّ في أعظم كرب وكمد

وللعامة الشيخ حسن ابن الشيخ محسن مصبّح الحلّي^(١) من
قصيدة في الحسين عليه السلام :

(١) آل مصبّح أسرة في الحلة اشتهرت بالعلم والأدب ، منهم : شيخ حسين جدّ المترجم ، وابنه الشيخ محسن والد المترجم ، كان من العلماء الأفاضل ، رثاه السيّد حيدر في قصيدة مثبته في ديوانه ، ومنهم المترجم ولد في الحلة وهاجر إلى النجف لطلب العلم ولمّا يبلغ العشرين من عمره ورجع بعد استكمال الفضيلة ، وحجّ مكّة المكرّمة خمساً وعشرين مرّة تطوعاً تارة ، ونائباً ومعلّماً أخرى ، جمع ديوانه في حياته وهو حسن جدّاً يناهز العشرة آلاف بيتاً ، وجلّ شعره في أهل البيت مدحاً وثناءً ، توفي عن عمر تجاوز السبعين سنة ١٣١٧ هـ ، وحمل إلى النجف (البابليّات للخطيب الأستاذ الشيخ محمّد علي اليعقوبي) .

فهنالك هبّ ابن الوصي إلى الوغى

بـهمة ليث لم يرعه قَتامها

أبو الفضل حامي ثغرة الدين جامع

فرائده إن سلّ منها نظامها

نضى لقراع الشوس غضباً بحده

ليوم التنادي يستكنّ حمامها

عليه انطوت في حلبة الطعن فانطوى

عليه الفضا منه وضاق مقامها

وخاض بها جرّاً يرقّ عبابه

ضباً ويد الأقدار جالت سهامها

فحلاها عن جانب النهر عنوة

وولّت عواذيتها يصل لجامها

ودمدم ليث الغاب يعطو بسالة

إلى الماء لم يكبر عليه ازدحامها

ثنى رجله عن صهوة المهر وامتنى

قرى النهر واحتلّ السقاء همامها

وهبّ إلى نحو الخيام مشمراً

لري عطاشاً قد طواها أوامها

ألّمت به سوداء يخطف برقها

البصائر من رعب ويعلو قَتامها

جلاها بمشحون الغرارين أبلج

يدبّ به لدار عين حمامها

فلولا قضاء الله لم يبق منهم

حسيس ولم يكبر عليه اتصامها

بماضية الأقدار جدت يساره

وثنت بيمينى منه طاب الثامها

وفي عمد حتم القضا شج رأسه

ترجّل وانثالت عليه لئامها

به انتظمت سمر القنا وتشاكلت

وكم فيه يوم الروع حلّ نظامها

دعا يا حمى الإسلام يا بن الذي به

دعائم دين الله شدّ قوامها

جرى نافذ الأقدار في من تحمه

سراعاً فإنّ النفس حان حمامها

فشدّ مجيباً دعوة الليث طالباً

تراب به الأعداء طال اجترامها

طواها ضراباً سلّ فيه نفوسها

وحلّق فيها للبوار اخترامها

وأحنى عليه قائلأ هتك العدى

حجاب المعالي واستحلّ حرامها

أخي بمن أسطو وإنك ساعدي

وعضبي إذا ما ضاق يوماً مقامها

أخي فمن يُعطي المكارم حقّها

ومن فيه إعزازاً تطاول هامها

أخي فمن للمحصنات إذا غدت
 بملساء يذكي الحائضات رغامها
 أخي لمن أُعطي اللواء ومَن به
 يشقُّ عباب الحرب إن جاش سامها
 أخي فمن يحمي الذمار حفيظة
 إذا ما كبا بالضاريات اعتزامها
 كفى أسفاً أني فقدت حشاشتي
 بفقدك والأرزاء جدد احتدامها
 فوالهفتا والدهر غدر صروفه
 عليك وعفواً ناضلتني سهامها
 إلى الله أشكو لوعة لو أبثتها
 على شامخات الأرض ساخ شمامها
 على أنني والحكم لله لاحق
 بأثرك والدنيا قليل دوامها
 فقام وقد أحنى الضلوع على جوى
 يئنُّ كما في الدوح أن حمامها
 حسبتك للأيتام تبقى ولم أخل
 تجرّ عليّ الداهيات طغامها
 للعلامة الحجّة الشيخ عبد الحسين صادق العاملي^(١) :

(١) ولد في النجف الأشرف في شهر صفر سنة ١٢٧٩ هـ وتوفى ١٢ ذي
 الحجّة سنة ١٣٦١ ، ودفن في مقبرة بجنب الحسينيّة التي أسسها في
 (النبطية) .

بكر الردى فاجتاح في نكبائه
نور الهدى ومحاسنا سيمائه
ودهى الرشاد بناسف لأشمه
وبخاسف أواه بدر سمائه
ورمى فأصمى الدين في نفاذه
وارحمتاه لمنتهى أحشائه
يوماً به قمر الغطارف هاشم
صكت يد الجلى جبين بهائه
سيم الهوان بكربلاء فطار للعز
الرفيع به جناح آبائه
أنى يلين إلى الدنيّة ملمساً
أو تنحت الأقدار من ملسائه
هو ذلك البسام في الهيجاء
(والعبّاس) نازلة على أعدائه
من حيدر هو بضعة وصفيحة
من عزمه مشحودة بمضائه
واسى أخاه بموقف العز الذي
وقفت سوارى الشهب دون علائه
ملك الفرات على ظمائه وأسوة
بأخيه مات ولم يذق من مائه
لم أنسه مذكّر منعطفاً وقد
عطف الوكاء على معين سقائه

ولوى عنان جواده سرعان نحو

مخيم يطفئ أوار ظمائه

فاعتاقه السدان من بيض ومن

سمر وكل سد رحب فضائه

فانصاع يخترق الصوارم والقنا

لا يرعوي كالسهم في غلوائه

يفري الطلا ويخيط أفلاذ الكلا

بشباة أبيضه وفي سمرائه

ويجول جولة حيدر بكتائب

ملاً الفضا كالليل في ظلماته

حتى إذا ما حان حين شهادة

رقيمت له في لوح فضل قضائه

حسنت مذبذبة الحسام مقلة

لسقائه ومجيلة للوائه

أمن العدى فتكاته فدنا له

من كان هيباً مهيب لقائه

وعلاه في عمد فخر لوجهه

ويمينه ويساره بأزائه

نادى أخاه فكان عند ندائه

كالكوكب المنقّص في جوزائه

وافى عليه مفرقاً عنه العدى

ومجمعاً ما أنبت من أشلائه

وهوى يقبله وما من موضع

للثم إلا غارق بدمائه

ويميط عن حرّ المحيا حمرة

علقية صبغت لجين صفائه

يا مبكياً عين الإمام عليك

فلتبك الأنام تأسّيساً ببكائه

ومقوّساً منه القوام وحنانياً

منه الضلوع على جوى برحائه

فلننحني حزناً عليك تأسّياً

بالسبط في تقويسه وحنائه

أنت الحريّ بأن تقيم بنو الورى

طرى ليوم الحشر سوق عزائه

هذا آخر ما وقفنا عليه من حياة قمر الهاشميين ، واللّه وليّ
التوفيق ، والحمد لله ربّ العالمين ، وصلى الله على محمّد وآله
الهداة الميامين ، ونسأله سبحانه الهداية لما يرضيه والزلفى لديه
تعالّت آلاؤه .

فهرس المصادر

القرآن الكريم: كتاب الله سبحانه وتعالى المنزل .

١ - **الرد على المتعصب العنيد**، الحافظ أبي الفرج عبد الرحمن بن علي المعروف بابن الجوزي ت ٥٩٧، تحقيق الشيخ محمد كاظم المحمودي، طبع سنة ١٤٠٣ - ١٩٨٣ .

٢ - **الاستيعاب في معرفة الأصحاب**، يوسف بن عبد الله بن محمد ابن عبد الله القرطبي ت ٤٦٣، تحقيق علي محمد معوض وعادل أحمد عبدالموجود، الطبعة الأولى ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ م دار الكتب العلمية - بيروت .

٣ - **الجامع لأحكام القرآن**، محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، ت ٦٧ هـ، تحقيق ابراهيم أصفيش، طبع سنة ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م، دار لحياة التراث العربي - بيروت .

٤ - **الخرائج والجرائح**، قطب الدين الراوندي، ت ٥٧٣، تحقيق محمد باقر المحمودي، الطبعة الأولى ١٤٠٩ هـ، مؤسسه الامام المهدي عليه السلام - قم .

٥ - **الاحتجاج**، أحمد بن علي بن أبي طالب الطبرسي، تعليق محمد باقر الخرساني، سنة الطبع ١٣٨٦ هـ - ١٩٦٦ م، دار النعمان - النجف الأشرف .

٦ - **إحقاق الحق وازهاق الباطل**، نور الله الحسيني المستري، ت ١٠١٩، تعليق السيد شهاب الدين المرعشي، منشورات مكتبة آية الله العظمى المرعشي النجفي - قم - إيران .

- ٧ - **الأخبار الطوال**، أحمد بن داود الدينوري ، ت ٢٨٢هـ ، تحقيق عبد المنعم عامر الطبقة الأولى ١٩٦٠م ، دار احياء الكتاب العربي - القاهرة .
- ٨ - **الاختصاص**، الشيخ المفيد، تحقيق علي أكبر الغفاري ومحمود الزرندي ، الطبعة الثانية ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م دار المفيد - بيروت .
- ٩ - **الإرشاد**، محمد بن النعمان العكبري البغدادي المعروف بالشيخ المفيد ، تحقيق مؤسسة آل البيت عليه السلام - الطبعة الثانية ١٤١٤هـ - ١٩٩٣ م ، دار المفيد - بيروت - لبنان .
- ١٠ - **الاستيعاب في معرفة الأصحاب** ، أحمد بن عبد الله بن أحمد ابن عبد البر ، ت ٤٦٣ ، تحقيق علي محمد البجاوي ، الطبقة الأولى ١٤١٢هـ - دار الجبل - بيروت .
- ١١ - **أسد الغابة في معرفة الصحابة**، عز الدين أبي الحسن علي بن أبي الكرم المعروف بابن الأثير ، دار الكتاب العربي - بيروت .
- ١٢ - **الإصابة في تمييز الصحابة**، أحمد بن حجر العسقلاني ، تحقيق عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد عوض ، الطبقة الأولى ١٤١٥هـ - دار الكتب العلمية - بيروت .
- ١٣ - **الإصابة في تمييز الصحابة**، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني ، ت ٨٥٢هـ ، تحقيق عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوض ، الطبعة الثانية ١٤٢٣هـ ، ٢٠٠٢م ، دار الكتب العلمية - بيروت .
- ١٤ - **الأصول الستة عشر من الأصول الأولية**، تحقيق ضياء الدين المحمودي ، الطبعة الأولى ١٤٢٣هـ - ١٣٨١ ش ، دار الحديث قم .
- ١٥ - **الأغاني**، علي بن الحسين أبو الفرج الاصفهاني ، ت ٣٥٦ ، الطبعة الأولى ، دار احياء التراث العربي - بيروت .
- ١٦ - **الأمال**، علي بن الطاهر المعروف بالمرتضى ، تحقيق محمد بدر الدين الحلبي ، الطبعة الأولى ١٣٢٥ - ١٩٠٧م ، منشورات مكتبة آية الله

المرعشي .

١٧ - **الأمالى**، محمد علي بن الحسن بن بابويه القمي ، تحقيق قسم الدراسات السلامية ، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ - مركز الطباعة والنشر في مؤسسة البعثة .

١٨ - **إمتاع الأسماع**، تقي الدين أحمد بن علي بن القاد المقرزي ، ت ٨٤٥هـ - تحقيق محمد عبد الحميد النميسي الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ ١٩٩٩م ، دار الكتب العلمية - بيروت .

١٩ - **أوائل المقالات**، محمد العكبري البغدادي المعروف بالشيخ المفيد ، ت ٤١٣ ، تحقيق إبراهيم الانصاري الطبعة الثانية ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م ، دار المفيد - بيروت .

٢٠ - **إيمان أبي طالب** ، محمد بن محمد بن النعمان العكبري البغدادي المعروف بالشيخ المفيد ، تحقيق مؤسسة البعثة ، الطبعة الثانية ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م ، دار المفيد - بيروت - لبنان .

٢١ - **بحار الأنوار**، محمد باقر المجلسي ، تحقيق محمد باقر البهودي ، الطبعة الثانية ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م ، دار إحياء التراث العربي - بيروت .

٢٢ - **البداية والنهاية**، إسماعيل بن كثير الدمشقي ، تحقيق علي شيري ، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م ، دار التراث العربي - بيروت .

٢٣ - **بشارة المصطفى**، محمد بن علي الطبري ، ت ٥٢٥ ، تحقيق جواد القيومي الاصفهاني ، الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ - مؤسسة النشر الاسلامي التابعة جماعة المدرسين بقم .

٢٤ - **بصائر الدرجات**، محمد بن الحسن الصفار ، ت ٢٩٠ ، تحقيق ميرزا حسن باغي طبع سنة ١٤٠٤هـ - الأحمدى - طهران .

٢٥ - **تاريخ الإسلام**، محمد بن أحمد بن عثمان شمس الدين الذهبي ، تحقيق عمر عبدالسلام ترمزي ، الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م ، دار

الكتاب العربي - بيروت .

٢٦ - **تاريخ الأمم والملوك**، محمد بن جرير الطبري ، ت ٣١٠ ، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ، بيروت - لبنان ، مقابلة على النسخة المطبوعة في لندن ١٨٧٩ .

٢٧ - **تاريخ الأمم والملوك** ، محمد بن جرير الطبري ت ٣١٠ ، تحقيق نخبه من العلماء ، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ، بيروت - لبنان .

٢٨ - **تاريخ بغداد**، أحمد بن علي البغدادي ، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا ، الطبعة الأولى ١٤١٧ هـ - دار الكتب العلمية - بيروت .

٢٩ - **تاريخ مدينة دمشق**، علي بن الحسن بن هبة الله المعروف بابن عساكر ، تحقيق علي شيري ، سنة الطبع ١٤١٥ ، دار الكتب العلمية - بيروت .

٣٠ - **تاريخ اليعقوبي** ، أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن وهب المعروف باليعقوبي ، ت ٢٨٤ ، نشر مؤسسة نشر فرهنگ أهل بيت :- قم - إيران .

٣١ - **تخريج الأحاديث والآثار**، جمال الدين الزيلعي ، ت ٧٦٢ ، تحقيق عبدالله بن عبدالرحمان السعد ، الطبعة الأولى ١٤١٤ هـ الرياض دار ابن خزيمة .

٣٢ - **تذكرة الخواص**، يوسف بن قزغلي ، سبط ابن الجوزي ، ت ٦٥٤ ، تحقيق حسن تقي زاده ، الطبعة الأولى ١٤٢٦ هـ ، مجمع أهل بيت عليه السلام .

٣٣ - **تذكرة الموضوعات**، محمد طاهر بن علي الهندي الفتي ، ت ٩٨٦ هـ .

٣٤ - **تفسير ابن أبي حاتم**، ابن أبي حاتم الرازي ، تحقيق أسعد محمد الطيب ، المكتبة العصرية - صيدا .

٣٥ - **تفسير ابن كثير**، إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي ، ت ٧٧٤ هـ ، تحقيق يوسف عبدالرحمان المرعشلي ، طبع سنة ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م ، دار

المعرفة - بيروت - لبنان .

٣٦ - **تفسير الآكوسي**، الآكوسي ، ت ١٢٧٠هـ .

٣٧ - **تفسير البغوي** ، ت ٥١٠ ، خالد عبدالرحمن الملك ، دار المعرفة -

بيروت .

٣٨ - **تفسير الثعلبي**، ت ٤٣٧ ، تحقيق الإمام علي عاشور ، الطبعة الأولى

١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م ، بيروت - لبنان .

٣٩ - **التفسير الكبير**، الفخر الرازي ، تحقيق دار إحياء التراث العربي ،

الطبعة الثانية ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م ، دار إحياء التراث العربي - بيروت .

٤٠ - **تاريخ اليعقوبي** ، أحمد بن أبي يعقوب بن وهب ، طبعة دار صادر -

بيروت ، نشر مؤسسة ونشر فرهنگ أهل بيت عليه السلام - قم .

٤١ - **تهذيب الأحكام في شرح المقنعة**، محمد بن الحسن الطوسي ،

ت ٤٦٠هـ ، تحقيق السيّد حسن الخرساني ، الطبعة الرابعة ١٣٥٦ش ، دار الكتب الاسلامية - طهران .

٤٢ - **تهذيب الكمال** ، جمال الدين أبي الحجاج يوسف المزي ، ت ٦٥٤

- ٧٤٢ ، تحقيق الدكتور بشار عواد معروف ، الطبعة الثانية ١٤٠٧هـ -

١٩٨٧م ، مؤسسة الرسالة - بيروت .

٤٣ - **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، محمد بن جرير الطبري ، تحقيق

الشيخ خليل الميس ، طبع سنة ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م ، دار الفكر - بيروت .

٤٤ - **جمال الاسبوع**، السيّد ابن طاوس ، ت ٦٦٤ ، تحقيق جواد فيومي

الجنائي الاصفهاني ، الطبعة الأولى ، ١٣٧١ .

٤٥ - **حلية الأبرار في احوال محمّد وآله الأطهار عليهم السلام** ، السيّد هاشم البحراني ،

تحقيق غلام رضا مولانا البروجردي ، الطبعة الأولى ١٤١٤هـ - مؤسسة

المعارف الإسلامية - قم .

٤٦ - **الدرجات الرفيعة**، السيّد علي خان المدني ، ت ١١٢٠هـ ، طبع سنة

١٣٩٧، بصيرتي - قم .

٤٧ - الدرر في اختصار المغازي ، أحمد بن عبد الله بن أحمد ابن عبد البر ، ت ٤٦٣ .

٤٨ - الدرّ النظيم، جمال الدين يوسف بن حاتم بن فوز العاملي ، ت ٦٦٤ ، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين - قم .

٤٩ - الدر المنثور في التفسير بالمأثور ، جلال الدين السيوطي ، ت ٩١١ ، دار المعرفة للطباعة والنشر بيروت - لبنان .

٥٠ - الدمعة الساكنة في أحوال النبي ﷺ والعترّة الطاهرة ، محمد باقر البهبهاني ، ت ٢٨٥ ، الطبعة الأولى ١٤٠٩ هـ - ١٩٨٩ م ، مؤسسة الأعلمي - بيروت .

٥١ - الذرية الطاهرة ، محمد بن أحمد بن حماد الدولابي ، ت ٣١٠ هـ ، تحقيق السيّد محمود الجلالى ، الطبعة الأولى ١٤٠٧ هـ ، مؤسسة النشر الإسلامي - قم .

٥٢ - رياض الصالحين ، يحيى بن شرف النووي الدمشقي ، ت ٦٧٦ ، الطبعة الثانية ١٤١١ هـ - ١٩٩١ م ، دار الفكر المعاصر ، بيروت - لبنان .

٥٣ - روضة الواعظين ، محمد بن الفتال النيسابوري ، ت ٥٠٨ ، تحقيق السيّد محمد مهدي الخرساني ، منشورات الشريف - قم .

٥٤ - زاد المسير ، عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي ، تحقيق محمد بن عبد الرحمن ، الطبعة الأولى ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م ، دار الفكر للطباعة والنشر ، بيروت - لبنان .

٥٥ - سنن ابن ماجه ، محمد بن يزيد القزويني ، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ، دار الفكر - بيروت .

٥٦ - سز السلسلة العلوية ، أبي نصر البخاري ، ت ٣٤١ ، تقديم محمد صادق بحر العلوم ، الطبعة الأولى ١٤١٣ هـ ، انتشارات الشريف الرضي .

٥٧ - **سنن الترمذي** ، محمد بن عيسى الترمذي ، تحقيق عبد الرحمن محمد عثمان ، الطبعة الثانية ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م دار الفكر - بيروت .

٥٨ - **السياسة الشرعية** ، محمد بن عبد الحليم الحراني ، سي دي مؤلفات الشيخ والتلميذ .

٥٩ - **السنن الكبرى** ، أحمد بن شعيب النسائي ، تحقيق الدكتور عبد الغفار سليمان البندادي ، وسيد كسروي حسن ، الطبعة الأولى ١٤١١هـ - ١٩٩١م ، دار الكتب العلمية - بيروت .

٦٠ - **السيرة الطبية** ، برهان الدين الحلبي الشافعي ، ت ١٠٤٤ ، طبع سنة ١٤٠٠هـ - دار المعرفة - بيروت .

٦١ - **سبل الهدى والرشاد** ، محمد بن يوسف الصالحي الشامي ، تحقيق الشيخ عادل أحمد بن عبد الموجود وعلي محمد معوض ، الطبعة الأولى ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م دار الكتب العلمية - بيروت .

٦٢ - **السنة** ، عمرو بن أبي عاصم الضحاك الشيباني ، تحقيق الشيخ محمد ناصر الدين الالباني ، الطبعة الثالثة ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م ، المكتب الإسلامي - بيروت .

٦٣ - **سيرة ابن إسحاق** ، محمد بن إسحاق بن يسار ، ت ١٥١ ، تحقيق محمد حميد الله ، معهد الدراسات والأبحاث .

٦٤ - **السيرة النبوية** ، عبد الملك بن هشام بن أيوب ، ت ٢٨٨ ، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ، طبع سنة ١٣٨٣هـ - ١٩٦٣م ، القاهرة .

٦٥ - **السيرة النبوية** ، تأليف محمد بن إسحاق بن يسار المطلبي ، ت ١٥١ ، وهذبها عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري ، ت ٢١٨ ، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ، طبع سنة ١٣٨٣ - ١٩٦٣ ، المدني - القاهرة .

٦٦ - **السيرة النبوية** ، إسماعيل بن كثير ، ت ٧٧٤هـ ، تحقيق مصطفى عبد الواحد ، طبع سنة ١٣٩٦هـ - ١٩٧٦م ، دار المعرفة - بيروت .

٦٧ - شواهد التنزيل، عبيد الله بن أحمد المعروف بالحاكم الحسكاني، تحقيق الشيخ محمد باقر المحمودي، الطبعة الأولى ١٤١١هـ - ١٩٩٠م، وزارة الثقافة والإرشاد الإسلامي.

٦٨ - شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد المعتزلي، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، بيروت - لبنان.

٦٩ - شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد المعتزلي، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، مؤسسة إسماعيليان للطباعة والنشر - قم.

٧٠ - شواهد التنزيل لقواعد التفضيل في الآيات النازلة في أهل البيت

صلوات الله وسلامه عليهم، عبيد الله بن عبد الله بن أحمد المعروف بالحاكم الحسكاني، تحقيق الشيخ محمد باقر المحمودي، الطبعة الأولى ١٤١١هـ - ١٩٩٠م، مجمع إحياء الثقافة الإسلامية - قم.

٧١ - صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج النيسابوري، دار الفكر - بيروت.

٧٢ - صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان، علاء الدين علي بن بلبان الفارسي، تحقيق شعيب الأرناؤوط، طبع سنة ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م، مؤسسة الرسالة.

٧٣ - صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم البخاري، طبعة سنة ١٤٠١هـ - ١٩٨١م، دار الفكر - بيروت.

٧٤ - الطرائف في معرفة مذاهب الطوائف، علي بن موسى بن طاووس الحلبي، ت ٦٦٤، طبع سنة ١٣٩٩هـ - خيام - قم.

٧٥ - الطبقات الكبرى، محمد بن سعد، ت ٢٣٠، دار صادر - بيروت.

٧٦ - عمدة الطالب في أنساب آل أبي طالب، أحمد بن علي الحسيني المعروف بابن عنه، ت ٨٢٨، تصحيح محمد حسن آل الطالقاني، الطبعة الثانية، ١٣٨٠هـ - ١٩٦١م، المطبعة الحيدرية - النجف الأشرف.

٧٧ - عمدة الطالب في أنساب آل أبي طالب، أحمد بن علي الحسيني

المعروف بابن عنبه ، ت ٨٢٨هـ ، طبع سنة ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م ، الصدر - قم .
٧٨ - عمدة القارئ في شرح صحيح البخاري ، العيني ت ٨٥٥ ، طبع دار
إحياء التراث العربي - بيروت .

٧٩ - عقيدة أبي طالب ، السيد طالب الرفاعي ، نشر مركز الأبحاث
العقائدية .

٨٠ - عوالي اللئالي العزيزة في الأحاديث الدينية ، محمد بن علي بن
إبراهيم الاحسائي ، ت ٨٨٠ ، تحقيق مجتبى العراقي ، الطبعة الأولى ١٤٠٨ -
١٩٨٥م ، سيد الشهداء - قم .

٨١ - الغدير، الشيخ الأميني ، الطبعة الثالثة ١٣٨٧هـ - ١٩٦٧م ، دار
الكتاب العربي بيروت - لبنان .

٨٢ - فتح القدير الجامع بين فن الرواية والدراية من علم التفسير ، محمد بن
علي بن محمد الشوكاني ، ت ١٢٥٥ ، مطبعة عالم الكتب .

٨٣ - فقه الرضا ، علي بن بابويه ، ت ٣٢٩ ، تحقيق مؤسسة آل
البيت عليه السلام ، الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ .

٨٤ - فتوح البلدان ، أحمد بن يحيى بن جابر المعروف بالبلاذري ،
ت ٢٧٩هـ ، تحقيق صلاح الدين المنجد ، طبع سنة ١٩٥٦م ، مكتبة النهضة - مصر .

٨٥ - فتح الباري شرح صحيح البخاري ، شهاب الدين بن حجر العسقلاني ،
ت ٨٥٢ ، الطبعة الثانية ، دار المعرفة للطباعة والنشر ، بيروت - لبنان .

٨٦ - الفتوح ، أحمد بن أعثم الكوفي ، ت ٣١٤هـ - ٩٢٦م ، تحقيق علي
شير ، الطبعة الأولى ١٤١١هـ ، دار الأضواء .

٨٧ - فيض القدير في شرح الجامع الصغير ، محمد بن عبد الرؤوف
المنائي ، تحقيق أحمد عبد السلام الطبعة الأولى ١٤١٥هـ ، دار الكتب
العلمية - بيروت .

٨٨ - القاموس المحيط ، الفيروزآبادي ، ت ٨١٧هـ .

- ٨٩ - **قرب الاسناد**، عبد الله بن جعفر الحميري، تحقيق مؤسسة آل البيت عليه السلام، الطبعة الأولى ١٤١٣ هـ، مؤسسة آل البيت لإحياء التراث - قم.
- ٩٠ - **كامل الزيارات**، جعفر بن محمد بن قولويه القمي، ت ٣٦٨، تحقيق الشيخ جواد القيومي، الطبعة الأولى ١٤١٧ هـ - مؤسسة النشر الإسلامي، قم.
- ٩١ - **الكامل في التاريخ**، علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم المعروف بابن الأثير، ت ٦٣٠، طبع سنة ١٣٨٦ - ١٩٦٦ م، دار صادر - بيروت.
- ٩٢ - **كتاب الولاية**، أحمد بن محمد بن سعيد بن عقدة الكوفي، جمع وترتيب عبد الرزاق محمد حسين حرز الدين، الطبعة الأولى، ١٤٢١ هـ - انتشارات دليل.
- ٩٣ - **الكامل**، المبرد، طبع سنة ١٣٥٥.
- ٩٤ - **كنز الفوائد**، محمد بن علي بن عثمان الكراجكي، ت ٤٤٩ هـ، تحقيق عبد الله نعمة، طبع سنة ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م، دار الأضواء - بيروت.
- ٩٥ - **الكشاف عن حقائق التنزيل وعلوم الأقاويل**، جار الله الزمخشري، ت ٥٣٨، طبع سنة ١٣٨٥ - ١٩٦٦ م، شركة مكتبة مصطفى البابي الحلبي وأولاده - مصر.
- ٩٦ - **كنز الفوائد**، محمد بن علي الكراجكي، ت ٤٤٩، الطبعة الثانية ١٣٦٩، مطبعة الغدير، مكتبة المصطفوي - قم.
- ٩٧ - **كشف الغمة في معرفة الأنمة**، علي بن عيسى بن أبي الفتح الأربلي، الطبعة الثانية ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م، دار الأضواء، بيروت - لبنان.
- ٩٨ - **الكافي**، محمد بن يعقوب بن إسحاق الكليني، تحقيق علي أكبر غفاري، الطبعة الثالثة ١٢٦٧ ش، دار الكتب الإسلامية - طهران.
- ٩٩ - **مستدرک الوسائل**، حسين النوري الطبري، ت ١٣٢٠، تحقيق

مؤسسة آل البيت عليه السلام ، الطبعة الثانية ١٤٠٨هـ - ١٩٨٩م ، مؤسسة آل البيت عليه السلام لإحياء التراث الإسلامي بيروت - لبنان .

١٠٠ - **المجدي في أنساب الطالبين**، علي بن محمد بن علي بن محمد العلوي العمري ، تحقيق الدكتور أحمد المهدي الدامغاني ، الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ ، سيد الشهداء - قم .

١٠١ - **المجدي في أنساب الطالبين** ، علي بن محمد العلوي ، ت ٧٠٩هـ ، تحقيق أحمد الدامغاني ، الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ ، مكتبة آية الله المرعشي .

١٠٢ - **المناقب** ، الموفق بن أحمد بن محمد المكي ، تحقيق الشيخ مالك المحمودي ، الطبعة الثانية ١٤١٤هـ - مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين .

١٠٣ - **مصباح الفقامة** ، تقرير بحث السيد أبو القاسم الخوئي ، بقلم محمد علي التوحيد التبريزي ، الطبعة الأولى المطبعة العلمية - قم ، نشر مكتبة الداوري - قم .

١٠٤ - **مناقب علي بن أبي طالب وما نزل من القرآن فيه** ، أحمد ابن موسى بن مردويه الاصفهاني ، ت ٤١٠ ، عبد الرزاق محمد حسين حرز الدين ، الطبعة الثانية ١٤٢٤هـ - ١٣٨٣ش ، دار الحديث - قم .

١٠٥ - **مسند أحمد بن حنبل** ، أحمد بن حنبل ، ت ٢٤١ ، دار صادر - بيروت .

١٠٦ - **مجمع الزوائد ومنبع الفوائد** ، نور الدين الهيثمي ، طبع سنة ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م ، دار الكتب العلمية - بيروت .

١٠٧ - **المصنف** ، عبد الله بن محمد بن أبي شيبة الكوفي ، تحقيق سعيد اللحام ، طبع سنة ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م ، دار الفكر ، بيروت - لبنان .

١٠٨ - **ميزان الاعتدال** ، شمس الدين الذهبي ، تحقيق علي محمد البجاوي ، الطبعة الأولى ١٣٨٢هـ - ١٩٦٣م ، دار المعرفة ، بيروت - لبنان .

١٠٩ - **مسند ابن راهويه**، إسحاق بن إبراهيم بن مخلد المروزي ، تحقيق الدكتور عبد الغفور عبد الحق حسين برد البلوسي ، الطبعة الأولى ١٤١٢هـ مكتب الإيمان - المدينة المنورة .

١١٠ - **مقاتل الطالبين** ، أبي الفرج الأصفهاني ، تحقيق كاظم المظفر - الطبعة الثانية ، مؤسسة دار الكتاب - قم .

١١١ - **مستدرك الوسائل** ، الميرزا النوري ، ت ١٣٢٠ ، تحقيق مؤسسة آل البيت ، الطبعة الثانية ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م ، مؤسسة آل البيت .

١١٢ - **من لا يحضره الفقيه**، محمد بن علي بن بابويه القمي المعروف بالشيخ الصدوق ، ت ٣٨١هـ ، تحقيق علي أكبر غفاري ، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين - قم .

١١٣ - **معجم البلدان** ، ياقوت بن عبد الله الحموي الرومي البغدادي ، ت ٦٣٦هـ ، طبع سنة ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م ، دار إحياء التراث العربي - بيروت .

١١٤ - **منهج الرشاد لمن أراد السداد** ، جعفر كاشف الغطاء ، ت ١٢٢٨ ، تحقيق جودت القزويني ، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م ، مطبوع ضمن الطبقات العنبرية في الطبقات الجعفرية لمحمد حسين كاشف الغطاء .

١١٥ - **المسترشد**، محمد بن جرير الطبري (الشيعة) ، القرن الرابع ، تحقيق أحمد محمودي ، الطبعة الأولى ١٤١٥هـ ، مؤسسة الثقافة الإسلامية .

١١٦ - **المحتضر**، حسن بن سليمان الحلبي ، القرن الثامن ، تحقيق علي أشرف ، طبع سنة ١٤٢٤ - انتشارات المكتبة الحيدرية .

١١٧ - **المزار** ، محمد بن مكّي العاملي المعروف بالشهيد الأول ، ت ٧٨٦ ، تحقيق مؤسسة الإمام المهدي ، الطبعة الأولى ١٤١٠هـ ، مؤسسة الإمام المهدي - قم .

١١٨ - **المزار**، محمد بن المشهدي ، ت ٦١٠ ، تحقيق جواد القيومي الاصفهاني ، الطبعة الأولى ١٤١٩ ، مؤسسة النشر الإسلامي - قم .

١١٩ - **المزار**، محمد بن محمد بن النعمان المعروف بالشيخ المفيد، ت ٤١٣هـ، تحقيق محمد باقر الأبطحي، الطبعة الثانية ١٤١٤ - ١٩٩٣م، دار المفيد، بيروت - لبنان.

١٢٠ - **مقتل الحسين المسمى باللهوف**، علي بن موسى بن جعفر ابن طاووس، ت ٦٦٤هـ، الطبعة الأولى ١٤١٧، أنوار الهدى - قم.

١٢١ - **معجم ما استعجم**، عبد الله بن عبد العزيز البكري الأندلسي، ت ٤٨٧، تحقيق مصطفى السقا، الطبعة الثالثة، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.

١٢٢ - **لسان الميزان**، ابن حجر العسقلاني، ت ٨٥٢، الطبعة الثانية ١٣٩٠ - ١٩٧١م، مؤسسة الأعلمي، بيروت - لبنان.

١٢٣ - **المحاسن**، أحمد بن محمد بن خالد البرقي، تحقيق السيد جلال الدين الحسيني، طبع سنة ١٣٧٠ - ١٣٣٠ ش، دار الكتب العلمية - طهران.

١٢٤ - **المستدرک علی الصحیحین**، الحاكم النيسابوري، تحقيق يوسف عبد الرحمن المرعشلي.

١٢٥ - **المعجم الكبير**، سليمان بن أحمد الطبراني، تحقيق حميدي عبد المجيد سلفي، الطبعة الثانية ١٤٠٥ - ١٩٨٥م، دار إحياء التراث العربي.

١٢٦ - **المعجم الأوسط**، سليمان بن أحمد الطبراني، تحقيق دار الحرمين، طبع سنة ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م، دار الحرمين للطباعة والنشر.

١٢٧ - **المعجم الصغير**، سليمان بن أحمد الطبراني، ت ٣٩٠، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان.

١٢٨ - **مسند أبي داود الطيالسي**، سليمان بن داود بن الجارود الفارسي البصري الشهير بأبي داود الطيالسي، ت ٤٠٤، دار المعرفة - بيروت.

١٢٩ - **معجم البلدان**، ياقوت بن عبد الله الحموي، ت ٦٢٦، طبع سنة ١٣٩٩ - ١٩٧٩م، دار إحياء التراث العربي - بيروت.

١٣٠ - **مسند سعد بن أبي وقاص**، أحمد بن إبراهيم بن كثير الدورقي

البغدادي ، تحقيق حسن صبري ، الطبعة الأولى ١٤٠٧ هـ ، دار البشائر الإسلامية - بيروت .

١٣١- **المصنف** ، عبد الرزاق بن همام الصنعاني ، تحقيق وتعليق : حبيب الرحمن الأعظمي ، منشورات المجلس العلمي .

١٣٢- **مناقب آل أبي طالب** ، مشير الدين أبي عبد الله محمد بن علي ابن شهر آشوب ، تحقيق لجنة من أساتذة النجف الأشرف ، طبع سنة ١٣٧٦ هـ ١٩٥٦ م ، المكتبة الحيدرية - النجف الأشرف .

١٣٣- **مثير الأحزان** ، محمد بن جعفر بن أبي البقاء هبة الدين نما الحلّي ، ت ٦٤٥ ، طبع سنة ١٣٦٩ - ١٩٥٠ م ، المطبعة الحيدرية - النجف الأشرف .

١٣٤- **مسند أبي داود الطيالسي** ، سليمان بن داود بن الجارود الفارسي الشهير بأبي داود الطيالسي ، ت ٢٠٤ هـ ، دار المعرفة - بيروت .

١٣٥- **مدينة المعاجز** ، السيّد هاشم البحراني ، ت ١١٠٧ هـ ، دار الكتب العلمية - قم .

١٣٦- **معرفة الثقات** ، أحمد بن عبد الله بن صالح العجلي الكوفي ، ت ٢٦١ ، الطبعة الأولى ١٤٠٥ ، مكتبة الدار - المدينة المنورة .

١٣٧- **النوادر** ، فضل الله الرواندي ، ت ٥٧١ ، تحقيق سعيد رضا علي عسكري ، الطبعة الأولى ، مؤسسة دار الحديث - قم .

١٣٨- **نظم المتناثر من الحديث المتواتر** ، محمد بن جعفر الكناني ، ت ١٣٤٥ ، الطبعة الثانية ، دار الكتب السلفية - مصر .

١٣٩- **نهج السعادة** ، الشيخ محمد باقر المحمودي ، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ، بيروت - لبنان .

١٤٠- **نهج البلاغة** ، الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام ، تحقيق وتعليق الشيخ محمد عبده ، دار المعرفة - بيروت .

١٤١- **نوادير المعجزات** ، محمد بن جرير الطبري (الشيوعي) ، تحقيق

مؤسسة الإمام المهدي عليه السلام ، الطبعة الأولى ١٤١٠هـ - مؤسسة الإمام
المهدي عليه السلام - قم .

١٤٢ - **وفيات الأعيان**، ابن خلكان ، ت ٦٨١ ، تحقيق إحسان عباس ، دار
الثقافة - بيروت .

١٤٣ - **وسائل الشيعة** ، محمد بن الحسن بن الحر العاملي ، تحقيق عبد
الرحيم الرباني الشيرازي ، الطبعة الخامسة ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م ، دار إحياء
التراث العربي - بيروت .

١٤٤ - **ينابيع المودة لذوي القربى** ، سليمان بن إبراهيم القندوزي الحنفي ،
تحقيق علي جمال أشرف الحسني ، الطبعة الأولى ١٤١٦هـ - دار أسوة .

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
مقدّمة التحقيق	٥
المقدّمة	١٥
سلسلة الآباء	٢٥
الأعمام	٥٨
طالب	٦٦
عقيل	٧٠
السفر إلى الشام	٧٦
الحديدة	٨٤
افتراء	٨٥
الخلف عن عقيل	٨٧
الطيّار	٨٩
أخوته	٩٤
ابن الحنفية	٩٧
الأطرف	١٠٥
أخواته	١٠٩
العقيلة	١١١

١٢٠	 أم البنين
١٢٥	 الزواج
١٢٧	 الولادة
١٣١	 صفاته
١٣٨	 كنيته
١٤٠	 اللقب
١٤٥	 السقا
١٥٥	 نشأته
١٦٣	 اليقين
١٦٦	 الأصحاب
١٧٥	 الأمان
١٧٨	 المواساة
١٨٢	 عشرة التاريخ
١٨٧	 حديث الصادق عليه السلام
١٩٩	 العباس في نظر الأئمة:
٢٠٧	 العصمة
٢١٢	 الكرامات
٢٣١	 اللواء
٢٤١	 موقفه قبل الطفّ
٢٤٦	 موقفه في الطفّ
٢٥٣	 الشهادة
٢٥٧	 المشهد المطهر
٢٦١	 ملاحظة

٢٩١	فهرس الموضوعات
٢٦٣	الحائر
٢٧١	نهر العلقمي
٢٧٥	مشهد الرأس
٢٩٣	مشهد الكفين
٢٩٥	الزيارة
٢٩٩	صلاة الزيارة
٣٠٤	تقبيل القبر
٣٠٥	أولاده وأحفاده
٣١٥	الحمزة
٣٢٣	عمارة المشهد
٣٢٣	تمهيد :
٣٣٦	عمارة مرقد العباس
٣٤١	السدانة
٣٤٣	حامي الجوار
٣٤٥	المديح والرثاء
٣٧٣	فهرس المصادر
٣٨٩	فهرس الموضوعات

هذا الكتاب



يتضمّن حياة وسيرة شخصية عظيمة قال عنها الامام علي بن الحسين : (إن لعمري العباس ابن امير المؤمنين عند الله تعالى منزلةً يغبطه عليها جميع الشهداء والصديقين يوم القيامة) ، وقد أجاد مؤلف هذا الكتاب في بيان مختلف أبعاد حياة أبي الفضل العباس بشكل موضوعي وجذاب ويعيد عن التعقيد ، فقدّم كتاباً أصبح مرجعاً أساسياً ومن أمّهات الكتب في مجال تخصّصه ، ثم جاءت خطوة تحقيق هذا الكتاب لتزيده جمالاً وروعة وشمولية عن طريق تقويم نصّه وتثبيت مصادره وإضافه بعض التعليقات عليه .